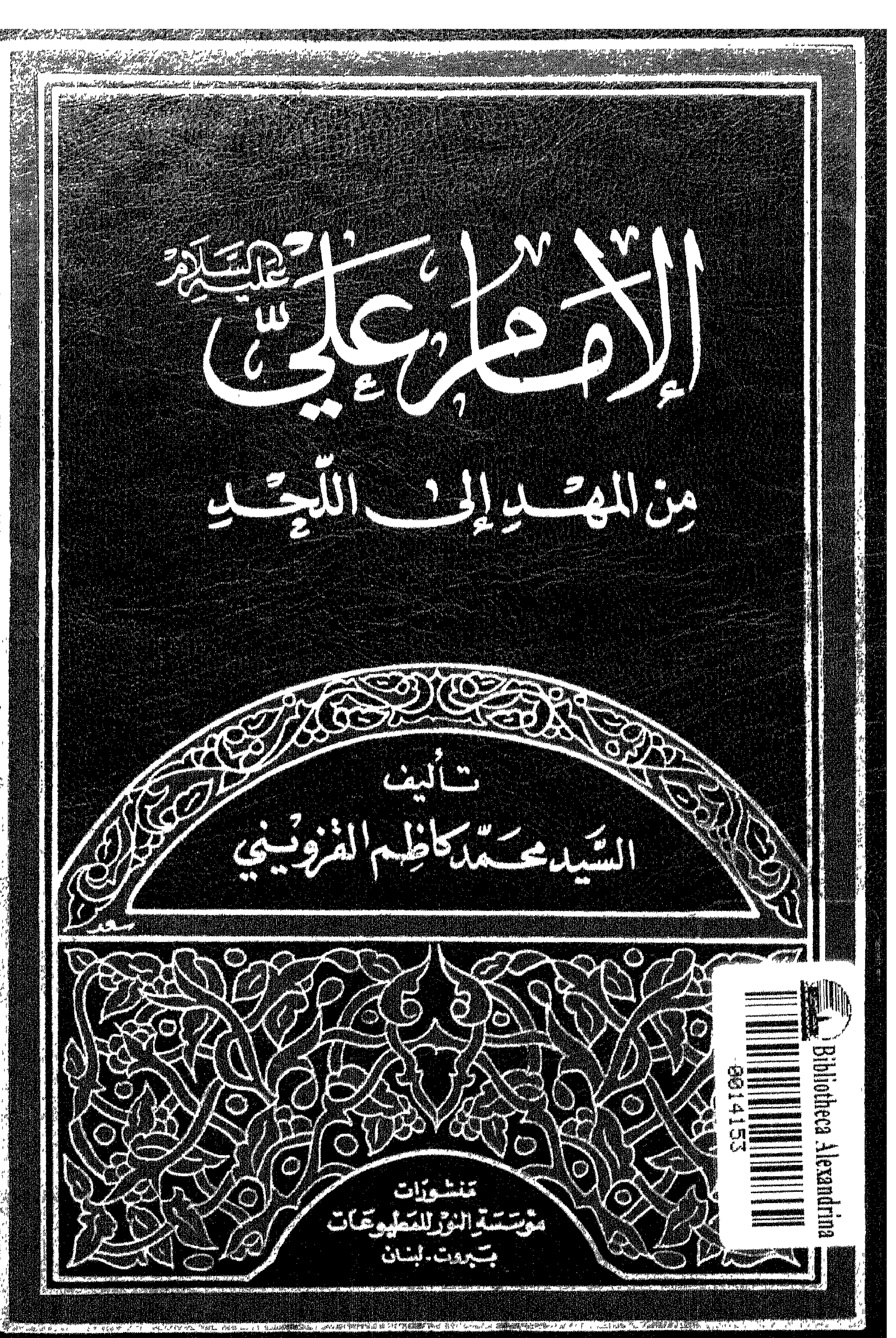

الإمام علي عليه السلام
من المهد إلى اللحد
تأليف
السيد محمد كاظم القزويني
منشورات
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت . لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0014153







الإمام علي

من المهد إلى اللحد



الإمام علي (ع)

من المهد إلى اللحد

تأليف

العلامة الخطيب

السيد محمد كاظم القزويني

منشورات

مؤسسة النور للمطبوعات

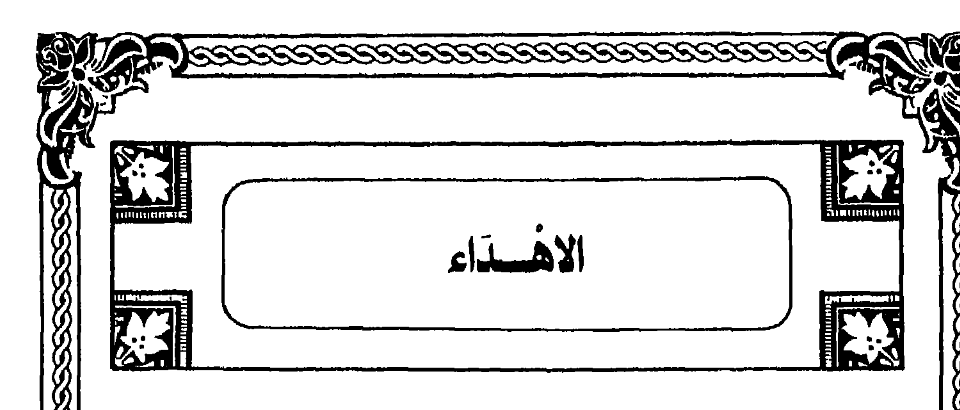
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م

مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت . شارع المطار . قرب كلية الهندسة ص . ب ـ ١١/٨٦٤٥





الاهــداء

بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ

إليك يا أمين الله في أرضه ، وحجته على عباده .

إليك يا خاتم الأوصياء ومنقذ الأُمة والإمام المنتظر .

إليك يا سيدنا يا صاحب الأمر أيها المهدي .

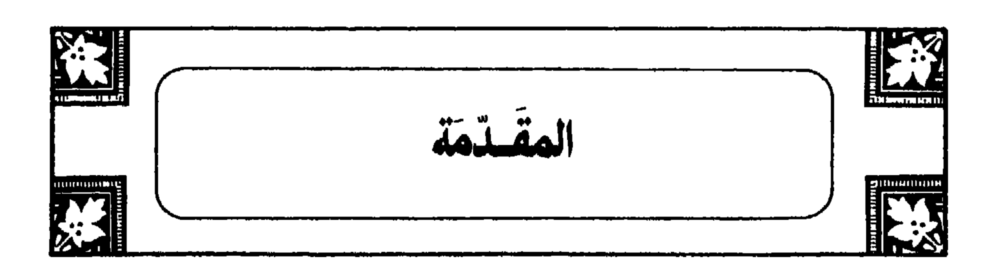
إليك ـ روحي لك الفداء ـ أهدي صحيفة ولائي لجدك الأكبر سيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه وعليك السلام .

فتفضل بقبول بضاعتي المزجاة وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين .

المنتظر لدولتكم

محمد كاظم القزويني


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما يرضى ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله سادات الورى .

وبعد : كم أنا معجب بحياة أولياءِ الله الذين كانوا المظهر الصحيح الكامل للإنقياد والخضوع لأوامر الله تعالى وإرادته وإني لا أعرف في قاموس اللغة العربية ألفاظاً كافية في التعريف والتعبير عن شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، لا أكتب هذا بقلم العاطفة والغلو ولا طمعاً في ربح مادي للجائزة الدنيوية بل بقلم الواقع والحقيقة ، أنظر إلى الحقائق وأذكر انطباعاتي عنها وسيظهر صدق هذا الكلام من خلال سطور الكتاب ، ويتجلى الحق الواضح لكل من يقرأ هذا الكتاب مجرداً عن الاتجاهات .

كلمة العظيم لا تكفي لبيان عظمة الرجل ، وخاصة بعد أن استعملت هذه الكلمة في الكثير ممن يستحق ذلك أو لا يستحق ، مع العلم أن العظمة تتفاوت من حيث القلة والكثرة والضعف والشدة وكذلك سائر الصفات الحميدة التي يُعبَّر عنها بالفضائل ويُنعت بها الرجال .

فكيف أستطيع أن أصف الإمام حق الوصف ، وأؤدي واجب المقام حق الأداء ، وكلما حاولت أن أطير بقلمي إلى أرفع مستوى في البيان وأعلى درجة في الأداء مع ذلك كله فالعجز عن التعبير لا يفارقني ، والأفضل أن نذكر حياة الإمام بكل بساطة ، ونحيل إدراك الموقف وأهمية الحال إلى فكرة القارىء وذهنه وفهمه الفطري ، وهذا أولى من تنميق الألفاظ وتنضيدها وتكوين كتلة من الألغاز أو الكنايات التي تشبه كتب اللغة ولكن من غير تبويب وتنظيم !!

هناك صفات تميل إليها النفوس وتحبها وتحب من يتصف بها ويُقال لها : الفضائل كالعلم والشجاعة والكرم وغيرها .

وهناك أيضاً صفات تنفر منها الطباع وتكره من يتصف بها ويقال لها : الرذائل كالجهل والجبن والبخل وغيرها ، وهي أضداد الفضائل والصفات الحميدة ، كلتا الطائفتين من الصّفات تقلّ في النفوس وتكثر ، وتضعف وتشتد ، فقد يبلغ الكرم القمة ، وقد ينتهي البخل إلى الحضيض وهكذا الكلام في باقي الفضائل والرذائل ، ونحن حينما نراجع ترجمة حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجدها حافلة بالفضائل بأقصى درجة ممكنة وأرفع مستوى يُتصور ، منزهة عن كل ما يمس ويحط ويشوه (بجميع معنى الكلمة) بقدسية الإمام وجلالته ، وليس هذا إدعاءً أجوف ، بل محتويات الكتاب كلها شواهد وبراهين على ما نقول ، بل التاريخ الصحيح أقوى دليل وكتاب الله أقوى حجة ومن أصدق من الله قيلاً وأختم مقدمتي هذه بكلمتي الوجيزة :

أقول : إن الله تعالى الذي هو على كل شيءٍ قدير ولا يعجزه شيءٌ شاء أن يظهر لعباده الفرد الكامل من خلقه ليريهم قدرته على الإبداع في الصنع ويبرهن لهم على أن من الممكن أن يقرب الله البشر إلى أعلى درجة من الشرف يمكن للموجود أن يبلغها ، فخلق الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام ليكون كل واحد مثالاً كاملاً للقدرة الإلهية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشاهداً حياً لأرقى موجود في مراتب الصعود .

وكثيراً ما كنت أُحدّث نفسي بتأليف كتاب يتضمن الإشارات إلى بعض مواهب هذا الإمام ، المقتدى لقوافل الإنسانية عبر القرون والأجيال والدهور ، ولكن التفكير حول أهمية هذا العبء الثقيل وخطورة الموقف وضآلة وضعف البيان وسعة البحث كلها كانت موانع تحول دون الخوض في هذه المعركة العلمية الفكرية !

حتى إذا اقترب شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٨٦ هـ وثارت في النفوس ثورة العبادة ونهضة الدين وانتبهت غرائز الإقبال على فعل الخير واستعد إخواننا الشباب لإعادة مجلسهم السنوي في ليالي شهر رمضان وكان لي شرف الخدمة والتكلم في ذلك المجلس الذي كانت الحياة تنفجر من نواحيه ، وينبعث النشاط من جوانبه ، ففكرت حول اختيار حديث إسلامي متسلسل ، لله فيه رضى وللمستمعين فيه أجر وثواب .

وأخيراً : تقرر أن نتحدث حول شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ونجعلها محور كلامنا ، وندور في فلكها لما في ذلك من فوائد دينية ، علمية ، روحية ، تربوية ، تنفع العباد والبلاد .

فالتحدث عن أمير المؤمنين يشمل التكلم عن الإسلام الصحيح في جميع مجالاته وخاصة في دور التكوين والتأسيس وعن مدى تأثير التربية الإسلامية في النفوس وتبلورها ببركة تلك التعاليم وتكهرب النفوس بنفسية النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك النفسية القوية بالمبدإ الأعلى .

نذكر في هذه الصحائف شيئاً عن حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ظل الإسلام وبعض مواقفه في المواطن الخطرة التي قلَّ أن يثبت لها أحد ، باستقبال الأخطار التي ارتعدت منها الفرائص وخفقت عندها القلوب خفقان الطير .

تبدأ تلك الحوادث المتسلسلة من أيام بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والشروع

بالدعوة الصامتة ، والناطقة والسرِّية والعلنية وأدوار تلك الدعوة وتطورها في مكة ، وتنتهي بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

وهنا يتطور الموقف إلى العمل بصورة أوسع وأصعب ، ويبدأ دور الحروب والغزوات والمجازر التي أجج الكفار نارها ، فارتوت الأرض من الدماء وانقلبت البوادي إلى مقابر .

نذكر مواقف الإمام عليه السلام في تلك المراحل المذهلة ، واستعداده للتضحية في سبيل المبدإ بحيث ما كان يقف في طريقه شيءٌ يغير اتجاهه وانطباعه عن الدين .

وتنتهي فترة الجهاد بوفاة الرسول الأعظم ، فيتطور الجهاد بنوع من السكوت والصبر أو الكلام بما يقتضيه الحال وما تفرضه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين .

ينقضي ربع قرنٍ والإمام جليس بيته ، مسلوب الإمكانيات فاقداً قدرة النهوض بأعباء الخلافة وما هناك من لوازم ومتطلبات ومسؤولية أمام الله والتاريخ لأن المسؤولية تابعة للقدرة والقوة ونفوذ الكلمة وجوداً وعدماً .

وتنتهي تلك الفترة المؤلمة بمقتل عثمان وانتقال الخلافة إلى الإمام مرة ثانية بعد انتزاعها منه إثر واقعة الغدير .

فيبدأ دور المسؤولية وبيان مسؤوليات الحكم في القانون الإسلامي ، وتطبيق أحكام الله في جميع المجالات ، والاصطدام بالنزعات والاتجاهات المخالفة وما هناك من مشاكل وعراقيل ومواقف حرجة .

نسير مع التاريخ حيث سار الإمام حتى ينتهي البحث بشهادة الإمام عليه السلام ، وما هناك من نماذج من العدالة الإلهية ونفسيات طيبة تتجلى في وصايا الإمام عندما أحسَّ بخطر الوفاة .

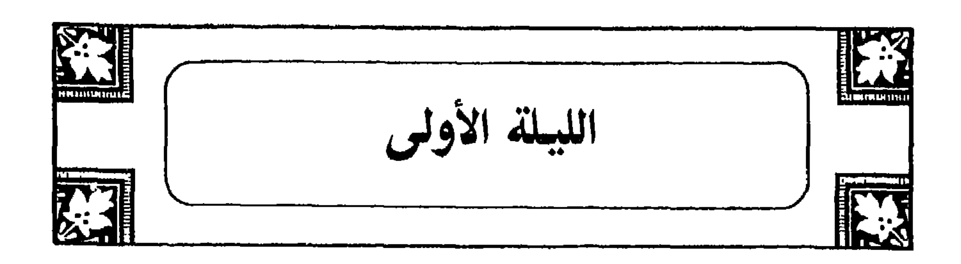
نتمم هذا البحث بما تيسر من كلمات الإمام وتعاليمه القيّمة وفضائله ومكارم أخلاقه . وبذلك ينتهي الكتاب إن شاء الله .

ونضطر أن نقتطف من كل حادثة جملة ترتبط بالإمام ، ومن كل غزوة جانباً يتعلق بالذات بموقف الإمام فيها ، رعاية لأسلوب الكتاب .

وأنا على يقين أن الإحاطة بجميع مزايا هـذا الإمام خـارج عن نطاق البشر وقدرة البيـان ، لأنه عليه السلام كـالبحر لا يُـدرك طرفـاه ولا يُبلغ جانبـاه ولا يمكن الغوص إلى عمقه .

فالمتحدث عن شخصية الإمام يجد أمامه عوالم غيـر متناهيـة ، يطيـر في فضائها وأرجائها ، ومهما أوتي من حول وقوة فإن التعب يـدركه قبـل أن يدرك مداها .

ولكن مـا لا يدرك كله لا يتـرك كله ، فلنذهب إلى المجلس المنعقـد في الجـامع المعـروف بجامـع الصافي مقـابـل صحن سيـدنـا أبي عبـد الله الحسين عليه السلام لنستمع إلى ما يلي :



الليلة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الكرام البررة .

وبعد : لقد اتفقنا أن نجعل حديثنا وبحثنا في هذا الشهر عن أكبر شخصية عرفها التاريخ بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهي شخصية سيدنا ومولانا الإمام المرتضى أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه آلاف التحية والثناء ، ونبدأ حديثنا بولادة الإمام عليه السلام في الكعبة .

ولا بأس قبل الخوض في بيان الواقعة ، بذكر مقدمة تمهيدية فنقول :

نحن بصفتنا مؤمنين بالله وبالقرآن العظيم لا محيص لنا عن قبول الأمور الخارقة للعادة والتي هي ما وراء الطبيعة ، المذكورة في القرآن الكريم ، ويُقال لها : (الماورائيات) أو (الميتافيزيقيا) .

فإن القرآن الكريم يتضمن أكبر كمية من الحوادث الماورائيات ، ولا نستطيع (بصفتنا مسلمين) أن نرفضها أو نتردد في قبولها ، وخاصة بعد أن آمنّا أن القرآن كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

مثلاً : طبيعة النار هي الإحراق ، وإسناد الإحراق إلى النار من الأُمور البديهية الثابتة ، والقرآن الحكيم يحدثنا عن إبراهيم وأنه لما كسر الأصنام حكم المشركون عليه بالإعدام فقالوا : «حرِّقوه» فأضرموا ناراً عظيمة اشترك جميع طبقات الناس في جمع الحطب لها ، فوضعوا إبراهيم الخليل في آلة تسمى (المنجنيق) ، وقذفوه من مكان بعيد في وسط تلك النار العظيمة .

قال تعالى : ﴿وقلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[1] في الحديث - في تفسير هذه الآية -: لما خاطب الله النار بقوله : ﴿كوني برداً﴾ كاد إبراهيم أن يموت من البرد فقال تعالى : ﴿وسلاماً﴾ فسلم إبراهيم من الموت بالبرد .

وكذلك عصا موسى عليه السلام وانقلابها إلى ثعبان وابتلاعه الحبال والعصي التي كانت يُخيّل إليهم من سحرهم أنها تسعى ، ثم عادت العصا كما كانت .

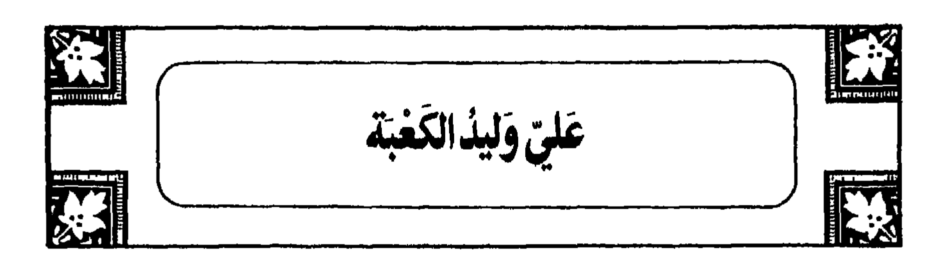
وهكذا ما قام به عيسى بن مريم عليه السلام من إبراء الأكمه (الذي ولد أعمى) والأبرص ، وإحياء الموتى حتى الذين انقضت على وفاتهم مئات السنوات ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعجزة في ثلاثة مواضع .

وهكذا وهلم جرا ، من القضايا والحوادث الخارقة للعادة والطبيعة المستنَدة إلى إرادة الله وقدرته ، ويسهل الإيمان بهذه الأُمور كلها إذا حصل الإيمان بأن الله قادر على كل شيءٍ ، وأن جميع الموجودات خاضعة ومطيعة لإرادة الله تعالى .

إذا ثبت هذا فلا مانع لدى العقل من قبول انشقاق جدار الكعبة لدخول فاطمة بنت أسد حتى تضع ولدها الإمام في جوف الكعبة ، وإليك الواقعة :

---

(١) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٦٩ .



عليّ وليدُ الكَعْبَة

أحست السيدة فاطمة بنت أسد بوجع الولادة وهي في الشهر التاسع من الحمل ، وأقبلت إلى المسجد الحرام وطافت حول الكعبة ، ثم وقفت للدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليسهل عليها أمر الولادة ، قائلة : يا رب إني مؤمنة بك وبكل كتاب أنزلته ، وبكل رسول أرسلته . . . ومصدقة بكلامك وكلام جدي إبراهيم الخليل ﷺ ، وقد بنى بيتك العتيق ، وأسألك بحق أنبيائك المرسلين ، وملائكتك المقربين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي . . . إلا يسرت عليَّ ولادتي .

انتهى دعاءُ السيدة ، وانشق جدار الكعبة من الجانب المسمى (بالمستجار) ودخلت السيدة فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة ، وارتأب الصدع ، وعادت الفتحة والتزقت وولدت السيدة إبنها علياً هناك[1] .

من المعلوم : أن للكعبة باباً يمكن منه الدخول والخروج ، ولكن الباب لم ينفتح ، بل انشق الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدل على خرق العادة ، وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة .

والغريب : أن الأثر لا يزال موجوداً على جدار الكعبة حتى اليوم

(١) البحار ـ ج ٩ .

بـالرغم من تجـدد بنـاء الكعبـة في خـلال هـذه القـرون ، وقـد مـلأوا أثـر الانشقـاق بـالفضـة والأثـر يُـرى بكـل وضـوح على الجـدار المسمى بالمستجار ، والعـدد الكثير من الحجـاج يلتصقون بهـذا الجدار ويتضـرعون إلى الله تعالى في حوائجهم .

روى الشيـخ الـطوسي عليـه الـرحمـة ـ في أمـاليـه ـ عن الإمـام الصادق عليه السلام : كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسين مـا بين فريق بني هاشم إلى فريق بني عبد العـزى بإزاء بيت الله الحـرام ، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكانت حاملة بأمير المؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر ، وكان يوم التمام ، فوقفت بإزاء البيت الحرام ، وقـد أخذهـا الطلق ، ورمت بطرفها نحو السماء وقالت . . . إلى آخر كلامها الذي تقدم .

ووصل الخبر إلى أبي طالب ، فأقبل هو وجماعة وحاولوا ليفتحوا باب الكعبة حتى تصل النساءُ إلى فاطمة ليساعدنها على أمر الولادة ، ولكنهم لم يستطيعوا فتح الباب ، فعلموا أن هذا الأمر من الله سبحانه تعالى .

وحدَّثت السيدة فاطمة بما جرى عليهـا في الكعبة ، قـالت : فجلست على الرخامة الحمراء ساعة ، وإذا أنا قد وضعت ولـدي علي بن أبي طالب ولم أجد وجعاً ولا ألماً .

وبقيت السيدة في الكعبة ثلاثة أيام ، وانتشر الخبر في مكة ، وجعـل النـاس يتحدثـون به حتى النسـاء ، وازدحم النـاس في المسجـد الحـرام ، ليشاهدوا مكان الحادثة ، حتى كان اليوم الثالث ، وإذا بفـاطمة قـد خرجت ـ من الموضع الذي كان قد انشق لدخولها ـ وعلى يدها صبي كأنه فلقة قمر وأسـرعت الجماهيـر المتجمهرة إليهـا فقالت : معـاشر النـاس ، إن الله عـز وجـل إختارني من خلقـه وفضَّلني على المختارات ممن مضى قبلي ، وقـد اختار الله آسيـة بنت مزاحم فإنها عبدت الله سراً في موضـع لا يحب أن يعبد الله فيـه إلا اضـطراراً ، ومـريم بنت عمـران ، حيث هـانت ويسـرت ولادة عيسى فهـزت الجـذع اليـابس من النخلة في فـلاة من الأرض حتى تسـاقط

عليها رطباً جنياً وإن الله تعالى اختارني (فضلني) عليها وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأني ولدت في بيته العتيق ، وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأرزاقها . . . الخ[1] .

وبعد هذا كله لم يبق مجال للشك في هذه الحادثة والاستبعاد من قدرة الله تعالى وإرادته ، وما المانع أن يختار الله لمولد وليه أشرف بقاع الأرض حتى يكون مولده في ذلك المكان من مزاياه التي تفرد بها عن الخلق أجمعين ؟؟

وما المانع أن يمنح الله عباده المقربين هذه العطايا والمنح كي تكون لهم دليلاً على كرامتهم عند الله .

فقد ذكر الشيخ المفيد (ره) المتوفى سنة ٤٣١ هـ في الإرشاد مولد الإمام في البيت الحرام ، وكذلك من جاء بعده كالشيخ الطوسي والنسّابة علي بن أبي الغنائم والشهيد في مزاره والسيد ابن طاووس في المصباح والعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٣٦ هـ في كتابه كشف الحق وكشف اليقين .

وتطرق السيد الحميري في نظمه إلى هذه المفخرة وهو من شعراء القرن الثاني وهو قوله :

ولدته في حرم الإله وأمنه ... والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاءُ طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولد

ما لُف في خرق القوابل مثله ... إلا ابن آمنة النبي محمد

وكذلك الشاعر محمد بن المنصور السرخسي ، وهو من شعراء القرن السادس أشار إلى هذه الفضيلة بقوله :

ولدته منجبة وكان ولادها ... في جوف كعبة أفضل الأكنان

ولم ينفرد أساطين الشيعة وعلماؤهم بذكر هذه المأثرة ، بل شاركهم

---

(١) نفس المصدر .

الكثير من علماء السنة ، كالمسعودي في مروج الذهب وإثبات الوصية وعبد الحميد خان الدهلوي ، في سيرة الخلفاء وغيرهما من المحدثين .

وأشار عبد الباقي العمري وعبد المسيح الأنطاكي أيضاً إلى هذه الحادثة وأنها من الأمور المتفق عليها ، وأنها من خصائص الإمام ولم يشاركه أحد قبله ولا بعده في هذه المكرمة ، حتى قال محمود الآلوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري ما هذا نصه : (وفي كون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذُكر في كتب الفريقين السنة والشيعة . . . ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه ، وأحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين ، سبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين) .

استقبل سيدنا أبو طالب السيدة فاطمة بنت أسد مهنئاً ، وأخذ أبو طالب وليده الحبيب وضمه إلى صدره ثم رده إلى أمه ، وأقبل رسول الله وذلك قبل أن يُبعث فلما رآه عليٌّ جعل يهش ويضحك كأنه ابن سنة ، من حيث المشاعر والإدراك فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبّله وحمد الله على ظهور هذا المولود الذي كان يعلم أنه سيكون له أحسن وزير وخير أخ وأول مؤمن به ، وتتحقق به آمال رسول الله وأمانيه بنشر دينه الذي سيُبعث به فسلم علي على رسول الله ثم قرأ هذه الآيات :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (1) إلى آخر الآيات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أفلحوا بك . وقرأ تمام الآيات إلى قوله **﴿أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾** (2) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت والله أميرهم تميرهم من علومك فيمتارون ، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون .

---

(1) سورة المؤمنون ؛ الآيتان : ١ و ٢ .

(2) سورة المؤمنون ؛ الآيتان : ١٠ و ١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأذَّن أبو طالب في الناس أذاناً جامعاً وقال : هلموا إلى وليمة إبني علي . قال : ونحر ثلاثمأة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة عظيمة وقال : معاشر الناس ، ألا من أراد من طعام علي ولدي فهلموا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً ، وآدخلوا وسلموا على ولدي علي فإن الله شرّفه[١] .

وهنا سؤالان : الأول كيف تكلم علي وهو ابن ثلاثة أيام والسؤال الثاني كيف قرأ آيات القرآن والقرآن بعد لم ينزل على النبي ؟.

أما الجواب عن السؤال الأول : إن القرآن الكريم يصرح بتكلم عيسى لما حملته أمه مريم وجاءت به إلى قومها ، فسألها قومها عن عيسى «فأشارت إليه» أي سلوا الطفل فإنه يخبركم عن الحقيقة . قال اليهود : كيف نكلم من كان في المهد صبياً ؟ قال (عيسى) : «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً» فإذا أمكن أن يتكلم عيسى في المهد صبياً فما المانع أن يتكلم علي وهو طفل فإن كان عيسى نبياً فعلي خليفة نبي ووصيّه وليس ذلك على الله بعزيز ، وليس هذا بمستحيل أمام قدرة الله تعالى فإن الله على كل شيء قدير .

والجواب عن السؤال الثاني : أن القرآن الحكيم يقول : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[٢] مع العلم أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خلال ثلاث وعشرين سنة ، من يوم مبعثه إلى أيام قبل وفاته ، فما المقصود من هذه الآية المباركة التي تصرح بنزول القرآن في ليلة القدر؟ هناك أحاديث متواترة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية مفادها : أن القرآن أُنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ومن السماء الدنيا نزل تدريجياً ومن هنا يُستفاد أن القرآن كان موجوداً في السماء قبل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

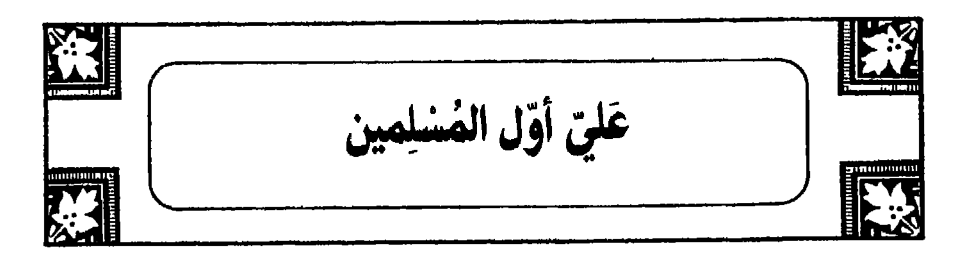
فالطفل الذي اختار الله له الكعبة مولداً وأنطق لسانه يوم ولادته لا مانع عند العقل أن يلهمه الله شيئاً من كتابه المخلوق الموجود في السماء .

وكانت ولادته يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب ، بعد مضي ثلاثين سنة من عام الفيل . وقيل : أقل من ذلك ، والله العالم .

---

(١) البحار - ج ٩ .

(٢) سورة القدر ؛ الآية : ١ .



عَليّ أوّل المُسْلِمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله ، والصلاة والسلام على محمد وآله خير البرية .

كلامنا الليلة : حول التربية الإسلامية التي تربـاها علي عليه السلام خلال السنوات الطوال التي قضاها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ نعومة أظفاره حتى بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة ، وهي المدة التي عاش فيها مع الرسول ، ولا أملك بياناً كافياً لوصف تلك التربية المدهشة ، وتأثيرها في نفس علي عليه السلام ، والأفضل أن نستمع إلى كلام علي عليه السلام في هذا الموضوع ، فإنه يشرح لنا مدى اختصاصه والتصاقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من صغر سنه ، يذكر عليه السلام ذلك في خطبته الجليلة المعروفة بالقاصعة ، قال عليه السلام :

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب ، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر . وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد ، يضمني إلى صدره ، ويكنفني إلى فراشه ، ويمسني جسده ويشمني عرقه .

وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك

من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ؛

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراءٍ فأراه ولا يراه غيري .

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما . أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ؛

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله : ما هذه الرنة ؟ فقال : إنه الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي . ولكنك وزير وإنك لعلى خير»[1] . فقد روى العلامة الحلي عليه الرحمة في كشف اليقين وغيره . . . :

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لفاطمة بنت أسد ـ: اجعلي مهده بقرب فراشي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلي عليّاً أكثر تربيته ، وكان يطهر علياً في وقت غسله ، ويوجره اللبن (يجعله في فمه) عند شربه ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناغيه في يقظته ، ويحمله على صدره ، ويقول : هذا أخي ووليي ، وصفيي ، وذخري وكهفي وظهري ، ووصيي ، وزوج كريمتي ، وأميني على وصيتي وخليفتي ، وكان يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها[2] .

وذكر الثعلبي في تفسيره عن مجاهد قال : كان من نعم الله على علي بن أبي طالب عليه السلام وما صنع الله له وزاده من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة (قحط) شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ للعباس عمه وكان أيسر بني هاشم ـ: يا عباس أخوك أبو طالب كثير

---

(١): نهج البلاغة ، خطبة رقم ١٨٧ .
(٢) البحار : ج ٩ .

العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ،آخذ أنا من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت من بنيه رجلاً ، فنكفيهما عنه من عياله . قال العباس : نعم فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب فقالا : نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال أبو طالب : إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما . فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعثه الله نبياً ، واتبعه علي فآمن به وصدقه . . الخ .

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً ، فانتخبه لنفسه واصطفاه لمهم أمره ، وعوّل عليه في سره وجهره ، وهو مسارع لمرضاته موفق للسداد في جميع حالاته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ابتداء طروق الوحي إليه ، كلما هتف به هاتف أو سمع من حوله رجفة راجف ، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً عليه السلام ويستسرهما هذه الحالة فكانت خديجة تثبّته وتصبّره ، وكان علي عليه السلام يهنئه ويبشّره ويقول له : والله يا ابن عم ما كذب عبد المطلب فيك ، ولقد صدقتِ الكهان فيما نسبته إليك ، ولم يزل كذلك إلى أن أُمر صلى الله عليه وآله وسلم بالتبليغ . فكان أول من آمن به من النساء خديجة ، ومن الذكور أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعمره يومئذ عشر سنين ، وكانت السيدة خديجة الكبرى عليها السلام تشاهد النبي يعطف ويحنو على علي عليه السلام ويتولى رعايته منذ نعومة أظفاره ، فكانت السيدة خديجة تستزيده وتزينه وتحليه وتلبسه وترسله مع جواريها ، ويحمله خدمها .

وقد أجمع علماءُ النفس والتربية واتفقت كلمتهم على : أن جميع نفسيات الإنسان وأخلاقه وصفاته إنما هي انطباعات التربية التي تركزت في نفسه منذ صغره ، بحيث يمكن لنا أن نعرف مصير الطفل ومستقبله من منهاج التربية التي قام بها الوالدان والمربي تجاه الطفل في صباه .

فالحقارة والعقد النفسية والدناءة والخمول وما شاكلها من الصفات التي تظهر في الناس إنما هي من ولائد التربية الفاسدة في باكورة حياتهم .

وكذلك شرافة النفس وعلو الهمة ، وقوة الروح وما شابهها إنما هي من نتائج التربية الصحيحة في أيام الصبا .

وفي المناقب : عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . . . قال لعمه أبي طالب : إني احب أن تدفع إليَّ بعض وُلدك يعينني على أمري ويكفيني ، وأشكر لك بلائك عندي ، فقال أبو طالب : خُذ أيّهم شئت . فأخذ علياً عليه السلام فاستقى عروقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة ، وتهدلت أغصانه عن نبعة الإمامة ، ونشأ في دار الوحي ، ورُبّي في بيت التنزيل ، ولم يفارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته إلى حال وفاته ، لا يقاس بسائر الناس ، إذ كان عليه السلام في أكرم أرومة ، وأطيب مغرس ، والعرق الصالح ينمي والشهاب الثاقب يسري . . . .

ولم يكن الرسول ليتولى تأديبه ، ويتضمن حضانته وحسن تربيته إلا على ضربين :

إما على التفرس فيه ، أو بوحي من الله تعالى ، فإن كان بالتفرس فلا تخطى فراسته ، ولا يخيب ظنه ، وإن كان بالوحي فلا منزلة أعلى ولا حال أدلّ على الفضيلة والإمامة .

بناءً على هذا اهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غاية الإهتمام وبذل ما في وسعه في تربية علي عليه السلام وتأديبه وتقوية نفسه وتوجيهه ، وطبع غرائزه على أحسن ما يرام وتعليمه الفضائل والمكارم .

فأنتجت تلك التربية الإسلامية الفريدة في نفس علي عليه السلام أحسن الأثر ، وتربى تحت ظل الرسول أفضل تربية ، واجتمعت فيه جميع المؤهلات للصعود إلى أعلى مرقاة ، فاستحق أن يجعله الله نفس النبي في آية المباهلة ، وكملت فيه الكفاءة والإنسانية بجميع معنى الكلمة حتى صار أهلاً لكل منحة إلهية وعطية ربانية وصار جديراً بالولاية والخلافة ، والوصية ، والوراثة ، وبكل عظمة وكل تقدير من الخالق والمخلوق ، وكل

إكبار وإعجاب من الرسول ، وتجلت فيه الفتوة والشهامة ، والإعتماد على النفس ، والإحساس بالشخصية وعظمة النفس حينما قدم لتقبُّل أكبر مسؤولية في العالم ، واستعد للقيام بأكبر مهمة من أقل لوازمها التضحية بكل غالٍ ونفيس ، وذلك يوم الدار أو الإنذار ، وإليك الواقعة :

في أمالي الشيخ عن ابن عباس عن علي عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[1] دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي : يا علي إن الله تعالى أمرني : أن أنذر عشيرتك الأقربين . قال : فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أُبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُّ على ذلك .

فاصنع لنا يا علي صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجلَ شاة ، واملأ لنا عساً من لبن ، ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أُكلمهم ، وأُبلغهم ما أُمرت به . ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم أجمع وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون أو ينقصون رجلاً ، فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا له ، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به ، ولما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جذمة من اللحم فنتفها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصفحة ، ثم قال : خذوا باسم الله . فأكل القوم حتى صدروا ما لهم بشيءٍ من الطعام حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وأيم الله الذي نفس علي بيده أن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ، ثم جئتهم بذلك العسِّ فشربوا حتى رووا جميعاً ، وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلِّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لشدَّ ما سحركم صاحبُكم !!

فتفرق القوم ، ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي في الغد : يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أُكلمهم ، فَعُد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم لي .

---

(١) سورة الشعراء ؛ الآية : ٢١٤ .

قال : ففعلت ، ثم جمعتهم ، فدعاني بالطعام ، فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، وأكلوا حتى صدروا ما لهم به من حاجة ثم قال : اسقهم . فجئتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه ، فأيُّكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي ، ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي من بعدي ؟

قال : فأمسك القوم ، وأحجموا (سكتوا) عنها جميعاً ، قال : فقمت وإني لأحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً ، فقلت : أنا ـ يا نبي الله ـ أكون وزيرك على ما بعثك الله به . . .

قال : فأخذ بيدي ثم قال : إن هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيعه ؛

وفي رواية فقال : ليقومن قائمكم أو ليكونن من غيركم ثم لتندمن ، ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام عليٌ فبايعه ثم قال له صلى الله عليه وآله وسلم: آدن مني ، فدنا منه ففتح فاه ، ومج من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبو لهب : بئس ما حبوت به ابن عمك إن أجابك فملأت فاهه ووجهه بزاقاً ! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ملأته حكماً وعلماً وفهماً[1] .

وللمأمون العباسي مناظرة لطيفة ظريفة قيّمة مع الفقهاء ، نقتطف منها محل الحاجة :

المأمون : يا إسحاق أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله ؟

إسحاق : الإخلاص بالشهادة .

---

(١) البحار ـ ج ٩ .

المأمون : أليس السبق إلى الإسلام ؟

إسحاق : نعم .

المأمون : إقرأ ذلك في كتاب الله يقول : ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾[1] إنما عنى من سبق إلى الإسلام ، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام ؟

إسحاق : يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن ، لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم .

المأمون : أخبرني أيهما أسلم قبل ؟ ثم أُناظرك من بعده في الحداثة والكمال .

إسحاق : عليٌ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة .

المأمون : فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم ؟ لا يخلو من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله ؟؟

أطرق إسحاق !!

المأمون : يا إسحاق لا تقل : إلهاماً . فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى .

إسحاق : أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام .

المأمون : يا إسحاق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه ؟؟

(أطرق إسحق) !! .

المأمون : يا إسحق لا تنسب رسول الله إلى تكلُّف ، فإن الله قال : ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ [2] .

---

(١) سورة الواقعة ؛ الآية : ١٠.

(٢) سورة ص ؛ الآية : ٨٦.

إسحاق : أجل ، يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله .

المأمون : فهل من صفة الجبار (جل ذكره) أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟

إسحاق : أعوذ بالله .

المأمون : أفتراه في قياس قولك ـ يا إسحاق ـ أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ، ولا يجوز عليهم حكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟؟

أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ؟؟

إسحاق : أعوذ بالله . . . الخ .

وليس هذا بأول خطوة كبيرة خطاها عليه السلام إلى مراقي الصعود ولا بأول موقف مشرف وقف فيه للحق ، فقد دعاه الرسول قبل ذلك إلى الإعتراف له بالنبوة والتصديق له بالرسالة ، وذلك يوم بعثه الله تعالى في غار حراءٍ وانحدر متحمِّلاً أعباء الرسالة وقصد بيت خديجة وفتحت له الباب وقالت : ما هذا النور ؟ فأجابها : إنه نور النبوة ، إشهدي يا خديجة بأن لا إله إلا الله وإني رسول الله . فشهدت بذلك فكانت أول إمرأة آمنت ، ثم دعا علياً عليه السلام ليشهد له بذلك فاعترف له علي فكان أول من أسلم من الرجال ، ويمتاز إسلام علي عليه السلام عن بقية المسلمين في ذلك العهد فإن الذين أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جلهم غير موحدين ، بل يهوداً ونصارى ومشركين ، وسبق الكفر أو الشرك إسلامهم ، ولكن علياً عليه السلام لم تتغير فطرته التي فطره الله عليها ، ولم يدنس ساحته شرك ولا كفر ، بل كان موحِّداً وبقي على التوحيد ، وازداد إيماناً بالله ويقيناً به على أثر تلك العلوم والمعارف الإلهية التي كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يزقه إياها زقاً ، ولما بعث النبي بالنبوة كان علي أول من صدقه وآمن به وقام بما يتطلب ذلك التصديق والإيمان .

ولا بأس أن نذكر الشيء اليسير من الأحاديث التي تصرح بهذه الفضيلة الفريدة لعلي عليه السلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوّلكم وروداً على الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب . ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن أبي الحديد في شرحه .

وأخذ النبي بيد علي فقال : إن هذا أول من آمن بي ، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصدّيق الأكبر .

وقال أيضاً : لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين لأنا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصدّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتري ، ولقد صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين ، وأنا أول من صلى معه .

وقال أيضاً : أنا أول رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أيضاً : أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أيضاً : أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين .

وقال أيضاً : اللهم إني لا أعرف عبداً من هذه الأمة عَبَدَك قبلي غير نبيك . (قاله ثلاث مرات) ثم قال : لقد صليت قبل أن يصلي الناس .

وقال أيضاً : بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وقال في أبيات له :

سبقتكم إلى الإسلام طراً ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وله أيضاً :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... به ربيت وسبطاه هما ولدي

صدّقته وجميع الناس في بُهَم ... من الضلالة والإشراك والنكد

قال جابر : سمعت علياً ينشد بهذا ورسول الله يسمع ، فتبسم رسول الله وقال : صدقت يا علي .

وكان هذا الأمر من الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين وقد روي ذلك نظماً ونثراً عن جماعة منهم يتجاوز عددهم خمسين رجلاً ، تجد ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث من الغدير لشيخنا الأميني (رحمه الله) .

ولشيخنا الأميني كلام لطيف قيّم في هذا الموضوع (وكل كلامه لطيف) قال : وأما نحن فلا نقول : إنه (علياً) أول من أسلم بالمعنى الذي يحاوله ابن كثير وقومه ، لأن البدأة به (الإسلام) تستدعي سبقاً من الكفر ، ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم ؟ ومتى أشرك حتى يؤمن ؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفية البيضاء ، واحتضنه حجر الرسالة ، وغذته يد النبوة ، وهذبه الخلق النبوي العظيم ، فلم يزل مقتصاً أثر الرسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعده ، فلم يكن له هوى غير هواه ، ولا نزعة غير نزعته (إلى أن قال) بل نحن نقول : إن المراد من إسلامه وإيمانه وأوليته فيهما وسبقه إلى النبي في الإسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى ـ عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿وأنا أول المسلمين﴾(1) وفيما قال سبحانه عنه : ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾(2) وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام : ﴿وأنا أول المؤمنين﴾(3) وفيما قال تعالى عن نبيه الأعظم : ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه﴾(4) وفيما قال : ﴿قل إني أُمرت أن أكون أول من أسلم﴾(5) وفي قوله : ﴿وأُمرت أن أُسلم لرب العالمين﴾(6) .

وقال ابن أبي الحديد :

---

(1) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٦٣ .

(2) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣١ .

(3) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٤٣ .

(4) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٥ .

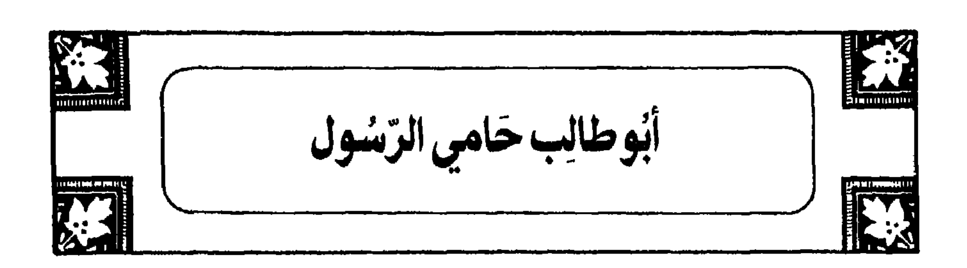
(5) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٤ .

(6) سورة غافر ؛ الآية : ٦٦.

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله ، وَعَبَدَه ، وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق ، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلّا السابق إلى كل خير : محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه الصلاة والسلام أول الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإيماناً به ، ولم يخالف في ذلك إلّا الأقلُّون .

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق له ذلك ، وعلمه واضحاً وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري ، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب الإستيعاب .



أبو طالب حامي الرّسول

قد ذكرنا في أول كلامنا الليلة أن التربية الصحيحة إنما تتسنى للطفل عن طريق المربي والوالدين والبيت الذي يفتح الطفل فيه عيناه ، فقد كان علي عليه السلام يتلقى دروس التوحيد من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من أيام صباه ويتعلم منه العلوم الإلهية طيلة أيام كونه طفلاً ويافعاً وشاباً وخليفة ، وكان يجد كل التشجيع من والده أبي طالب عليه السلام الذي كفل النبي من يوم وفاة عبد المطلب ، ولم يبلغ النبي يومذاك من العمر ثمان سنين وأخذه إلى بيته وضمه إلى أهله وولده ، وكان هو وزوجته السيدة فاطمة بنت أسد يبذلان كل ما في وسعهما في خدمة النبي والترفيه عنه حتى أنهما كانا يفضلانه على أولادهما في المطعم والملبس والعناية والخدمة ، وقام أبو طالب بما قام من أنواع العطف والحنان والرعاية والاهتمام بشأن النبي والإشادة بمواهبه في السفر والحضر .

ولأبي طالب عليه السلام الحظ الأوفر في القيام بتزويج النبي من السيدة خديجة والقضاء على المشاغبات والمنافسات التي كادت أن تحول دون ذلك الزواج الميمون .

ومواقف أبي طالب في سبيل التحفظ على النبي والدفاع عنه والحماية

له من بدء بعثته إلى آخر حياة أبي طالب ، مشكورة مذكورة في تاريخ المسلمين ، وإسلام أبي طالب عليه السلام وإيمانه بالنبي مما لا شك فيه عند كل مسلم منصف ، وهذا بعض تلك البحوث الشاهدة لما نحن فيه الآن :

قال ابن الأثير : إن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر رضي الله عنه : صل جناح ابن عمك وصل عن يساره .

وفي رواية : فقام جعفر إلى جنب علي ، فأحس النبي ، فتقدمهما ، فأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا ، فانصرف أبو طالب مسروراً ، وأنشأ يقول :

إن علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والنُوَب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأُمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من بنيَّ ذو حسب

وكان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه ، وكان شديد الحب والحنو عليه ، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيات إذا عرف مضجعه ، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع إبنه علياً مكانه ، فقال له علي ليلة : يا أبت إني مقتول . فقال له :

إصبرنْ يا بني فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاءُ شديد ... لفداءِ الحبيب وابن الحبيب
لفداءِ الأغر ذي الحسب الثا ... قب والباع والكريم النجيب

فأجاب علي بقوله :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن تر نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد ... نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا

وقال القرطبي في تفسيره : روى أهل السير قال : كان النبي قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبعري فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ فانفتل النبي من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : يا عم ! ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ: عبد الله بن الزبعري .

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لجللته بسيفي . فقعدوا حتى دنى إليهم ، فقال : يا بني من الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبعري ، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

وهناك أحاديث كثيرة متواترة حول إسلام أبي طالب وإيمانه ، بل وكتب طائفة من العلماء والفضلاء مؤلفات واسعة قيّمة حول إيمان أبي طالب أمثال كتاب اسنى المطالب ، وأبو طالب مؤمن قريش ، وكتاب : الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ، وفي المجلد السابع من الغدير لشيخنا الأميني ما يروي الغليل .

ولسيدنا أبي طالب عليه السلام قصائد وأبيات في مدح النبي ﷺ والإعتراف برسالته والتصديق بنبوّته ، وذكر الشيخ الأميني في المجلد السابع من الغدير عن بعض المؤرّخين : أن الأبيات التي قالها أبو طالب في مدح النبي ﷺ قد بلغت ثلاثة آلاف ونحن نقتطف أبياتاً تصرح بإيمان أبي طالب وتفانيه في نصرة النبي ، فقد كتب أبو طالب أبياتاً إلى النجاشي ملك الحبشة وهي :

لبعلم خيار الناس أن محمداً ... وزير كموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وقال أيضاً :

ألا أبلغا عني على ذات بينها ... لـؤيا وخُصّا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... رسولاً كموسى خُطَّ في أول الكتب

وقال أيضاً :

يرجون أن نسخي بقتل محمد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا ... جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وقال يخاطب النبي :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد دعوت وكنت ثَم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

وقال يمدح النبي :

لقد أكرم الله النبي محمداً ... فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من إسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

وقال أيضاً :

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل
ألم تعلموا أن إبننا لا مكذب ... لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقه غير باطل

وقال أيضاً :

أُوصي بنصر نبي الخير أربعة ... إبني علياً وشيخ القوم عباسا

---

(١) وقد ضمن حسان بن ثابت هذا البيت في مديح النبي صلى الله عليه وآله .

وحمـزة الأسـد الحـامي حقيقتـه وجعفـراً ان تـذودوا دونـه النـاسـا
كـونـوا فـداءً لكم أمي ومـا ولـدت في نصـر أحمـد دون النـاس أتـراسـا

وقال أيضاً :

إن ابـن آمـنـة الـنبـي محـمـداً عـنـدي يـفـوق مـنـازل الأولاد
راعـيت فيـه قـرابـة مـوصـولـة وحـفـظت فيـه وصيـة الأجـداد

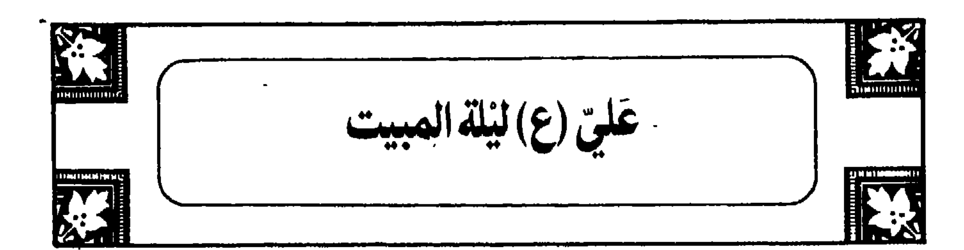
وغير ذلك من قصائده وأبياته المفصلة المذكورة في ديوانه وسجلتها كتب التراجم والتاريخ .

أما تكفي هذه الأحاديث وهذه القصائد أن تكون وثيقة لإيمان أبي طالب وإسلامه ، وهل الإسلام غير هذا ؟

ولو كان جزءٌ من هذه الآثار والمآثر لأبي قحافة والخطاب أو عفان لكانوا أول المسلمين ، ولكن أبا طالب عليه السلام بالرغم من تلك المواقف والمواطن التي وقف بها للدفاع عن النبي والمحافظة على حياته في الشعب وقبله وبعده ، وهذه الإعترافات منه بنبوّة محمد ورسالته ، لا تكفي للدلالة على إسلامه فيقولون : مات أبو طالب مشركاً كافراً .

فليكن كل هذا ، فإن هذه الغارات التي تشن على كفيل رسول الله وناصره والمحامي عنه إنما هي لأجل ولده علي عليه السلام فإن القوم لم يرضوا أن تكون ساحة نسب علي عليه السلام منزّهة عن كفر الجاهلية ، ولم تطب نفوسهم أن تكون هذه المفاخر لعلي عليه السلام وسيعلمون غداً يوم يساقون إلى الحساب عما كتبت أيديهم .

الليلة الثالثة



عليّ (ع) ليلة المبيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين .

قال الله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (1) .

حديثنا ـ الليلة ـ حول ما قام به علي عليه السلام من التضحية والتفادي في سبيل رسول الله والدفاع عنه ، ولقد ذكرنا في الليلة الماضية شيئاً يسيراً مما قام به أبوه سيدنا أبو طالب عليه السلام في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحماية له .

ومن هذه الليلة نبدأ بشرح ما قام به علي عليه السلام من توطين النفس لكل بلاءٍ ومكروه في سبيل الإسلام ، ولقد صدق من قال :

ولولا أبو طالب وإبنه لما مثل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما
فلله ذا فاتحاً للهدى ولله ذا للمعالي ختاما

فقد خلق الله تعالى علياً عليه السلام ليكون أجسن وزير وأشرف نصير

---

(1) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

للرسول وأوفى مدافع وأقوى مجاهد في سبيل الإسلام ، ولقد تحقق الهدف الذي خُلق علي عليه السلام من أجله ، وقد ذكرنا نهضته المباركة يوم الإنذار وإجابته طلب الرسول وتلبيته لندائه ، وكانت تلك النهضة فاتحة قيامه وجهاده ، إذ تجلت فيها شخصية علي عليه السلام وعبقريته ، وظهر مدى اعتماده على الله تعالى وعلى نفسه المتشبعة بالإيمان وقلبه المطمئن بذكر الله .

واستمر الأمر من ذلك اليوم فكأنه فترة التدريب أو الامتحان التمهيدي الذي لا بد منه لكل مصلح منقذ أن يجس نبض المجتمع ليكون على بصيرة أكثر فينضج فكره بالتجارب لاتخاذ التدابير اللازمة لمشروعه الذي ينوي القيام به والسير على المخطط الذي جعله برنامجاً لحياته .

ولولا خشية الإفتراء على علي عليه السلام لقلت : إن قلب علي عليه السلام هو أقوى قلب خلقه الله في صدور البشر ، وإن أعصاب عليٍّ كانت تستمد القوى من طاقة غير متناهية .

وإلا فكيف يمكن للبشر أن لا يدخل الخوف قلبه ، ولا تتوتر من الأهوال أعصابه ، ولا يخشى من المستقبل المبهم الغامض ولا تستولي عليه الغرائز : غريزة حب الذات ، حب الحياة ، الأنانية وغيرها من الطبائع التي كثيراً ما تحول بين الإنسان وبين ما يريد ؟

ومن هذا الحديث ندرك الشجاعة التي خامرت نفس علي عليه السلام من صباه : عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام أنه سُئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة ـ لما بارزه عليٌّ عليه السلام ـ: يا قضم ؟

قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب ، وأغروا به الصبيان وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب ، وشكى ذلك إلى علي عليه السلام ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعادتهم ، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم ، الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون : قَضَمَنا عليٌّ عليه السلام . قضمنا علي . فسمي لذلك : القضم .

ولقد حاول المشركون وكفار مكة خنق الإسلام والقضاء على حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشتى الطرق والأساليب ، فكانت حركاتهم فاشلة ، وجاؤا إلى أبي طالب وسألوه أن يمنع الرسول عن سب الآلهة!! وإفساد الشبان!! وتسفيه الأحلام ! فلم يجدوا التجاوب من أبي طالب عليه السلام .

فجعلوا يحاربون النبي حرب الأعصاب ، وجاؤا عن طريق التهديد والوعيد وإسناد السحر والجنون إليه ، وقذفه بالحجارة وتلويث ثيابه بالدم والأقذار . وكتبوا الصحيفة القاطعة وقاطعوا بني هاشم أقسى مقاطعة ، كل ذلك لا يزيد النبي إلا ثباتاً واستقامة ، وخاصة لما نزلت عليه الآية : ﴿فاستقم كما أُمرت﴾[1] واستمر الحال على هذا المنوال حتى توفيت السيدة خديجة الكبرى وبعد مدة يسيرة توفي سيدنا أبو طالب ، وكانا بمنزلة جناحين لرسول الله ، وخيمت الأحزان على قلب الرسول حتى سمي تلك السنة (عام الحزن) .

وعند ذلك خلا الجو للمشركين ، واستضعفوا النبي لفقدان الناصر ، وعزموا على اغتيال النبي وقتله ، وإليكم التفصيل :

اجتمع المشركون في دار الندوة وتذاكروا حول قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقرر أخيراً أن يجتمع من كل قبيلة رجل واحد ويهجموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقتلوه في بيته ، واجتمع أربعون رجلاً من أربعين قبيلة واجتمعوا على باب دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزل جبرائيل على النبي وأخبره بمكيدة القوم وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة ، فأرسل النبي إلى عليٍّ وقال له : يا علي إن الروح هبط عليّ يخبرني أن قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي وأنه أوحى إليّ عن ربي أن أهجر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور ، تحت ليلتي ، وأنه

(١) سورة هود ؛ الآية : ١١٢ .

أمرني أن آمرك بـالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليـه أثري فمـا أنت قائل وصانع ؟ فقال علي عليه السلام : أوَتسلَمن بمبيتي هناك يا نبي الله ؟

قال : نعم ، فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً ، وأهوى إلى الأرض ساجداً ، شكـراً لما أنبـأه به رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سلامتـه ، فكان علي عليه السلام أول من سجد لله شكراً ، وأول من وضـع وجهه على الأرض بعـد سجدتـه من هذه الأُمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه قال له : أمضي لما أُمرت ، فداك سمعي وبصري وسويداءُ قلبي ، ومرني بمـا شئت أكون فيـه كمسرتـك وأقَع منـه بحيث مـرادك ، وإن تـوفيقي إلا بـالله ، وقـال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو أن ألقي عليك شبهة مني ، أو قال : شبهي ، قال : أن يمنعوني نعم ، قال : فارقد على فـراشي واشتمـل ببـردي الحضـرمي ، ثم إني أخبـرك يـا علي أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه ، فأشدّ النـاس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل ، وقـد امتحنك يـا ابن أُم وامتحنني فيك بمثـل ما امتحن به خليله إبراهيم عليه السلام والـذبيح إسمـاعيل عليه السلام ، فصبـراً صبراً ، فـإن رحمة الله قريب من المحسنين ، ثم ضمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدره وبكى إليه وجداً به ، وبكى عليٌّ عليه السلام جزعاً على فراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي روايـة : قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لعلي عليه السلام ـ: أرضيت أن أُطلَب فـلا أُوجد وتـوجد ؟ فلعله أن يبـادر إليك الجهـال فيقتلوك ؟ قـال : بلى يـا رسول الله رضيت أن يكون روحي لروحك وقـاء ونفسي لنفسك فـداء ، بل رضيت أن يكـون روحي ونفسي فـداء أخ لـك أو قـريب . . . وهـل أحب الحياة إلا لخدمتك ، والتصرف بين أمرك ونهيك ، ولمحبـة أوليائـك ونصرة أصفيائك ومجاهدة أعدائك .

لولا ذلك لَمـا أحببت أن أعيش في هذه الـدنيا سـاعة واحـدة . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لعلي عليه السلام فإذا قضيت مـا أمرتـك من أمر فكن على أهبـة الهجرة إلى الله ورسوله ، وسر إليَّ لقدوم كتابي عليك ، ولا تلبث بعده .

فـانطلق النبي إلى الغـار ، ونام عليٌّ في مكـانـه ولبس بـرده ، فجـاء

قريش يريدون أن يقتلوا النبي ﷺ، فجعلوا يرمون علياً وهم يرون أنه النبي وكان علي عليه السلام يتضوّر (يتلوى) من الألم ولا يتكلم لئلا يعرفوه ، وكان القوم يريدون الهجوم على البيت ليلاً ، فيمنعهم أبو لهب ويقول لهم : يا قوم إن في هذه الدار نساء بني هاشم وبناتهم ، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة إذا وقعت الصيحة عليهن ، فيبقى ذلك علينا مسبة وعاراً إلى آخر الدهر في العرب .

فجلسوا على الباب حتى طلع الفجر ، فتواثبوا إلى الدار شاهرين سيوفهم ، وقصدوا نحو مضجع النبي ومعهم خالد بن الوليد ، فقال لهم أبو جهل : لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر ، ولكن ارموه بالأحجار لينتبه بها ثم اقتلوه ، أيقظوه ليجد ألم القتل ، ويرى السيوف تأخذه !!

فرموه بأحجار ثقال صائبة ، فكشف عن رأسه ، وقال : ما شأنكم ؟ فعرفوه ، فإذا هو علي عليه السلام فقال أبو جهل : أما ترون محمداً كيف أبات هذا ونجى بنفسه لتشتغلوا به ؟ وينجو محمد ، لا تشتغلوا بعلي المخدوع لينجو بهلاكه محمد ، وإلاّ فما منعه أن يبيت في موضعه إن كان ربه يمنع عنه كما يزعم .

ثم قالوا : أين محمد ؟ قال : أجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قلتم : نخرجه من بلادنا ؟ فقد خرج عنكم .

فأرادوا أن يضربوه فمنعهم أبو لهب ، وقالوا ـ لعلي ـ: أنت كنت تخدعنا منذ الليلة (أي بنومك على فراش النبي خدعتنا وظننا أنك محمد) وبقي النبي ﷺ في الغار ثلاثة أيام وكان علي يأتيه بالطعام والشراب وفي رواية : استأجر ثلاث رواحل للنبي ولأبي بكر ولدليلهم .

وخرج النبي بعد ذلك من الغار وتوجه نحو المدينة .

روى الثعلبي في تفسيره قال : لما أراد النبي ﷺ الهجرة خلف علياً عليه السلام لقضاء ديونه ، ورد الودائع التي كانت عنده وأمر ليلة خرج إلى

الغـار ، وقد أحـاط المشركـون بالـدار ، وقـال لـه يـا علي : إتّشح ببـردي الحضرمي ، ثم نم على فراشي فـإنه لا يخلص إليـك منهم مكروه إن شـاء الله ، ففعل ما أمره ، فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكـائيل : إني قـد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ، فـأيكما يؤثـر صاحبـه بالحياة ؟ فاختار كل منهما الحياة ، فأوحى الله عـز وجل إليهمـا : ألا كنتما مثـل علي بن أبي طالب ؟ آخيت بينـه وبين محمد ﷺ فبـات على فراشـه يفـديه بنفسـه ، ويؤثره بـالحياة ، اهبـطا إلى الأرض فـاحفـظاه من عـدوه ، فنزلا ، فكان جبرئيل عند رأسه ، وميكائيل عنـد رجليه ، وجبـرئيل يقـول : بخ بخ ! مَن مثلك يا بن أبي طالب ، يباهي الله بك مـلائكته ؟؟ فـأنزل الله عـز وجل على رسـوله ﷺ وهـو متوجـه إلى المدينـة في شأن علي بن أبي طـالب عليه السلام **﴿ومن الناس من يشـري نفسه ابتغـاءَ مرضـات الله والله رؤوف بالعباد﴾**[1] .

قال رسول الله ﷺ: نزل عليَّ جبرئيـل صبيحة يـوم الغار ، فقلت : حبيبي جبـرئيل أراك فَرِحاً ، فقـال : يا محمـد وكيف لا أكون كـذلك وقـد قـرت عيني بمـا أكـرم الله بـه أخـاك ووصيـك وإمــام أُمتـك علي بن أبي طـالب عليه السلام ، فقلت : بمـاذا أكـرمـه الله ؟ قـال : بـاهى بعبـادتـه البـارحـة مـلائكتَه ، وقـال : ملائكتي ! انـظروا إلى حجتي في أرضي بعد نبيي وقـد بـذل نفسه ، وعفـر خدَّه في التـراب تواضعـاً لعظمتي ، أُشهـدكم أنه إمـام خلقي ومولى بريتي .

وكـان علي عليه السلام يعتز ويفتخـر بهذه المـوفقية التي نـالها من عنـد الله تعالى فقال شعراً :

وقيت بنفسي خيـر من وطـأ الحصى	ومن طـاف بـالبيت العتيق وبـالحجـر
محمــد لمـا خـاف أن يمكـروا بــه	فــوقـاه ربي ذو الجــلال من المكـر
وبــتُّ أُراعيـهم مـتـى ينـشــرونـني	وقـد وطنت نفسي على القتل والأسـر

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

وبــات رســول الله في الغــار آمنــاً   هنــاك وفي حفظ الإلــه وفي ستــر
أقــام ثــلاثــاً ثــم زمّــت قــلائص   قـلائص يفرين الحصى أينما تفـري

إن هذا العمل العظيم الذي قام به الإمـام العظيم علي عليه السلام وقـع من أهـل السماوات مـوقع الإعجـاب والإكبار والتقـديـر ، وهـذه المـواسـاة هي الفريدة من نوعها في تاريخ الإسلام بل وفي تـاريخ الأنبيـاء ، فلا غـرو ولا عجب إذا طـأطأ العـظماءُ رؤوسهم إجـلالاً لعلي عليه السلام ونثروا الثنـاء الجميل نظماً ونثـراً ، ولـم ينحصر التنـويه والإشـادة بهذه المكـرمة بـالمسلمين ، بل شاركهم من غير المسلمين كل من تطبـع بروح الفضيلة وحمـل بين جوانـح صدره قلباً وعى جزءً من الفتوة والشهامة والنجدة وكلٌّ يعمل على شاكلتـه ، وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح .

أما من المسلمين فالسيد ابن طاووس لـه كلام لـطيف وتحقيق ظريف سنذكره . وأما من غير المسلمين فأحدهم جـورج جرداق الكـاتب المعاصر وبـولس سلامـة في ملحمـة الغـديـر ، ونكتفي ـ هنـا ـ بكـلام ابن طـاووس وجورج جرداق وبولس سلامة .

قـال السيـد ابن طـاووس في كتـاب الإقبــال . . . ومن أسـرار هــذه المهاجرة : أن مـولانا علياً عليه السلام بات على فـراش المخاطـرة وجاد بمهجتـه لمالك الدنيا والآخرة ولرسـوله صلى الله عليه وآله وسلم فـاتح أبـواب النعم الباطنـة والظاهـرة ، ولــولا ذلـك المبيت واعتقــاد الأعـداء أن النــائم على الفـراش هــو سيـد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم لما كـانوا صبـروا عن طلبه إلى النهـار حتى وصل إلى الغـار ، فكانت سلامة صاحب الرسالـة من قبل أهـل الضلالـة صادرة عن تـدبير الله جل جلاله بمبيت مولانا علي عليه السلام في مكانـه وآية بـاهرة لمـولانا علي عليه السلام شـاهدة بتعـظيم شأنـه ، وأنزل الله جـل جلالـه في مقدس قـرآنـه : **﴿ومن النـاس من يشري نفسـه ابتغاءَ مـرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾**[1] فأخبر أن لمولانا علي عليه السلام كانت بيعاً لنفسه الشريفة ، وطلباً لـرضاء الله جـل جلالـه

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

دون كل مراد ، وقد ذكرنا في الطرائف من روى هذا الحديث من المخالف ، ومباهاة الله جل جلاله تلك الليلة بجبرئيل وميكائيل في بيع مولانا علي عليه السلام بمهجته ، وأنه سمح بما لم يسمح به خواص ملائكته .

ومنها : أن الله جل جلاله زاد مولانا علياً عليه السلام من القوة الإلهية والقدرة الربانية إلى أنه ما قنع له أن يفدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الشريفة ، حتى أمره أن يكون مقيماً بعده في مكة مهاجراً للأعداء قد هربه منهم وستره بالمبيت على الفراش وغطاه عنهم ، وهذا ما لا يحتمله قوة البشر إلا بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر .

ومنها : أن الله عز وجل لم يقنع لمولانا علي عليه السلام بهذه الغاية الجليلة حتى زاده من المناقب الجميلة ، وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيام بمكة لحفظ عيال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يسير بهم ظاهراً على رغم الأعداء وهو وحيد من رجاله ، ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه .

ومنها : أن فدية مولانا علي عليه السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت من أسباب التمكين من مهاجرته ومن كل ما جرى من السعادات والعنايات بنبوته ، فيكون مولانا علي عليه السلام قد صار من أسباب التمكين من ما جرت حال الرسالة عليه ومشاركاً في كل خير فعله النبي صلوات الله عليه ، وبلغ حاله إليه ، وقد اقتصرت في ذكر أسرار المهاجرة الشريفة النبوية على هذه المقامات الدينية ، ولو أردت بالله جل جلاله أوردت مجلداً منفرداً في هذه الحال ، ولكن هذا كافٍ شافٍ للمنصفين وأهل الإقبال .

وقال الكاتب المسيحي جورج جرداق في كتابه : (صوت العدالة الإنسانية) :

أما علي بن أبي طالب ، فما كان أعجب أمره يوم غامر في سبيل عقيدته التي هي عقيدة محمد بن عبد الله ، وفي سبيل الحق ورعاية الشرف والإخاء هذه المغامرة التي لم يعرف التاريخ أجلّ منها ، وأقوى وأدل على وحدة الذات بين عظيم وعظيم .

وإنهـا لإرادة على التضحية قـلّ أن تجـد لهـا مثيـلاً إلا في الـظروف النادرة التي تقف بها النفس الإنسانية الواعية بين حـالين من وجود وفنـاء في حيّز من إدراك معنى الوجود على مثال خاص .

فـإما أن تؤثـر لهذا الجسـد عيشاً يقـربه دون مـا يحييـه من قيم الحياة الصاعدة ، فتنكر هذه القيم وتفضل عليها وجـوداً هو أشبـه بالفنـاء من حيث أن الوجود حياة تُحيا ! وإما أن تؤثر لهـذا الكيان الإنسـاني انصهاراً بكليـات القيم دونما نظر إلى وجود عضوي لا يتصل بروح الوجود الفذ ، فتأتي هـذه القيم سالكاً إليها طريق التهلكة . وما فناؤك آنذاك إلا دليل على أن الوجـود إنما هو لديك حياة تحيا لا عيش يعاش !

أجـل ، إنها لتضحيـة قلّ أن تجـد لهـا مثيـلاً إلا في اختيـار سقـراط للموت وفي مسلك غيره من السقارطة ، تضحيـة علي بن أبي طالب يفـدي النبي بنفسه راضياً مختاراً على صورة أهون منها على لقاء الموت في ساحة القتال ، أو على شفاه قمقم السم ! فما أصعب على المرء أن يـأخذ مكـان رجل حكم عليه المجرمون بالقتل . وأن يرقد في فـراشه فـلا يخطئـه هؤلاء إذا دخلت إرادتهم طور التنفيذ وهم منـه على خطوات ينـظرون إليه ويسمـع إليهم . ثم إنه يترقب بين حين وحين رؤيـة أنظارهم تتـوامض بالغـدر تحت عينيه ، وسيوفهم تتلامع بالموت فوق رأسه ، طوال ليلة كاملة !

لقد كان علي بمغـامرتـه هذه استمـراراً لمحمد . وكـانت تضحيته من روح المقاومة التي عرف بها ابن عمه العظيم ، وكان مبيته في فـراش النبي تزكية للدعوة وحافزاً على الجهاد الطويل ! ثم إن في هذه المغامرة ما يـوجز الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه ، فإذا هي صادرة عنه كما تصـدر الأشياءُ عن معادنها دون تكلف ودون إجهاد . ففيها نموّه الذهني المبكر الذي جعله يدرك من الدعوة التي يدق فهمها فهماً صحيحاً على من كان في مثل سنه .

وفيها زهده بالحياة إذا لم تكن عمـراً لمكارم الأخـلاق . وفيها صـدقه المر وإخلاصه العجيب . وفيها عدله بين نفسـه وبين سواه من أهـل الجهاد

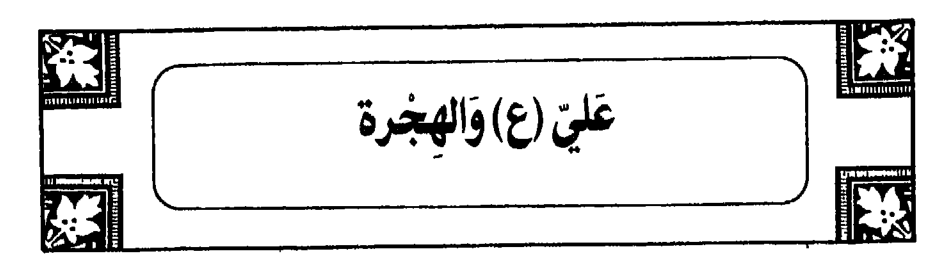
وما يتوخاه بذلك من نصرة للمظلومين والمستضعفين إذا قتل هو ونجحت الرسالة على يدي صاحب الهجرة . وفيها مواجهته للأمور بسماحة وبساطة لا يعرف معهما إلى الكلفة سبيلاً . وفيها المروءة والوفاء والطيبة والشجاعة وسائر صفات الفروسية التي يمثلها علي بن أبي طالب . بل قل هي شيءٌ من استشهاده المقبل . . .

وقال الأستاذ بولس سلامة في ملحمة الغدير :

هزه الشوق للنبي فشد   العزم يهفو إلى جماع المآثر
في رمال الصحراء يسري وحيداً   مقفر الكف أعوزته الأباعر
صابر في العذاب والجوع حتى   عجب القفر من تقشف صابر

إلى أن يقول :

لا فراش سوى الثرى، لا غطاءٌ   لا ضياءٌ سوى النجوم الزواهر
فيناجي السهى يصعد في الأجواءِ طرفاً يشق ستر الدياجر
إن هذا الصمت الرهيب لقدس   يغسل المرء بالعذاب الصاهر
فالخطوب الجسام والألم الممدود وحي ومطهر للضمائر
فإذا كان طاهراً كعلي   شدّ لله قلبه بأواصر
يذكر الله بكرة وعشيا   ويصلي في كل ومضة خاطر
فالمناجاة والصلاة عطور   تتعالى إلى السماء مباخر
يا رمال الصحراء هذا علي   فاملئي الدرب والضفاف أزاهر
هو بعد النبي أشرف ظل   لاح في السبسب الخلي مهاجر
حمّلي أجنح الأثير نسيماً   من جفون الأسحار ريان عاطر
وابسطي حوله الزنابق فرشاً   وانشري فوقه الغمام مقاصر



عليّ (ع) والهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيد أنبياء الله محمد وآله سادات أولياء الله .

ومن كلام لإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : (أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد ، فاقتلوه ولن تقتلوه ، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني . فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة) .

هذه الجملات تجدونها في أكثر كتب الحديث وخصوصاً في كتاب نهج البلاغة في ضمن خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

أخبر الإمام الناس باستيلاء معاوية على رقاب المسلمين ، وذكر صفة من رذائله وهي كثرة الأكل وعدم الشبع لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليه بقوله : «لا أشبع الله بطنه» .

ولسنا الآن في مقام التحدث عن معاوية ونفسياته وإنما نقتطف من هذه الجملات جملة واحدة ، ونجعلها محور حديثنا الليلة ، وهي قوله عليه السلام : «سبقت إلى الإيمان والهجرة» أما السبق إلى الإسلام والإيمان

فقد مضى الكلام عنه ، وأما السبق إلى الهجرة ، فليس المقصود من الهجرة الانتقال من بلد إلى آخر ، ولا يعدّ هذا فضيلة ، فما أكثر المهاجرين ! ولعل المقصود من الهجرة هو ترك الوطن وكل ما فيه لله وفي الله ، وقد قال تعالى : ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾[1] وهذه الآية في شأن المجاهدين الذين يقتلون في سبيل الله والحجاج الذين يموتون في طريق الحج .

والله تعالى يفضل المهاجرين على غيرهم لأنهم تركوا كل ما كانوا يملكون من المال والأهل والولد لأجل المحافظة على دينهم والتخلص من المشركين الذين كانوا يحاربون المسلمين أشد محاربة .

وعلي عليه السلام سبق المسلمين إلى الهجرة ، وقد اتفق المؤرخون وأجمعوا على أن علياً هو أول من التحق بالرسول وهو في المدينة وذلك بعد أن رد الودائع والأمانات إلى أهلها وعزم على الخروج من مكة إلى المدينة ، وقد ذكر المؤرخون : أن أبا بكر هاجر مع النبي من الغار إلى المدينة فيمكن لنا أن نقول : أن خطاب علي عليه السلام كان موجهاً إلى الناس المخاطبين في ذلك اليوم وليس فيهم أبو بكر ، وعلي سبق المسلمين إلى الهجرة ، ويمكن أن نناقش في خروج أبي بكر مع النبي بأنه لم يقصد الهجرة أي ترك مكة وما فيها وإنما خرج مداراة ومجاراة وصحبة مع النبي وسايره حتى وصل إلى قباء خارج المدينة . وعلي خرج من مكة بهذا القصد ، وترك وراءه كل شيء ، فيصح أن يقال عنه : إنه أول المهاجرين على الإطلاق ، ويمكن أن يكون المقصود الهجرة إلى الدين كما قال تعالى عن لسان لوط : ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾[2]، وأما كيفية هجرة علي عليه السلام من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية :

كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه ، وقلة التلوم ، وكان الرسول بعث إليه أبا واقد الليثي ، فلما

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١٠٠ .

(٢) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٢٦ .

أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهيأ للخروج والهجرة .

قال ابن شهر آشوب : واستخلفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لرد الودائع ، لأنه كان أميناً ، فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع : يا أيها الناس هل من صاحب أمانة ؟ هل من صاحب وصية ؟ هل مَن عدة له قبل رسول الله ؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي .

وقال ابن شهر آشوب أيضاً : أمره النبي أن يؤدي عنه كل دين وكل وديعة وأوصى إليه بقضاء ديونه ، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا ـ إذا ملأ الليل بطن كل واد ـ إلى ذي طوى ، وخرج علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وقد قيل : هي ضباعة ، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو واقد رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم ، فقال علي عليه السلام : إرفق بالنسوة أبا واقد ! إنهن من الضعائف ، قال : إني أخاف أن يدركنا الطالب ـ أو قال : الطلب ـ فقال علي عليه السلام : أربع عليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي : يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه ، ثم جعل ـ يعني علياً عليه السلام ـ يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول :

ليس إلا الله فارفع ظنكا   يكفيك رب الناس ما أهمكا

وسار ، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قريش مستلثمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحا ، فأقبل علي عليه السلام على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما : أنيخا الإبل وأعقلاها . وتقدم حتى أنزل النسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم علي عليه السلام منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه فقالوا : ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة ، إرجع لا أبا لك ، قال : فإن لم أفعل ؟ قالوا : لترجعن راغماً ، أو لنرجعن بأكثرك شعراً ، وأهون بك من هالك . ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها ، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها ، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي عليه السلام عن

ضربته ، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كاثبة فرسه ، فكان علي عليه السلام يشد على قدمه شد الفرس ، أو الفارس على فرسه ، فشد عليهم بسيفه وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه ، فقالوا له : اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب ، قال : فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيثرب ، فمن سره أن أفري لحمه وأُهريق دمه فليتبعني ، أو فليدن مني ، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما : أطلقا مطاياكما ، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان ، فتلوَّم بها قدر يومه وليلته ، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين ، وفيهم أُم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلبثوا هناك هو والفواطم : أُمه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة بنت الزبير يصلون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ، فصلى علي عليه السلام بهم صلاة الفجر ، ثم سار لوجهه ، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عز وجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة ، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم : **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾**(١) إلى قوله : **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أُنثى﴾**(٢) .

ولما نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقباء خارج المدينة بقي ينتظر قدوم علي عليه السلام ، فقال له أبو بكر : إنهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك ، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً ، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كلا ، ما أسرعه .

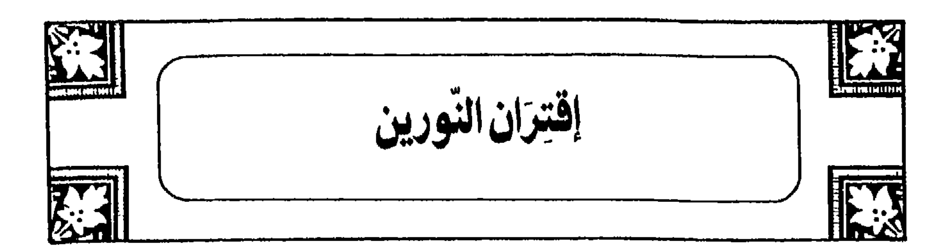
---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩١ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩٥ .

ولست أُريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إليّ فقد وقاني بنفسه من المشركين فبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر يوماً فوافى علي بعياله وقد تفطرت قدماه فاعتنقه النبي وبكى رحمة لما بقدميه من الورم . وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً .

الليلة الخامسة



إقتِرَان النّورين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على رسول الله وعلى آله آل الله .

قال الله تعالى : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (١) .

النكاح من سنن الله تعالى في عباده ، والمقصود منه التناسل والتكاثر تحت ظل القانون الإلهي ، وليس الهدف منه إشباع الغريزة الجنسية فقط بل هو في ضمنه وإنما هو كالحصن يحفظ الإنسان من فساد الخلاعة وويلات الفجور .

والهدف الأسمى من النكاح هو : تأسيس بيت عائلي لتكوين جيل يربط الوالدين بتقبل المسؤوليات التي يتطلبها الجيل من بدو إيجاده إلى أن يقطع أدوار الحياة ، وأطوارها من جنين ووليد ورضيع وفطيم وصبي وغلام ومراهق وشاب ويافع ، أو بنت وشابة وفتاة وامرأة .

فالنسل بحاجة ماسة ـ في أدواره ـ إلى الكفيل والمربي والمنفق والمؤدب والولي ، إلى جانب حاجته إلى الرضاعة والحضانة والتربية والعناية

---

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣٢ .

والخدمة وتأمين لوازم الحياة من المأكل والملبس والمسكن والتعليم وما شابه ذلك .

ولا يندفع أحد إلى تحمل هذه المسؤوليات كما يندفع الوالدان ، ولا أظن أني أحتاج في هذا البحث إلى إقامة الدليل والبرهان .

فهل تكون المرضعة كالأم ؟، وهل الموظفات في دور الحضانة والروضات يسهرن الليالي للطفل المريض كما تسهر الأم الحنون ؟؟

وقد قيل : ليست الثكلى كالمستأجَرة ، فهناك فرق كبير وبون شاسع بين من يندفع للعناية والرعاية بالأطفال بدافع الأبوة والعاطفة والمحبة التي لا يكدّرها شيءٌ ، وبين من يتحمل مسؤوليةً بدافع الراتب والوظيفة .

وإدراك أهمية هذا الموقف كثيراً ما يحول بين الوالدين وبين إجابة رغبات الأولاد وتحقيق هواياتهم التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، فالإرتباط بالعائلة يدفع الإنسان إلى التفكير حول تأمين حياته والخوض في معركة العمل المثمر والإنتاج المفيد ، وفي الوقت نفسه يردعه عن كل مجازفة تهدد كيانه وحريته وتعرقل عليه المساعي كالإقدام على جريمة القتل أو ارتكاب الجنايات التي تؤدي إلى شقاء الوالدين .

وإن هذه الأحزاب والمبادىء ـ التي استولت على الشباب واستنزفت منهم كل نشاط وطاقة ـ لم تنجح إلا بعد أن تقهقرت سُنّة الزواج بين المسلمين ، وكثر عدد العزاب والبطالين الذين لا تربطهم بالحياة البيتية والعائلية أية رابطة أو مسؤولية ، ولعل الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى هذا الموضوع حيث قال عليه السلام : من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر .

هذا والبحث طويل والكلام يحتاج إلى تفصيل ، وقد ذكرنا هذه المقدمة لحديثنا العذب في هذه الليلة .

العراقيل والمشاكل التي سدَّت على شبابنا طرق الزواج وجعلتهم يهابون

النكاح ولا يهابون السفاح ، ويفضلون الكبت والضغط (على غرائزهم) أو يرجحون الفساد والمجون على انتخاب زوجة تشاركهم حلو الحياة ومرها وأفراحها وأتراحها . هذه العراقيل كانت موجودة في الجاهلية ولكن بصورة أُخرى . كغلاء المهر والعصبيات القبلية وما شاكلها ، فتكونت عندهم الأزمات بجميع أقسامها ، واشتدت الحالة حتى أدت إلى دفن البنات وهن في قيد الحياة ، قال تعالى : **﴿وإذا الموؤدة سُئلت بأي ذنب قُتلت؟﴾**[1] وقال عزوجل : **﴿وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟؟ ألا ساء ما يحكمون﴾** [2] .

فكان من جملة الخطوات الإصلاحية التي قام بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو القضاءُ على هذه العادات الجهنمية والتقاليد الجاهلية ، وإلى هذه الناحية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأُمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأْمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[3] .

ولم يكتف الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم بمكافحة هذه السيئات ـ عن طريق اللسان ، فالكلام ـ وحده ـ لا يجدي ، وإنما قام الرسول بفك هذه الأغلال عن طريق العمل . فمن جملة ذلك : أنه زوج إبنته الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأبسط ما يمكن ، وتجسّم التساهل في ذلك الزواج المبارك بخفة المؤونة وانتهاء الأمر بكل بساطة بعيداً عن التكاليف المجهدة المتعبة التي يفرّ من شبحها الشباب المغلول بسلاسل التقاليد ويفضِّل العزوبة على الزواج المقرون بالمشاكل ، وإليكم الواقعة :

---

(١) سورة التكوير ؛ الآيتان : ٨ و ٩ .

(٢) سورة النحل ؛ الآيتان : ٥٨ و ٥٩.

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٥٧ .

لما أدركت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام ، والشرف والمال ، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعرض عنه رسول الله بوجهه ، حتى كان الرجل منهم يظن ـ في نفسه ـ أن رسول الله فيه وحيٌ من السماء .

ولقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ، فقال له رسول الله : أمرُها إلى ربها ، وخطبها بعد أبي بكر عمرُ بن الخطاب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمقالته لأبي بكر .

فجاء أبو بكر وسعد بن معاد إلى علي عليه السلام وهو خارج المدينة يسقي نخلاً له ، وسألاه عما يمنعه عن خطبة فاطمة عليها السلام فقال لهما علي : ما يمنعني إلا الحياء وقلة ذات اليد (المال) فقال لهِ سعد : إذهب إلى رسول الله واخطب منه فاطمة ، فإنه يزوجك ، والله ما أرى رسول الله يحبسهاإلا عليك . فقال علي : فأقول ماذا ؟ فقال سعد : تقول : جئت خاطباً إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد .

فأقبل علي عليه السلام يقصد دار النبي ، وهبط جبرئيل على الرسول وأخبره بمجيء علي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار أُم سلمة ، فدق عليٌّ الباب ، فقالت أُم سلمة : من بالباب ؟ فقال لها الرسول ـ من قبل أن يقول علي : أنا ـ : قومي يا أُم سلمة فافتحي له الباب ، ومُريه بالدخول ، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما .

فقالت أُم سلمة : فداك أبي وأُمي ، ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره ؟ فقال : مه يا أُم سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق[1] ، هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إليّ .

فقامت أُم سلمة وفتحت الباب وإذا هو علي بن أبي طالب قالت أُم سلمة : والله ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أني رجعت إلى خِدري ، ثم

(١) الخرق : سيىء التصرف والجاهل . والنزق : الخفيف في كل أمر ، العجول في الجهل والحمق .

دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال النبي : وعليك السلام إجلس .

فجلس علي ، وجعل ينظر إلى الأرض ، كأنه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبديها ، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي : إني أرى أنك أتيت لحاجة ، فقل ما حاجتك ؟ وأبد ما في نفسك فكل حاجة لك مقضية .

فقال علي عليه السلام : فداك أبي وأُمي ، إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي ، فغذيتني بغذائك وأدبتني بأدبك ، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة ، وأن الله تعالى هداني بك وعلى يديك وأنت (والله) يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة .

يا رسول الله : فقد أحببت ـ مع ما شد الله من عضدي بك ـ أن يكون لي بيت وأن يكون لي زوجة أسكن إليها ، وقد أتيتك خاطباً راغباً ، أخطب إليك إبنتك فاطمة ! فهل أنت مزوجي يا رسول الله ؟

فتهلل وجه رسول الله فرحاً وسروراً ، ثم تبسم في وجه علي وقال : فهل معك شيءٌ أُزوجك به ؟ فقال علي : فداك أبي وأُمي ، والله ما يخفى عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي (البعير الذي يحمل عليه الماء) وما ليَ شيء غير هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله . وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك ، وتحمل عليه رحلك في سفرك ولكني قد زوجتك بالدرع ، ورضيت بها منك .

يا علي أُبشرك ؟. فقال : نعم فداك أبي وأُمي ، بشرني فإنك لم تزل ميمون النقيبة ، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلى الله عليك . فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إبشر فإن الله قد زوجكها في السماء من قبل أن أُزوجك في الأرض . . إلى آخر كلامه .

ثم قال : يا علي إنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ولكن على رسلك حتى أخرج إليك فدخل عليها فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأتته بالوضوء فوضئته بيدها وغسلت رجليه ثم قعدت فقال لها : يا فاطمة فقالت : لبيك ما حاجتك يا رسول الله ؟ قال : إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه وقد ذكر عن أمرك شيئاً فما ترين ؟ فسكتت ولم تولّ وجهها ولم ير فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كراهة ، فقام وهو يقول : الله أكبر ، سكوتها إقرارها ، فمضى عليٌّ إلى المسجد ، وجاء رسول الله في أثره ، وفي المسجد المهاجرون والأنصار ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على درجة من المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : معاشر المسلمين إن جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربي عز وجل أنَّه جمع الملائكة عند البيت المعمور وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده علي بن أبي طالب ، وأمرني أن أُزوجه في الأرض وأُشهدكم على ذلك ، ثم جلس وقال لعلي : قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك : فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، ولا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وصلى الله على محمد صلاة تزلفه وتحظيه ، والنكاح مما أمر الله عز وجل به ورضيه ، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فيه ، وقد زوجني رسول الله إبنته فاطمة ، وجعل صداقها درعي هذا وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا . فقال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: زوَّجته يا رسول الله ؟ فقال : نعم . فقالوا بارك الله لهما شملهما . وانصرف رسول الله إلى أزواجه وأقبل فقال : يا علي انطلق الآن فبع درعك وأْتني بثمنه حتى أُهيىء لك ولإبنتي فاطمة ما يصلحكما قال علي : فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية وقيل بأربعمائة وثمانين أو خمسمائة من عثمان بن عفان فلماقبضت الدراهم أقبلت إلى رسول الله وطرحت الدراهم بين يديه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي بكر فدفعها إليه وقال : اشتر بهذه الدراهم لإبنتي ما يصلح لها في بيتها ، وبعث معه سلمان وبلالاً ليعيناه على حمل ما يشتريه ، قال أبو بكر : أحصيت الدراهم

التي أعطانيها ثلاثة وستين درهماً فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف ، ونطعاً من أدم ، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل ، وعباءة خيبرية ، وقربة للماء ،وكيزاناً ، وجراراً ، ومطهرة للماء ، وستر صوف ، رقيقاً وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله ﷺ فلما نظر إليه بكى ، وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم بارك لقوم جُلّ آنيتهم الخزف ! قال علي : ودفع رسول الله باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة فقال : أتركي هذه الدراهم عندك . ومكثتُ بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله ﷺ في أمر فاطمة بشيءٍ استحياءً من رسول الله غير أني كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي : يا أبا الحسن ما زوجتك سيدة نساء العالمين . قال علي : فلما كان بعد شهر دخل عليٌّ أخي عقيل بن أبي طالب فقال : يا أخي ما فرحت بشيءٍ كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمد ﷺ، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله ﷺ يدخلها عليك فتقر عيناً باجتماع شملكما ؟ قال علي : والله يا أخي إني لأحب ذلك وما يمنعني من مسألته إلا الحياء منه ، فقال : أقسمت عليك إلا قمت معي . فقمنا نريد رسول الله ﷺ فلقيتنا في طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك لها فقالت لا تفعل ودعنا نحن نكلمه ، فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال . ثم انثنت راجعة فدخلت على أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله وكان في بيت عائشة فأحدقن به وقلن : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرت بذلك عينها . قالت أم سلمة : فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ﷺ ثم قال : خديجة ! وأين مثل خديجة ؟ صدقتني حين كذبني الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها !! إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد ، لا صخب فيه ولا نصب . قالت أم سلمة فقلنا : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك ، غير أنها قد مضت إلى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته ، يا رسول الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب عليه السلام يحب

أن تدخل عليه زوجته فاطمة تجمع بها شمله . فقال : يا أُم سلمة فما بال عليٌّ لا يسألني ذلك ؟ فقلت : الحياء منك يا رسول الله . قالت أُم أيمن : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انطلقي إلى علي فآتيني به ، فخرجت من عند رسول الله ، فإذا علي ينتظرني ، ليسألني عن جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحضر علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هيىءْ منزلاً حتى تحول فاطمة إليه ، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله ما ههنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة عليها السلام يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السلام تسع سنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والله لقد استحينا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامة منازله . فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله ، والله ما شيء أحب إليّ مما تأخذه والذي تأخذه أحبّ إليّ مما تتركه ، فجزّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً ، فحولت فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل حارثة ، وبسطوا في بيت علي كثيباً (الرمل) ، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء (القربة) وستروه بكساءٍ ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب وبسط جلد كبش ومخدة ليف .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً ، فجاء أصحابه بالهدايا ، فأمر النبي فطحن البر (الحنطة) وخبز ، وذبح الكبش واشترى عليٌّ تمراً وسمناً ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسر عن ذراعيه ، وجعل يشدخ التمر في السمن فقال النبي : يا علي أدعُ من أحببت .

قال علي : فأتيت المسجد وهو غاص بالناس ، فناديت : أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد ، فأجابوا من النخلات والزروع ، وأقبل الناس إرسالاً وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ، وساير نساء المدينة ، ورفعوا منها ما أرادوا ، ولم ينقص من الطعام شيء ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصحاف (الأواني) فملئت ، ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة ، وقال : هذه لفاطمة وبعلها .

(عن ابن بابويه) : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة سلام الله عليها وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله .

قال جابر : فأركبها على ناقته ـ وفي رواية على بغلته الشهباء ـ وأخذ سلمان زمامها والنبي وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساءُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدامها يرجزن ، فأنشأت أُم سلمة تقول :

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلى ... من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا رب السماوات
وسرن مع خير نساء الورى ... تفدى بعمات وخالات
يا بنت مَن فضّله ذو العلى ... بالوحي منه والرسالات

وقالت عاشة :

يا نسوة استترن بالمعاجر ... واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن رب الناس إذ يخصنا ... بدينه مع كل عبد شاكر
والحمد لله على أفضاله ... والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعطى ذكرها ... وخصها منه بطهر طاهر

وقالت حفصة :

فاطمة خير نساء البشر ... ومن لها وجه كوجه القمر
فضّلك الله على كل الورى ... بفضل من خص بآي الزمر
زوجك الله فتى فاضلاً ... أعني علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فإنها ... كريمة بنت عظيم الخطر

وقالت معاذة أم سعد بن معاذ :

أقول قولاً فيه ما فيه ... وأذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم ... ما فيه من كبر ولا تيه

بفضله عرفنا رشدنا فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز ثم يكبرن ودخلن الدار ثم أنفذ رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها ووضعها في يده وقال : بارك الله في إبنة رسول الله . يا علي : نعم الزوجة فاطمة ويا فاطمة نعم الزوج علي ، ثم قال : يا علي هذه فاطمة وديعتي عندك ، ثم قال النبي ﷺ: اللهم إجمع شملهما ، وألِّف بين قلوبهما ، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم ، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة ، واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك ، اللهم إنهما أحب خلقك إليّ ، فأحبهما واجعل عليهما منك حافظاً وإني أُعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم .

ثم خرج إلى الباب وهو يقول : طهَّركما وطهَّر نسلكما ، أنا سلم لمن سالمكما ، وحرب لمن حاربكما ، أستودعكما الله ، وأستخلفه عليكما .

وباتت أسماء عندهما في البيت ، وأصبح الصباح ، وجاء رسول الله ﷺ إلى زيارة العروسين ، وقال : السلام عليكما ، ءأدخل ؟ ففتحت أسماء الباب فدخل النبي ، فسأل علياً عليه السلام: كيف وجدت أهلك ؟ قال : نعم العون على طاعة الله ، وسأل فاطمة فقالت : خير بعل ، وجاء النبي بعس (قدح) فيه لبن فقال لفاطمة : إشربي فداك أبوك ، وقال لعلي : إشرب فداك ابن عمك .

ثم قال ﷺ: يا علي آتيني بكوز من ماءٍ ، فجاء علي بكوز من ماءٍ فتفل فيه ثلاثاً ، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ثم قال : يا علي إشربه ، واترك فيه قليلاً ففعل علي ذلك . فرشَّ النبي ﷺ باقي الماء

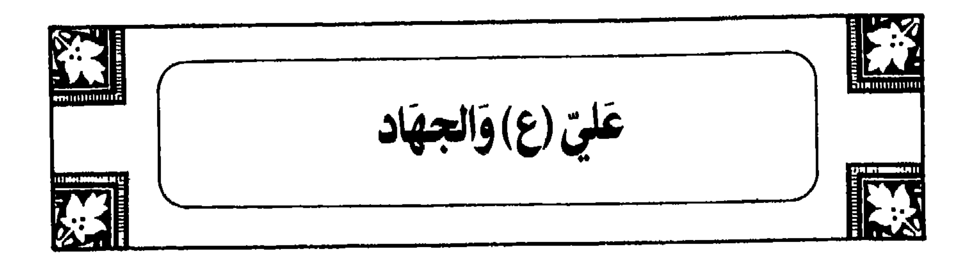
على رأسه وصدره ، ثم قال : أذهب الله عنك الرجس يا علي وطهرك تطهيراً . وأمره بالخروج من البيت وخلي بإبنته فاطمة وقال : كيف أنت يا بنية ؟ وكيف رأيت زوجك ؟ قالت : يا أبه خير زوج إلا أنه دخل عليٌّ نساء من قريش وقلن لي : زوَّجك رسول الله من فقير لا مال له . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بنية ما أبوك بفقير ، ولا بعلك بفقير . ولقد عرضت عليٌّ خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز وجل ، يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا في عينيك ، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً ، إني زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ، يا بنية إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك . يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً[1] .

---

(١) اقتطفنا أحاديث هذا البحث من المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي (ره) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الليلة السادسة



عليّ (ع) والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على سيد العرب والعجم محمد وآله أهل الجود والكرم .

قال الله تعالى : **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾**[1] الآية .

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحافظ على الأمن والسلام ، وهو الذي يحافظ على النفوس والأموال والحقوق أكثر من أي دين آخر ، وأبغض شيءٍ عند الإسلام هو إراقة دماء البشر وسلبهم نعمة الحياة بغير حق ، ولكن الشرع والعقل والقانون يسمح بإراقة دم كل من يقف حجر عثرة في سبيل إسعاد أبناء البشر .

مثلاً : بلدة ليس فيها طبيب ولا دواء ، وقد انتشرت فيهم الأمراض وأخذت منهم كل مأخذ ، فجاء طبيب يداوي المرضى ويهب لهم الدواء مجاناً وبلا عوض ، ويصلح كل ما فسد منهم ويعيد إليهم ما فقدوه من الصحة والعافية والسلامة ليعيشوا سعداء أصحاء .

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١١١ .

وإذا بجماعة يحولون بين الطبيب وبين تداوي الناس ويحاربونه بكل ما لديهم من قوة ليحطوا من نشاط الطبيب ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وكلما صاح فيهم الطبيب وصرخ وذكر لهم الهدف الذي يبتغيه لأجلهم وهو الخير ازدادوا عناداً ، وجعلوا يهددون المرضى ـ الذين قد تحسنت صحتهم ولمسوا العافية من نصائح الطبيب ـ بالوعيد ، وكأن هؤلاء لا يعجبهم أن يروا السلامة والصحة تخيمان على رؤوس المرضى .

أليس العقل يحكم على هؤلاء المهرجين بالإعدام ؟

أليس هؤلاء أضر على البشر من الحيوانات المفترسة ؟

أليس هؤلاء أشد خطراً من الأمراض الفتاكة التي تهدد البشر بالفناء ؟ فالمريض هو المجتمع الجاهلي الفاسد ، والطبيب هو الرسول ، والمهرجون هم المناوئون للرسول ، على هذا أمر الإسلام بجهاد المشركين والكفار الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان في مكة وهجموا عليه ليقتلوه وكفاه الله شرهم ، واضطر النبي أن يترك مسقط رأسه ويهاجر من وطنه كي يستطيع الاستمرار في الدعوة إلى مبدئه وإذا بالأعداء يطاردونه ، وتتحزب الأحزاب ضده ، ويستعين بعضهم ببعض للقضاء على الرسول ومبدئه وعلى كل من اعتنق ذلك الدين الذي اعتبروه ديناً جديداً .

ولا بد للرسول الأعظم أن يقف أمام هؤلاء للدفاع عن نفسه ومبدئه فهو بحاجة ماسة إلى الأنصار والأعوان ليقاوم بهم أعداءه الألداء ، وهم ـ الأنصار ـ أصحابه الذين أسلموا على يديه وهاجروا من مكة ، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان والمراهقون ، وقد امتلأوا حباً للإسلام وتسلّحوا بسلاح الإيمان الذي هو أقوى سلاح .

ولكن غريزة حب الحياة ما فارقتهم في بدء الأمر ، فمن الصعب المستصعب عليهم أن يخوضوا غمار الموت ، ويستقبلوا السيوف والرماح وخاصة وهم الأقلون عدداً وعدة ، وعدوهم هو الأكثر عدداً وعدة .

وقعت الحرب الأُولى للمسلمين في منطقة بين المدينة ومكة يقال لها : (بدر) فقد خرج الرسول بجيشه إلى ذلك الموضع واستقبل المشركين الذين قصدوه من مكة ، وفي بدر التقى العسكران وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وعدد المشركين بين التسعمائة والألف وقد اجتمع مشركو مكة وكفارها، وفيهم أقطاب الشرك كأبي جهل وأبي سفيان ، وهم يزعمون أن الغلبة لهم والنصر والظفر من نصيبهم ، ولكن الله أراد شيئاً آخر ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .

وكان علي عليه السلام له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان ، ولا أقصد من كلمتي هذه أن علياً كان سفاكاً للدماء ، بل المقصود : أن إيمان علي عليه السلام بالله كان فوق كل غريزة وكل اتجاه ، مع العلم أنه كان يومذاك في ريعان الشباب ، والشاب أكثر تعلقاً بالحياة من الشيخ الذي قضى وطره من حياة الدنيا ، مع ذلك لم يكن علي عليه السلام يعرف للخوف معنى ، ولا للجبن مفهوماً في نفسه ، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول في الحرب جانب العدو كأنه يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن علياً أشجع العرب والعجم ، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه .

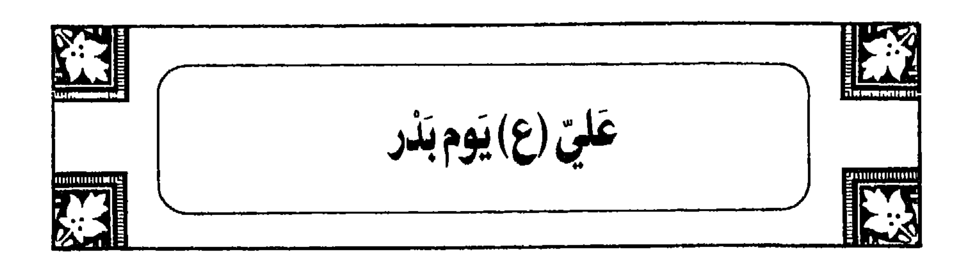
وهذه نبذة من غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي حضرها الإمام . وكان نصيبه من الجهد والعناء أكثر من غيره ، ولم يسلم علي من سهام العدو وسيوفهم ، بل كانت الجراحات تأخذ من مقاديم بدنه كل مأخذ ، ولولا حفظ الله وعنايته لكان علي من المقتولين في تلك الحروب .

قال ابن أبي الحديد :

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند ـ صديقه وعدوه ـ أنّه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلَّا له ؟ وقد عرفت أن أعظم غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشدها نكاية في المشركين : بدر الكبرى التي قُتل

فيها سبعون من المشركين ، قتل علي نصفهم ، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر ، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتلَه في غيرها كأُحُد والخندق وغيرهما . . .

فلنبدأ بذكر الغزوات حسب التاريخ مع رعاية الإجمال والاختصار ونذكر مواقف علي عليه‌السلام فيها :



عليّ (ع) يوم بَدْر

في البحار : ج ٦ قال الإمام الباقر عليه السلام : انتدب رسول الله ﷺ ليلة بدر إلى الماء ، فانتدب علي عليه السلام ، فخرج ، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته ، فلما كان إلى القليب (البئر) لم يجد دلواً ، فنزل في الجب تلك الساعة ، فملأ قربته ، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت ، ثم قام ، ثم مرّت به ريح أخرى فجلس حتى مضت ، ثم قام ، ثم مرّت به أخرى فجلس حتى مضت ، فلما جاء إلى النبي قال له النبي ﷺ: ما حبسك يا علي ؟ قال : لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابتني قشعريرة .

فقال : أتدري ما كان ذلك يا علي ؟ فقال : لا . فقال : ذاك جبريل مرّ في ألف من الملائِكة وقد سلم عليك وسلموا ، ثم مرّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا ، ثم مرّ إسرافيل وألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا .

وفي هذه الليلة اختص أمير المؤمنين عليه السلام بثلاثة آلاف فضيلة وثلاث فضائل ، لتسليم ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة عليه ، وفيها يقول الحميري :

أقسم بالله وآلائه والمرءُ عما قال مسؤول

إن علي بن أبي طالب | على التقى والبر مجبول
كان إذا الحرب مرتها القنا | وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفه | أبيض ماضي الحد مصقول
مشي العفرنا بين أشباله | أبرزه للقنص الغيل
ذاك الذي سلم في ليلة | عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في | ألف ويتلوهم اسرافيل
ليلة بدر مدداً انزلوا | كأنهم طير أبابيل

ولما أصبح الصباح استعد الفريقان للحرب ، وتقدم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، وقالوا : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش ، فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا : ارجعوا إنما نريد الإكفاء من قريش ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال : قم يا عبيدة ، فقام بين يديه بالسيف ونظر إلى حمزة فقال : قم يا عم ، ثم نظر إلى علي فقال: قم يا علي (وكان أصغر القوم) فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها ، تريد أن تطفىء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فقاموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة : عليك بشيبة . وقال لعلي عليه السلام : عليك بالوليد ، فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا : أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته ، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها (قطعها) فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما ، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه ، قال علي عليه السلام لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون : يا علي أما ترى الكلب (بهرخ ل) نهز عمك ؟ فحمل عليه علي عليه السلام فقال : يا عم طأطىء رأسك ، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره

فضرب علي عليه السلام شيبة فطرح نصفه ، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه .

وفي رواية أُخرى : أنه برز حمزة لعتبة ، وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي للوليد فقتل حمزة عتبة ، وقتل عبيدة شيبة ، وقتل علي الوليد ، وضرب شيبة رِجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي ، وحمل حمزة وعلي عبيدة حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستعبر فقال : يا رسول الله ألست شهيداً ؟ قال : بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي .

فقال : أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه ، قال : وأي أعمامي تعني ؟ فقال : أبو طالب حيث يقول :

كذبتم وبيت الله يبزى محمد ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترى إبنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله وإبنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة ، فقال : يا رسول الله أسخطت علي في هذه الحالة ؟ فقال : ما سخطت عليك ، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك .

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين ، قتل منهم علي بن أبي طالب سبعة وعشرين ، وكان الأسرى سبعين !! .

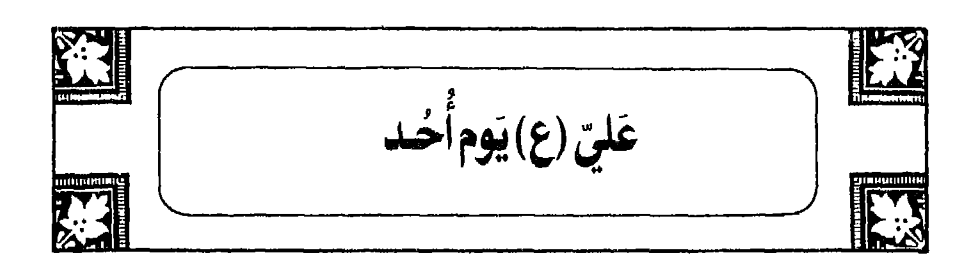
صورة أُخرى للواقعة : فصاح بهم عتبة : انتسبوا نعرفكم ، فإن تكونوا أكفاء نقاتلكم . فقال عبيدة : أنا عبيدة وهو يومئذ أكبر المسلمين ، فقال : هو كفو كريم ، ثم قال لحمزة : من أنت ؟ قال : حمزة بن عبد المطلب ، أنا أسد الله وأسد رسوله ، أنا صاحب الحلفاء ، فقال له عتبة : سترى صولتك اليوم يا أسد الله وأسد رسوله قد لقيت أسد المطيبين !! فقال لعلي : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله وأخو رسوله ، أنا علي بن أبي طالب . فقال : يا وليد دونك الغلام ، فأقبل الوليد يشتد إلى علي ، قد

تنوّر وتخلق . وعليه خاتم من ذهب ، بيده السيف قال علي : قد طال علي في طول نحو من ذراع ، فختلته حتى ضربت يده التي فيها السيف ، فبدرت يده وبدر السيف حتى نظرت إلى بصيص (بريق) الذهب في البطحاء ، وصاح صيحة أسمع أهل العسكرين فذهب مولّياً نحو أبيه وشد عليه علي عليه السلام ، فضرب فخذه فسقط ، وقام علي عليه السلام وقال :

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب   وهاشم المطعم في العام السغب
أُوفي بميثاقي وأحمي عن حسب

ثم ضربه فقطع فخذه . ففي ذلك تقول هند بنت عتبة :

أبي وعمي وشقيق بكري   أخي الذي كانوا كضوء البدر
بهم كسرت يا علي ظهري



عليّ (ع) يوم أُحُد

أُحُد : إسم منطقة بالقرب من المدينة في سفح الجبـل ، وفيها وقعت واقعة أُحد ، والتقى المسلمـون بالمشـركين ، واشتعلت نار الحـرب وقامت على سـاق ، نقتطف من الـواقعة مـوقف علي عليه‌السلام فيهـا ، ومـا أصـابـه من العناء .

وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي العبدري من بني عبد الدار ، فبرز ونادى : يا محمد أو يا معاشر أصحاب محمد تزعمـون أنكم تجهزونـا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة ، فمن شـاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ ، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه‌السلام وهو يقول :

يـا طـلح إن كـنـتـم كـمـا تـقـول — لـكـم خـيـول ولـنـا نـصـول

فـاثبت لـننـظر أينـا الـمـقـتـول — وأيـنـا أولـى بـمـا تـقـول

فـقـد أتـاك الأسـد الـصـؤل

بـصـارم لـيس بـه فـلول — يـنـصـره الـقـاهـر والـرسـول

فقـال طلحة : من أنت يـا غـلام ؟ قـال : أنـا علي بن أبي طـالب ، قال : قد علمت يا قضم ، إنه لا يجسر عليّ أحد غيرك ، فشد عليـه طلحة فضربه ، فاتقاه أمير المؤمنين عليه‌السلام بالحجفـة ، ثم ضربـه أمير المؤمنين على فخـذيه فقـطعهما جميعـاً فسقط على ظهره ، وسقـطت الـرايـة ، فذهب علي عليه‌السلام

ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه ، فقال المسلمون : ألا أجهزت عليه ؟ قال : قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً ، ثم أخذ الراية سعيد بن أبي طلحة ، فقتله علي عليه السلام ، وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن طلحة ، فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبي طلحة ، فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عزيز بن عثمان فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض ، فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني الدار وهو أرطاة بن شرحبيل مبارزة ، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها ، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها بشماله ، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها فسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين ، ثم قال : يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم ؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها .

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون وشرعوا بجمع الغنائم ، ولما رأى المشركون ذلك ووجدوا المسلمين مشغولين بالنهب رجعوا من طريق آخر ، وجعلوا المسلمين في الوسط ، وحملوا عليهم حملة رجل واحد ، بقيادة خالد بن الوليد ، وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة ، وانقسم الناس آنذاك إلى قسمين : المنهزمين وهم الأكثر عدداً ، والثابتين وهم ما بين قتيل وجريح ، وكان علي عليه السلام أكثرهم جراحاً ، فقد أُصيب في ذلك اليوم بتسعين جراحة يصعب علاجها وتداويها[1] .

في البحار : وقال شقيق بن سلمة : كنت أُماشي عمر بن الخطاب إذ سمعت منه همهمة ، فقلت له : مه يا عمر ؟ فقال : ويحك !! أما ترى الهزبر القثم بن القثم ، والضارب بالبهم ، الشديد على من طغى وبغى ،

(١) البحار ـ ج ٦ .

بالسيفين والراية !!! فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب . فقال : أدن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته ، بايعنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد على أن لا نفرَّ ، ومن فر منا فهو ضال ، ومن قتل منا فهو شهيد ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم زعيمه ، إذ حمل علينا مأة صنديد ، تحت كل صنديد مأة رجل أو يزيدون ، فأزعجونا عن طاحونتنا ، فرأيت علياً عليه السلام كالليث يتقي الذر إذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به وجوهنا ، ثم قال : «شاهت الوجوه ، وقطت وبطت ولطت ، إلى أين تفرون ؟ إلى النار؟» فلم نرجع ، ثم كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت !!! فقال : بايعتم ثم نكثتم ؟ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل ، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً ، أو كالقدحين المملوئين دماً ، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت : يا أبا الحسن ، الله الله !! فإن العرب تفر وتكر ، وإن الكرة تنفي الفرة . فكأنه استحيا ، فولى بوجهه عني ، فما زلت أسكن روعة فؤادي فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة . . . ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه السلام وكلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استقبلهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فيدفعهم عن رسول الله ، ويقتلهم حتى انقطع سيفه .

عن عكرمة قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : لما انهزم الناس يوم أُحُد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط ، ولم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه ، فرجعت أطلبه فلم أره فقلت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليفر ، وما رأيته في القتلى ، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء ، فكسرت جفن سيفي ، وقلت في نفسي : لأُقاتلن به عنه حتى أُقتل ، وحملت على القوم فأفرجوا عني وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقمت على رأسه ، فنظر إليّ فقال : ما صنع الناس يا علي : فقلت : كفروا يا رسول الله ، وولوا الدُّبُر من العدو ، وأسلموك ، فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي : ردَّ عني يا علي هذه الكتيبة ، فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتى ولوا

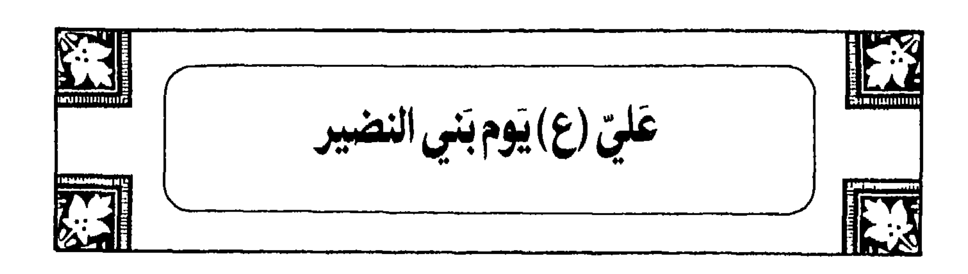
الأدبار ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما تسمع يا علي مديحك في السماء ؟ إن ملكاً يقال له رضوان ينادي : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه على نعمته .

وفي رواية قال الصادق عليه السلام: انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق ، فنظر فإذا علي عليه السلام إلى جنبه ، فقال : ما لك لم تلحق ببني أبيك ؟ فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أكفر بعد إيماني ؟ إن لي بك أسوة ، فقال : أما الآن فاكفني هؤلاء ، فحمل علي عليه السلام فضرب أول من لقي منهم ، فقال جبرئيل عليه السلام: إن هذه لهي المواساة يا محمد ، قال : «إنه مني وأنا منه» قال جبرئيل : وأنا منكما .

وأقبل علي عليه السلام إلى المدينة وهو ثقيل بالجراحات ، وبات على الفراش ، ولما أصبح النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء إلى دار علي يعوده ، فبكى علي عليه السلام وقال : يا رسول الله أرأيت كيف فاتتني الشهادة ؟ فقال الرسول : إنها من ورائك يا علي[1] .

---

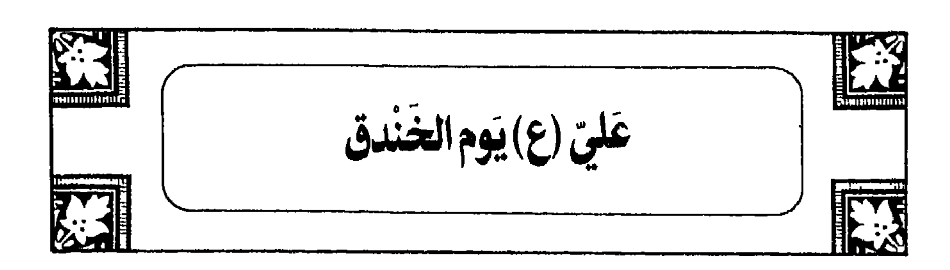
(١) البحار ـ ج ٩ .



عليّ (ع) يوم بني النضير

يوم توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني النضير عَمَد يحمل على حصارهم ، فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء ، فلما جن الليل رماه رجل من بني النضير بسهم ، فأصاب القبة ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تحوّل قبته إلى السفح ، وأحاط بها المهاجرون والأنصار فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال الناس : يا رسول الله ما نرى علياً ؟! ، فقال عليه السلام : أراه في بعض ما يصلح شأنكم . فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان يقال له : عزوراً ، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي : كيف صنعت ؟ فقال : إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً ، فكمنت له ، وقلت : ما أجرأ أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منّا غرّة، فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود ، فشددت عليه وقتلته ، فأفلت أصحابه ، ولم يبرحوا قريباً ، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، معه عشرة ، فأدركوهم قبل أن يدركوا الحصن ، فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي وأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة . وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير .



عليّ (ع) يوم الخَنْدق

تحزبت الأحزاب ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة وضواحيها وقصدت المدينة لمحاربة رسول الله ، ونزل جبرائيل على النبي وأخبره فاستشار النبي أصحابه ، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق حول المدينة ، فأقبل رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار ، وحفروا الخندق ، في جانب من المدينة يشبه نصف الدائرة ، فلما فرغوا من حفر الخندق ، وصل المشركون ، ونزلوا بالقرب من الخندق .

وخرج فوارس من قريش منهم : عمرو بن عبدودٍّ أخو بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال ، وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيأوا للحرب يا بني كنانة ، فستعلمون اليوم مَن الفرسان ؟ ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، وتعرفها قبل ذلك فقيل لهم : هذا من تدبير الفُارسي الذي معه (سلمان) ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم ، فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ منهم الثغرة التي منها اقتحموا ، وأقبلت الفرسان نحوهم ، وكان بينهم عمرو بن عبدود فارس

قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث (حمل من المعركة) وأثقلته الجراح فلم يشهد أُحُداً ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده ، وكان يُعد بألف فارس وكان يسمى : فارس يليل لأنه : أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه : امضوا ، فمضوا ، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه ، فعُرف بذلك ، وكان إسم الموضع الذي حفر فيه الخندق : المداد ، وكان أول من طفره عمرو وأصابه ، فقيل في ذلك :

عمرو بن ود كان أول فارس … جزع المداد وكان فارس يليل

وركز عمرو بن عبدود رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله ، ويرتجز .

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبدود كان ينادي من يبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من لهذا الكلب ؟ فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وهو مقنّع في الحديد ، فقال : أنا له يا نبي الله ، فقال إنه عمرو ، اجلس ، ونادى عمرو : ألا رجل ؟ وجعل يؤنبهم ويسبّهم ، ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها ؟ فقام علي عليه السلام فقال : أنا له يا رسول الله ، فأمره النبي بالجلوس رعاية لإبنته فاطمة التي كانت تبكي على جراحات علي عليه السلام يوم أُحد ، ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بححت من النداء … بجمعكم هل من مبارز ؟
ووقفت إذ جبن المشجع … موقف البطل المناجز
إني كذلك لم أزل … متسرعاً نحو الهزاهز
إن السماحة والشجا … عة في الفتى خير الغرائز

فقام علي عليه السلام فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً وأنا علي بن أبي طالب !! فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له ، وألبسه درعه ذات الفضول ، وأعطاه سيفه ذا الفقار ، وعمّمه عمامة السحاب على رأسه تسعة أكوار (أدوار) ثم قال له : تقدّم . فقال لما ولى : «اللهم احْفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق

رأسه ومن تحت قدميه» .

ثم قال : برز الإيمان كله إلى الشرك كله .

فمشى إليه وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أُقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وما زال رسول الله ﷺ آنذاك رافعاً يديه مُقحماً رأسه إلى السماء داعياً به قائلاً : أُللّهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أُحد ، فاحفظ عليّ اليوم علياً ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . فقال عمرو : من أنت ؟ وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين ، وكان نديم أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية ، فانتسب علي له .

فقال عمرو : أجل ، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً ، فارجع فإني لا أُحب قتلك ! فقال علي عليه السلام : لكني أُحب أن أقتلك ! فقال عمرو : يا ابن أخي إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، فارجع وراءك خير لك ، ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شايلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت !!

فقال له علي عليه السلام : قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلتُ الجنة وأنت في النار ، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة .

فقال عمرو : كلتاهما لك يا علي ؟ تلك إذن قسمة ضيزى !!

فقال علي عليه السلام : إن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت : لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلاّ أجيب ، ولو إلى واحدة منها ؟ قال : أجل . قال : فإني أدعوك إلى الإسلام ، وفي رواية : أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قال : دع هذه !! أو نح هذا .

قـال : فإني أدعـوك إلى أن ترجـع بمن يتبعك من قـريش إلى مكة ، فـإن يك محمـد صادقـاً فأنتم أعلى بـه عيناً ، وإن يـك كاذبـاً كفتكم ذؤبان العـرب أمـره . قـال : إذن تتحدث نسـاءُ قريش عني : أن غـلاماً خـدعني وينشد الشعراءُ فيَّ أشعارها أني جبنت ، ورجعت على عقبي من الحـرب ، وخذلت قوماً رأسوني عليهم . قال : فإني أدعوك إلى البراز راجلاً ، فحِمي عمرو وقال : ما كنت أظن أحداً من العرب يرومها مني .

ثم نـزل فعقر فـرسه ـ وقيـل ضرب وجـه فرسـه ففـر ـ ثم قصـد نحـو علي عليه السلام وضـربه بـالسيف على رأسه ، فـأصاب السيف الـدرقة فقـطعها ، ووصل السيف إلى رأس علي عليه السلام .

فضربه عليٌّ عليه السلام على عاتقه فسقط ، وفي رواية : فضربه على رجليه بـالسيف فوقـع على قفاه ، وثـار العجاج والغبـار ، وأقبل علي ليقـطع رأسه فجلس على صدره ، فتفل اللعينُ في وجـه الإمام عليه السلام فغضب عليه السلام ، وقـام عن صدره يتمشى حتى سكن غضبه ، ثم عاد إليه فقتله .

وقال ربيعة بن مالك السعدي : أتيت حذيفـة بن اليمان ، فقلت : يـا أبا عبد الله : إن النـاس يتحدثـون عن علي بن أبي طالب ومنـاقبه ، فيقـول لهم أهل البصيرة : إنكم لتفـرطون في تفـريط (تقريظ خ ل) هـذا الرجـل . فهل أنت محدّثي بحـديث عنه أذكـره للناس ؟ فقـال : يا ربيعـة وما الـذي تسألني عن علي ؟ وما الذي أُحدثك به عنه ؟ والذي نفس حذيفة بيده : لو وُضع جميع أعمال أُمة محمـد في كفة الميـزان منذ بعث الله تعـالى محمداً إلى يـوم الناس هـذا ، ووضع عمـل واحد من أعمـال علي في كفة أُخـرى لرجح على أعمالهم كلها ، فقال ربيعة : هـذا المدح الـذي لا يقام لـه ولا يقعد ولا يحمل ، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله ! ! !

فقال حذيفة : يا لكـع ! وكيف لا يحمل ؟ وأين كـان المسلمون يـوم الخنـدق وقـد عبـر إليهم عمـرو وأصحـابـه ؟ فملكهم الهلع والجـزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله ؟

والذي نفس حذيفة بيده : لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أُمة محمد إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء عليٌّ برأس عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام أبو بكر وعمر بن الخطاب وقبّلا رأسه ، وكان علي عليه السلام يقول :

أنا علي وابن عبد المطلب	الموت خير للفتى من الهرب

فقال عمر : هلاّ سلبته درعه ، فإنه ليس في العرب درع مثلها ؟ فقال علي عليه السلام : إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي .

وفي رواية : لما جلس علي عليه السلام على صدر عمرو ليذبحه قال له عمرو : يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً ، فإذا قتلتني فلا تسلبني حلّتي ، فقال عليه السلام : هي أهون عليّ من ذلك .

ولما قتل علي عليه السلام عمراً انهزم المشركون وانكسرت شوكتهم ، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام .

قال حسان بن ثابت في قتل عمرو بن عبد ود :

أمسى الفتى عمرو بن ود يبتغي	بجنوب يثرب غارة لم تنظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة	ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة	ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم كريهة	يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فأجابه بعض بني عامر :

كذبتم وبيت الله لم تقتلوننا	ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أجمد في الوغا	بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ود ولا إبنه	ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
علي الذي في الفخر طال ثناؤه	فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا

ببدر خرجتم للبراز فردكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فاقبلوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية ... فدمرهم لمّا عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... وليس لكم فخر يعدّ ويذكر

وكان عليه السلام يقول ـ مشيراً إلى هذه الفضيلة ـ:

أعليّ تفتخر الفوارس هكذا ؟ ... عني وعنهم خبروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
أرديت عمراً إذ طغى بمهند ... صافي الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة عن سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين .

وفي رواية الحاكم في المستدرك : لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة .

وسبب ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهنٌ بقتل عمرو ، ولم يبق في المسلمين بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله عزٌّ بقتل عمرو .

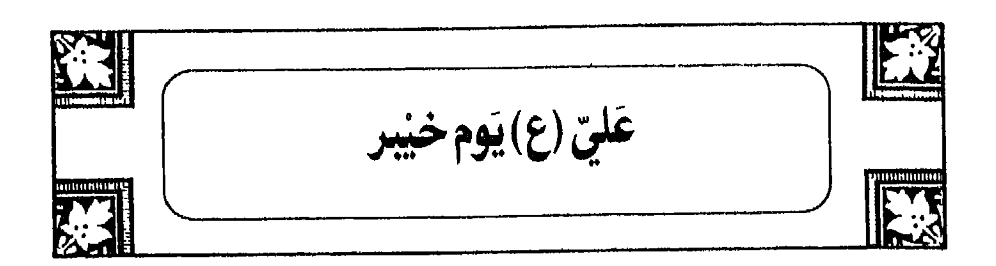
ولما وصل الخبر إلى أُخت عمرو قالت : من ذا الذي اجترأ عليه ؟ فقالوا : علي بن أبي طالب . فقالت : لم يعدُ موته إلا على يد كفو كريم لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه ، قاتل الأبطال وبارز الأقران ، وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه ، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر ، ثم أنشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديماً بيضة البلد

وفي نسخة : وكان يدعى أبوه بيضة البلد .

ولقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزري (عليه الرحمة) في قصيدته الألفية التي يقول فيها :

ظهرت منه في الوغى سطوات ... ما أتى القوم كلهم ما أتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود ... لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى إلى المدينة فرداً ... بسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم أُلوف ولكن ... ينظرون الذي يشب لظاها؛
أين أنتم عن قسور عامري ... تتقي الأُسد بأسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدّث عما ... يؤجر الصابرون في أُخراها
قائلاً: إن للجليل جناناً ... ليس غير المجاهدين يراها
أين من نفسه تتوق إلى ... الجنات أو يورد الجحيم عداها
من لعمرو؟ وقد ضمنت على ... الله له من جناته أعلاها
فالتووا عن جوابه كسوام ... لا تراها مجيبة من دعاها
وإذا هم بفارس قرشي ... ترجف الأرض خيفة إذ يطاها
قائلاً: ما لها سواي كفيل ... هذه ذمة عليٍّ وفاها
ومشى يطلب الصفوف كما ... تمشي خماص الحشا إلى مرعاها
فانتضى مشرفيَّة فتلقى ... ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه ... يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات ... لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاه إحدى المعالي ... وعلى هذه فقس ما سواها



عَليّ (ع) يَوم خيْبر

قال الطبرسي (رحمه الله) : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ، ثم خرج منها غازياً إلى خيبر .

خيبر إسم منطقة تبعد عن المدينة المنورة ساعات ، وهي عبارة عن حصون وقلاع محصنة ، كانت اليهود تسكنها يومذاك ، فلما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر ، واستعد للقتال واصطف العسكران ، خرج رجل من المسلمين إسمه : عامر بن الأكوع يبارز رجلاً من اليهود إسمه مرحب ، وكان مرحب يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب ‏ ‏ ‏ شاكي السلاح بطل مجرب

فأجابه عامر :

قد علمت خيبر أني عامر ‏ ‏ ‏ شاكي السلاح بطل مغامر

فتضاربا بالسيف ، فوقع سيف عامر على ركبته فمات منه .

وحاصر النبي تلك الحصون خمساً وعشرين يوماً ، ثم أعطى رايته أبا بكر وقيل : أعطى الراية إلى عمر بن الخطاب أولاً فنهض ونهض معه المسلمون فلقوا أهل خيبر فرجعوا .

وأعطى الراية أبا بكر في اليوم الثاني فذهب مع المسلمين فرجع يجبّن أصحابه ويجبنونه ، فلما علم النبي ذلك قال : لأعطين الراية غداً

رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه .

فبات الناس يتفكرون حول الرجل الموصوف بهذا الصفات ، المقصود بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان علي غائباً في تلك الغزوة ، وما كان الناس يحسبونه المقصود بكلام النبي ، حتى قال بعضهم : أما علي فقد كُفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه . بل كان كل منهم يرجو أن يعطى الراية ، وأصبح الصباح وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالراية ، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذي يستحق أن يكون حاملاً لراية الإسلام وفاتحاً لحصون اليهود ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه ، فقال : أرسلوا إليه . فجاؤوا به على بغلة وعينه معصوبة بخرقة ، فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي : ما تشتكي يا علي ؟ قال : رمد ما أبصر معه ، وصداع برأسي . فقال النبي : إجلس وضع رأسك على فخذي . ففعل علي ذلك ، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال النبي : اللهم قِهِ الحر والبرد . وأعطاه الراية وكانت بيضاء فقال له : خذ الراية وامض بها ، فجبرائيل معك ، والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم ، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم : أن الذي يدمّر عليهم إسمه : (إيليا) فإذا لقيتهم فقل : أنا علي ، فإنهم يخذلون إن شاء الله .

فأقبل علي عليه السلام بالراية يهرول بها ولحقه الناس فركز رمحه قريباً من الحصن ، وأشرف عليه حبر من الأحبار فقال : من أنت ؟ فقال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودي : غُلبتم وما أُنزل على موسى - أي غلبتم قسماً بالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام - .

فخرج إليه مرحب في عامة اليهود ، وعليه مغفرة وحجر قد ثقبه مثل

البيضة على أُم رأسه وهو يرتجز ويقول :

قــد عـلمت خـيـبــر أنـي مــرحــب   شــاكـي الســلاح بـطل مـجــرب
أطـعن أحـيــانــاً وحـيـنــاً أضــرب

فقال علي عليه السلام :

أنــا الــذي سـمتـنـي أُمـي حـيـدرة   ضـرغــام آجـام ولـيـث قـســورة
على الأعـادي مثـل ريـح صرصــرة   أكيلكم بــالسـيف كـيــل السـنـدرة
أضــرب بــالسيف رقــاب الكـفــرة

فلما سمع مرحب منه ذلـك هرب ولم يقف ، خـوفاً ممـا حذرتـه منه ظئره ، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود فقال له : إلى أين يا مرحب ؟ فقال : قـد تسمى علي هذا القـرن بحيدرة فقـال له إبليس : فمـا حيدرة ؟ قال مرحب : إن فلانة ظئري (مرضعتي) كانت تحـذرني من مبارزة رجل إسمه : حيدرة . وتقول : إنه قاتلك . فقـال إبليس : شوهـاً لك ! لـو لم يكن حيدرة إلا هذا وحـده لما كـان مثلك يرجـع عن مثله ، تأخـذ بقول النسـاء وهن يخطئن أكثـر مما يصبن ، وحيـدرة في الدنيـا كثير ، فـارجـع فلعلك تقتله ، فـإن قتلته سـدت قومـك ، وأنا في ظهـرك أستصـرخ اليهـود لك .

فرجع مـرحب إلى قتال علي عليه السلام فـدعاهم علي عليه السلام إلى الإسـلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الحرب ، فضربه الإمام بالسيف على رأسه ضربة قطعت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه ، فخر صريعاً ، وحمـل علي عليه السلام على الجيش اليهودي فـانهزمـوا ودخلوا الحصن ، وسدوا بـابه ، وكـان الباب حجـراً منقوراً في صخـر ، والباب من الحجـر في ذلك الصخر المنقور ، كأنه حجر رحى ، وفي وسطه ثقب لطيف ، وقد ذكرنا في الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة بياناً حول الباب المزبور .

رمى علي عليه السلام القوس من يده اليسـرى وجعل يـده اليسرى في ذلـك

الثقب الذي في وسط الحجر وكان السيف بيده اليمنى ثم جذبه إليه فانهار الصخر المنقور ، وصار الباب في يده اليسرى ، فحملت عليه اليهود ، فجعل علي عليه السلام الباب ترساً له وحمل عليهم فانهزموا ، فرمى الحجر بيده اليسرى إلى خلفه فمر الحجر على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر ، وإلى هذا أشار ابن أبي الحديد في قصيدته مخاطباً الإمام عليه السلام :

يا قالع الباب الذي عن هزه ... عجزت أكفٌ أربعون وأربع

واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون رجلاً ، وفتح علي تلك الحصون .

وتقدم حسان بن ثابت واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول شعراً فقال له : قل . فأنشأ يقول :

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواءً فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال : سأعطي الراية اليوم صارماً ... كمياً محباً للرسول مواليا
يحب إلهي والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها ... علياً وسماه الوزير المواخيا

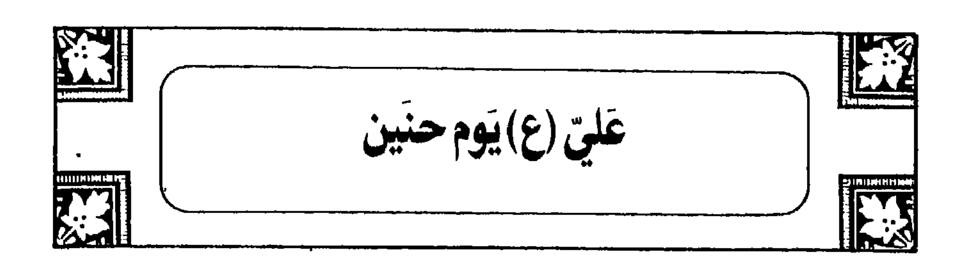
فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : لولا أن تقول فيك طوائف من أُمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملإٍ إلا أخذوا من تراب رجليك ، ومن فضل طهورك يستشفون به ، ولكن حسبك : أن تكون أنت مني وأنا منك ، ترثني وأرثك ، وأنك مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنك تبرىءُ ذمتي وتقاتل على سنتي ، وأنك في الآخرة أقرب الناس مني ، وأنك غداً على الحوض خليفتي ، وأنك أول من يرد عليَّ الحوض غداً ، وأنك أول من يُكسى معي ، وأنك أول من يدخل الجنة من أُمتي ، وأن شيعتك على منابر من

نور مبيضة وجوهم حولي أشفع لهم ، ويكونون في الجنة جيراني ، وأن حربك حربي ، وأن سلمك سلمي ، وأن سرك سري وأن علانيتك علانيتي ، وأن سريرة صدرك كسريرة صدري وأن وُلدك وُلدي وأنك تنجز عدتي ، وأن الحق على لسانك وفي قلبك ، وبين عينيك ، وأن الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي ، وأنه لا يرد عليَّ الحوض مبغض لك ، ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يردوا الحوض معك .

فخر علي عليه السلام ساجداً شكراً لله .

وقال المرحوم الشيخ الأُزري في قصيدته الفريدة :

وله يوم خيبر فتكات	كبرت منظراً على من رآها
يوم قال النبي : إني لأُعطي	رايتي ليثها وحامي حماها
فاستطالت أعناق كل فريق	ليروا أي ماجد يُعطاها
فدعى : أين وارث العلم والحلـ	ـم مجير الأيام من باساها
أين ذو النجدة الذي لو دعته	في الثريا مروعة لباها
فأتاه الوصي أرمد عين	فسقاها من ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولّت	عنه علماً بأنه أمضاها
وبرى مرحباً بكف اقتدار	أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحى بابها بقوة بأس	لو حمتها الأفلاك منه دحاها
عائد للمؤملين مجيب	سامع ما تسرّ من نجواها
إنما المصطفى مدينة علم	وهو الباب من أتاه أتاها
وهما مقلتا العوالم: يسرا	ها علي وأحمد يمناها



عليّ (ع) يوم حنين

وفي يوم حنين لما تقدم أبو جرول ووراءه المشركون ، وكانت الراية بيده وهو يرتجز قائلاً :

أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أو نباح

فقصده أمير المؤمنين فضرب عجز بعيره ثم ضربه وقتله ثم قال :

قد علم القوم لدى الصباح إني لدى الهيجاء ذو نصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول ، وحمل عليهم المسلمون يقدمهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقتل منهم أربعين رجلاً وانهزم الباقون ، وأُسر من أسر منهم ، وذلك بعد هزيمة المسلمين وتفرقهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر القرآن الكريم موقف المسلمين يومذاك بقوله تعالى : **﴿ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾**[1] ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين .

ولابن أبي الحديد كلمة بالمناسبة في مقدمة شرحه على النهج :

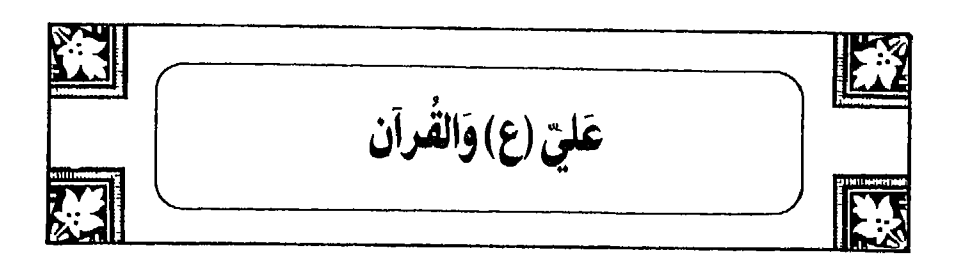
---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٢٥ و ٢٦ .

«أما الشجاعة : فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحى إسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة ، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلَّا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية .

وفي الحديث : كانت ضرباته وتراً ، ولما دعى معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، فقال له عمرو بن العاص : لقد أنصفك ! فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلَّا اليوم !! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي . . .» .

الليلة السابعة



عليّ (ع) والقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

القرآن كتاب الله عز وجل ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو كلام الله الذي لا يتبع الهوى ولا يميل إلى الاتجاهات بدافع العاطفة بل هو الحق .

هناك حديث نبوي شريف اتفق عليه الشيعة والسنة ، أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» .

نجد ـ في الحديث ـ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يقرن العترة بالقرآن والقرآن بالعترة ، ويخبر عنهما أنهما لن يفترقا ولن يختلفا في المبدأ وفي أي شيءٍ ، فالقرآن يوافق العترة ، والعترة تمشي تحت ظل القرآن ، فلا اختلاف ولا تنافي بين القرآن والعترة ، بل هما متلازمان ومتفقان .

وبناءً على هذا هل يمكن أن يسكت القرآن عن عديله وقرينه ؟ فيخلو عن إسم العترة والإشارة إليهم ؟؟

كلا ثم كلا ، فالقرآن فيه تبيان كل شيءٍ وحاشاه أن يسكت عن

الإشـادة والتنويـه عن أشرف أُسـرة على وجه الأرض وهم أُسـرة رسـول الله الطيبة وعترته الطاهرة ، وعلى رأسهم سيد العترة أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي ضرب الرقم القياسي في كل مباراة وفاز بكـأس البطولـة في كل ميدان سباق ، وهو والقرآن يسيران في طريق واحد ، ويـدعوان إلى مبـدأ وهدف واحـد ، فعلي عليه السلام يعـرِّف القـرآن وفنـونـه وعلومـه وأحكـامـه وفضـائله ومزايـاه ، والقرآن يجلب الإنتبـاه إلى شخصية علي عليه السلام ومكـارمه ومحاسنه وخصائصه ، وينوِّه عن مواقفه ومواطنه وتضحياته في سبيل الهـدف الذي أُنزل من أجله القرآن .

أليس القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ؟

أوليس القرآن يهدي للتي هي أقوم ؟

أوليس القرآن فيه موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين ؟

أوليس القرآن هو الحق ويدعو إلى الحق ؟

فهذا علي عليه السلام عديـل القرآن ويسيـر مع القـرآن جنباً بجنب ، يـدعو ويهدي ويبين ويعظ ويفرق بين الحق والباطل .

إذن ، فلا مانـع أن يحتوي القـرآن (وهو كـلام الله المجيد) شيئـاً من تقـدير الله تعـالى لمـواقف علي عليه السلام والإشـادة بفضله وإن لم يكن التنـويـه صريحاً فقد تكون الكناية أبلغ من التصـريح وأوقـع في النفس للتحري عن الحقيقة المقصودة .

ولم يكتف القـرآن بالإشـارة إلى فضائـل علي ، فحسب ، بـل نجـد كميـة هائلة وافـرة من الآيات البينـات التي شملت أهل البيت عليهم السلام أولاً ثم بقية المسلمين ثانياً ، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما أنزل الله آية فيها : ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلا وعلي رأسها وأميرها .

وروى ابن حجر في الصواعق : عن ابن عباس لما نـزلت هذه الآيـة **﴿إن الـذين آمنوا وعملوا الصـالحات أولئـك هم خير البرية﴾**[1] قال رسول الله ﷺ: هم أنت يـا علي وشيعتـك ، تـأتي أنت وشيعتـك يـوم القيـامـة راضين مرضيين ، وتأتي أعداؤك غضاباً مقحمين .

إلى غيـر ذلك من عشـرات الآيات المـأوّلة بعلي بن أبي طـالب عليه السلام المذكورة في الصحاح ورواها المحدثون في صحاحهم .

وفي القـرآن آيات واضحـات نزلت في شـأن أهـل البيت عليهم السلام وكـان علي عليه السلام أحدهم بل سيدهم ، كما في آيـة المباهلة وسـورة هل أتى وآيـة التطهير وغيرها مما يطول الكلام بذكر تلك الآيات فلنذكر ـ بصورة موجـزة ـ كلاماً حول آية التـطهير والمبـاهلة وسورة هـل أتى ، ثم ننظر أين ينتهي بنـا الكلام :

لقـد أجمع المفسـرون والمحدثـون ـ إلا الشـاذ النـادر منهم ـ واتفقت كلمتهم على : أن آيــة التــطهيــر نــزلت فـي علي وفــاطـمــة والحسن والحسين عليهم السلام وإن كان هناك اختلاف في ألفاظ الحديث فالمؤدى واحد .

وخلاصة الواقعة : أن رسول الله ﷺ ألقى رداءً أو عباءة أو كسـاءً أو ثوباً أو قطيفة على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال : اللهم هؤلاءِ أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

فقالت أم سلمة : يا رسول الله فأنا ؟ وفي رواية : فأنا من أهلك أو : وأنا معكم ؟ أو : ألا أدخل معكم ؟ .

فقـال النبي ﷺ: إنك على خيـر ، أو : مكانـك ، أو : تنحي وفي رواية : فرفعت الكساء لأدخل فجذبه من يدي وقال : إنك على خير وإنـك من أزواج النبي .

---

(١) سورة البينة ؛ الآية : ٧ .

فنزلت الآية : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [1] .

قال أبو سعيد الخدري : كان النبي ﷺ يأتي باب علي أربعين صباحاً فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا ، أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم .

وقال أبو الحمراء : خدمت رسول الله ﷺ تسعة أشهر أو عشرة أشهر ـ فأما التسعة فلا أشك فيها ـ ورسول الله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب فاطمة وعلي والحسن والحسين فيأخذ بعضادتي الباب فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الصلاة ، يرحمكم الله . فيقولون : وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فيقول رسول الله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فكلهم متفقون على اختصاص آية التطهير بعلي وفاطمة والحسن والحسين ، لا تشاركهم زوجات النبي فيها .

ومن أعلام السنة ذكر ذلك : الثعلبي في تفسيره وأحمد بن حنبل في مسنده ، والواحدي في تفسيره (البسيط) ، وابن البطريق في المستدرك . والرازي في تفسيره وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم والباقون يقولون إن الآية تشمل أهل البيت وسائر زوجات النبي ﷺ. وقد مرّ عليكم أن المفسرين والمحدثين ذكروا أن النبي لم يأذن لزوجته أم سلمة أن تدخل تحت الكساء أو الثوب ، فكيف تشمل الآية صفية أخت مرحب التي كانت يهودية خيبرية وغيرهن ممن سبق الكفر والشرك إسلامَهن ؟

ولا دليل لهؤلاء إلا سياق الآية وترتيبها ، أو ما يكفي مجيءُ رسول

---

(1) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

الله إلى باب بيت علي وفاطمة أربعين صباحاً أو ستة أشهر أو تسعة أشهر يطرق عليهم الباب ويتلو عليهم الآية ليكون دليلاً على أن المقصود بآية التطهير هم أهل هذا البيت فقط ، ولم يُعهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه طرق باب إحدى زوجاته وتلى عليها الآية ولو مرة واحدة .

ثم إن سياق الآية وأسلوبها يدلان على كلامنا ، فإن الخطابات الموجهة إلى زوجات النبي في الآية كلها ضمائر مؤنثة . قال تعالى : ﴿**يا نساء النبي (لستن) كأحد من النساء إن (اتقيتن) فلا (تخضعن) بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض و (قلن) قولاً معروفاً و (قرن) في (بيوتكن) ولا (تبرجن) تبرج الجاهلية الأولى ، و (أقمن) الصلاة و (آتين) الزكاة و (أطعن) الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، و (اذكرن) ما يتلى في (بيوتكن) من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً**﴾ (١) .

ويظهر بكل وضوح أن الضمائر الموجودة في آية التطهير تختلف عما سبقتها ولحقتها من الآيات والخطابات ، فقد قال تعالى : ﴿**إنما يريد الله ليذهب (عنكم) الرجس أهل البيت ويطهر(كم) تطهيراً**﴾ ولم يقل : عنكن ، ويطهركن . فالعدول عن الضمائر المؤنثة إلى الضمائر المذكرة يدل على اختصاص الخطاب بغير نساء النبي المخاطَبات في الآية .

هذا وقد ذكر سيدنا المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه : «الكلمة الغراءُ في تفضيل الزهراء» بياناً كافياً وكلاماً شافياً حول الأدلة والبراهين والقرائن التي تدل على تخصيص آية التطهير بفاطمة وبعلها وبنيها ، وقبل ذلك أسهب شيخنا المجلسي رحمه الله في تفسير هذه الآية وفيما قيل فيها من الدلالة على الاختصاص بأهل البيت عليهم السلام .

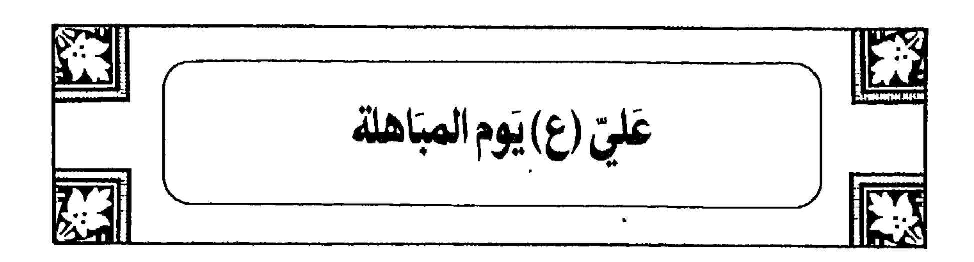
وقد ذكروا في شأن نزول آية التطهير واجتماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع علي

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآيات : ٣٢ ـ ٣٤.

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجوهاً كثيرة ، والكـل متفقون على أن آية التطهير نزلت في هؤلاءِ عليهم السلام .

وهذه الآية تدل بكل صراحة على عصمـة أصحاب الكسـاء ، وإنهم معصومون من كل ذنب وكل خطإٍ ، والعصمة من مـراتب الأنبياء والأوصيـاء وهي أعلى درجات الرقي والتقرب عند الله تعالى .



عليّ (ع) يوم المباهلة

ذكر البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده أن رسول الله كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النمل «طس» سليمان : «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران ، إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم ، وإسحاق ويعقوب ، أما بعد : فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فقد أوذنتم بحرب ، والسلام» فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له : شرحبيل بن وادعة ، فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأه ، فقال له الأسقف : ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن من أن يكون ذلك الرجل ، ليس لي في النبوة رأي ، لو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك ، فبعث الأسقف إلى واحد من بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وادعة وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألهم وسألوه ، فلم تنزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى بن مريم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما عندي فيه شيءٌ يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى صبح الغداة ، فأنزل الله ﴿إن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ [1] إلى قوله : ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [2] فأبوا أن يقروا بذلك. فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له ومعه علي عليه السلام وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : إني أرى أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فنلاعنه ولا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقالا له : ما رأيك ؟ فقال : رأيي أن أحكّمه فإني أرى رجلاً مقبلاً لا يحكم شططاً أبداً ، فقالا له : أنت وذاك ، فتلقى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك ، قال : وما هو؟ قال : أحكّمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح ، فمهما حكمت فينا فهو جائز فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية .

صورة أخرى للمباهلة

عن علي عليه السلام قال : لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم : العاقب ومحسن والأسقف فجاؤا إلى اليهود وهم في البيت ، فصاحوا بهم يا إخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم ، إنزلوا إلينا ، فنزل إليهم منصور اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي ، فقالوا لهم : إحضروا غداً نمتحنه ، فقال : وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الصبح سأل : هيهنا من الممتحنة أحد ؟ فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما أنزل عليه في تلك الليلة ، فلما صلى الصبح جلسوا بين يديه فقال له الأسقف : يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه ؟

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عمران .

الأسقف : فيوسف من أبوه ؟

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يعقوب .

الأُسقف : فداك أبي وأمي فأنت من أبوك ؟

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عبد الله بن عبد المطلب .

الأُسقف : فعيسى من أبوه ؟

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزل جبرئيل ، فقال هو روح الله وكلمته .

الأُسقف : يكون روح بلا جسد ؟

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأُوحي إليه ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون﴾[1] فوثب الأُسقف وثبة إعظامٍ لعيسى أن يقال له من تراب . ثم قال : ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا نجد هذا إلا عندك .

فأوحى الله إليه ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[2] . . .

فقالوا : أنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى موعدك ؟ قال : بالغداة إنشاء الله ، ثم قال علي بن أبي طالب عليه السلام: فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصبح أخذ بيدي وجعلني بين يديه ، وأخذ فاطمة عليها السلام فجعلها خلف ظهره ، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثم برك لهم بارکاً ، فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا وتآمروا فيما بينهم وقالوا : والله إنه لنبي ، ولئن باهَلَنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا ينجينا شيء منه إلا أن نستقيله ، قال : فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه ، ثم قالوا : يا أبا القاسم أقِلنا ، قال : نعم ، قد أقلتكم ، ، أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه .

قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الفصول : قال المأمون يوماً

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٥٩ . (٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن ؟قال : فقال الرضا عليه السلام فضيلة في المباهلة ، قال جل جلاله : **﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾** [1] فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام فكانا إبنيه ، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل ، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفضل ، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله عز وجل ، قال : فقال المأمون : أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبنيه خاصة ؟ وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبنته وحدها ؟ فألا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ؟ فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل ، قال : فقال له الرضا عليه السلام : ليس يصح ما ذكرت - يا أمير المؤمنين - وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما أن الآمر آمر لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة ، وإذ لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المباهلة رجلاً إلا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمة ذلك في تنزيله . قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال .

قال الطبرسي - رحمه الله -: أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين عليهما السلام، قال أبو بكر الرازي : هذا يدل على أن الحسن والحسين إبنا رسول الله ، وأن ولد الإبنة إبنٌ في الحقيقة .

وقال ابن أبي علان - وهو أحد أئمة المعتزلة -: هذا يدل على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا مكلّفين في تلك الحال ، لأن المباهلة لا تجوز

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

إلا مع البالغين .

وقال أصحابنا : إن صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل ، وإنما جُعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية ، وكان سنهما في تلك الحال سناً لا يمتنع معها أن يكونا كاملي العقل ، على أن عندنا يجوز أن يخرق العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرُهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عمن سواهم ، ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم به ، ومما يؤيده من الأخبار قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا .

«ونساءنا» اتفقوا على أن المراد به فاطمة عليها السلام لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء ، وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء ، «وأنفسنا» يعني علياً خاصة ، ولا يجوز أن يكون المعنيّ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو الداعي ، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه ، وإنما يصح أن يدعو غيرَه . وإذا كان قوله : «وأنفسنا» لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي عليه السلام لأنه لا أحد يدَّعي دخول غير أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة ، وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد ، إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول ، وهذا ما لا يدانيه أحد ولا يقاربه ـ انتهى .

قال شيخنا المجلسي ـ رحمه الله ـ: ويدل على كون المراد بأنفسنا أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه ابن حجر في صواعقه رواية عن الدارقطني : أن علياً عليه السلام يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم : أُنشدكم الله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرحم مني ؟ ومن جعله نفسه ، وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

ولا يخفى أن تخصيص هؤلاء من بين جمع أقاربه صلى الله عليه وآله وسلم للمباهلة دون عباس وعقيل وجعفر وغيرهم لا يكون إلا لأحد شيئين :

إما لكونهم أقرب الخلق إلى الله بعده ، حيث استعان بهم في الدعاء على العدو دون غيرهم ، وإما لكونهم أعز الخلق عليه حيث عرضهم للمباهلة إظهاراً لوثوقه على حقيته ، حيث لم يبال بأن يدعو الخصم عليهم مع شدة حبه لهم ، وظاهر : أن حبه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من جهة البشرية والأمور الدنيوية ، بل لم يكن يحب إلا مَن يحبه الله ، ولم يكن حبه إلا خالصاً لله . . . الخ .

قال بعض الأعلام : وخلاصة الكلام : أن مدار الحب في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التقوى والورع وسائر الفضائل والملكات الحسنة لا الأغراض الدنيوية الفاسدة ، فتخصيصه صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء من بين جميع أقاربه دليل على محبته إياهم ، ومحبته دليل على كونهم أتقى وأورع وأفضل من غيرهم .

قال المجلسي ـ رحمه الله ـ: فإذا ثبت ذلك فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق وأحبهم إلى الله ، فيكونون أفضل من غيرهم ، فيقبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم . وأيضاً لما ثبت أن المقصود بنفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية ، ليس المراد النفسية الحقيقية ، لامتناع إتحاد الاثنين ، وأقرب المجازات إلى الحقيقة اشتراكهما في الصفات والكمالات وخرجت النبوة بالدليل ، فبقي غيرها ، ومن جملتها وجوب الطاعة والرئاسة العامة والفضل على من سواه وسائر الفضائل .

قال الإمام الرازي في كتابه الأربعين : وأما الشيعة فقد احتجوا على أن علياً أفضل الصحابة بوجوه : الحجة الأولى التمسك بقوله تعالى **﴿فقل تعالوا﴾**[1] وثبت بالأخبار الصحيحة أن المراد من قوله : «وأنفسنا» هو علي ، ومن المعلوم أنه يمتنع أن تكون نفس علي هي نفس محمد بعينه فلا بد أن يكون المراد هو المساواة بين النفسين وهذا يقتضي أن كل ما حصل لمحمد من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعلي ، ترك العمل بهذا في فضيلة النبوة فوجب أن تحصل المساواة بينهما وراء هذه الصفة ، ثم لا شك أن

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أفضل الخلق في سائر الفضائل ، فلما كان علي مساوياً له في تلك الفضائل وجب أن يكون أفضل الخلق ، لأن المساوي للأفضل يجب أن يكون أفضل .

ولنعم ما قال الشيخ كاظم الأزري في هذه المناسبة :

يا بن عم النبي أنت يد الله التي عمَّ كل شيءٍ نداها

أنت قرآنه القديم وأوصا فك آياته التي أوحاها

خصك الله في مآثر شتى هي مثل الأعداد لا تتناهى

ليت عيناً بغير روضك ترعى قذيت واستمر فيها قذاها

أنت بعد النبي خير البرايا والسما خير ما بها قمراها

لك ذات كذاته حيث لولا أنها مثلها لما آخاها

عَليّ (ع) يتصَدق بالخَاتَم

عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله عز وجل : **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾**[1] الآية قال : إن رهطاً من اليهود أسلموا ، منهم : عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن صوريا ، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول الله ؟ ومن ولينا بعدك ؟ فنزلت هذه الآية : **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قوموا . فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج ، فقال : يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً ؟ قال : نعم هذا الخاتم ، قال : من أعطاكه ؟ قال : أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي ، قال : على أي حال أعطاك ؟ قال : كان راكعاً . فكبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكبّر أهل المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: علي بن أبي طالب وليّكم بعدي ، قالوا رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن أبي طالب ولياً ، فأنزل الله عز وجل : **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين**

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٥ .

آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [1] فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيءٍ في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبر ضائع ... وما المدح في جنب الآله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وبيَّنها في محكمات الشرايع

وقال أيضاً :

علي أمير المؤمنين أخو الهدى ... وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا
وأول من أدى الزكاة بكفه ... وأول من صلى ومن صام طاويا
فما أتاه سائل مد كفه ... إليه ولم يبخل ولم يك جافيا
فدس إليه خاتماً وهو راكع ... وما زال أوّاهاً إلى الخير داعيا
فبشَّر جبريل النبي محمداً ... بذاك وجاء الوحي في ذاك ضاحيا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين :

فديت علياً إمام الورى ... سراج البرية مأوى التقى
وصي الرسول وزوج البتول ... إمام البرية شمس الضحى
تصدق خاتمه راكعاً ... فأحسن بفعل إمام الورى
ففضله الله رب العباد ... وأنزل في شأنه هل أتى

صورة أخرى لنزول الآية

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه ، ومعه عياله ، فلما دخل المسجد سلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووقف بين يديه وأنشد يقول :

أتيتك والعذراءُ تبكي بِرنةٍ ... وقد ذهلت أُم الصبي عن الطفل
وأُخت وبنتان وأم كبيرة ... وقد كدت من فقري أُخالط في عقلي

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٦ .

وقــد مــســنــي فـقــر وذل وفــاقــة ... ولـيس لنــا شـيءٌ يـمــر ولا يـحـلي
ولـسـنـا نـرى إلا إلـيـك فــرارنــا ... وأين مفــر الـخلق إلا إلـى الـرسـل

فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلـك بكى بكاءً شـديداً ، ثم قـال لأصحابـه : معاشر المسلمين إن الله تعالى ، قد سـاق إليكم ثواباً ، وقاد إليكم أجـراً ، والجزاءُ من الله غرف في الجنة ، تضاهي غرف إبراهيم الخليل عليه السلام، فمن منكم يواسي هذا الفقير ؟ فلم يجبه أحد ، وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كـانت له دائمـاً ، فأومـأ إلى الأعرابي بيـده فـدنا منـه ، فدفـع إليه الخـاتم من يده وهـو في صـلاتـه فـأخـذه الأعـرابي وانصرف .

ثم إن النبي أتـاه جبرئيـل ونادى : السـلام عليك يـا رسول الله ربـك يقـرؤك السلام ويقـول لك : إقـرأ **﴿إنما وليكم الله ورسـوله والـذين آمنـوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسـوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾** [1] .

فعند ذلك قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائمـاً على قدميـه وقال : معـاشر المسلمين أيكم اليوم عمل خيـراً حتىٰ جعله الله ولي كل من آمن ؟ قـالوا : يـا رسول الله ما فينا منْ عمـل خيراً سـوى ابن عمك علي بن أبي طـالب فإنَّـه تصدق بخاتمه على الأعـرابي وهو يصلي . فقـال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وجبت الغرف لابـن عمي علي بن أبي طالب ، فقرأ عليهم الآية . . . الخ .

صورة ثالثة :

في المناقب وكشف الغمة : بينا عبد الله بن عبـاس جالس على شفيـر زمزم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل رجل متعمم بعمامة ، فجعل كلما قال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامـة عن وجهه وقـال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فـأنا أعـرِّفه نفسي : أنـا

(١) سورة المائدة ؛ الآيتان : ٥٥ و٥٦ .

جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهاتين وإلا صُمّتا ، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله .

أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً .

وكان علي عليه السلام راكعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيه ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إن أخي موسى سألك فقال : ﴿**إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري**﴾[1] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : ﴿**سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا**﴾[2] اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللهم إشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزري .

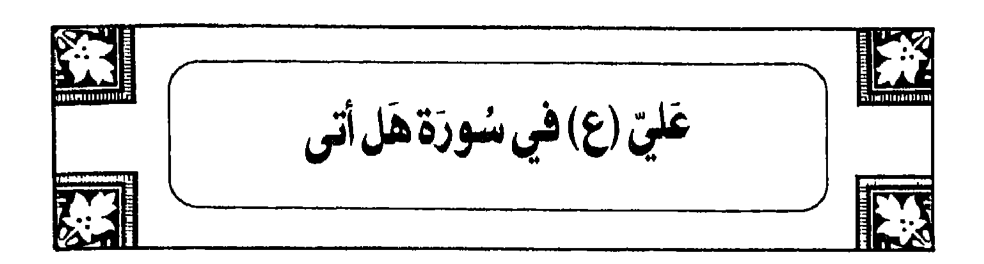
قال أبو ذر : فلما أتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلامه حتى نزل جبرئيل من عند الله عز وجل فقال : يا محمد : إقرأ فأنزل الله عليه ﴿**إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ .

وقد روى المفسرون في نزول هذه الآية أنها نزلت في شأن علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه على السائل ، وإن اختلفت ألفاظ الحديث فالمفاد والمضمون واحد .

وهذه الآية تصرح لعلي عليه السلام بالولاية العامة على المسلمين تلك الولاية الثابتة لله ولرسوله ، وسنذكر في حديث الغدير ما تيسر من معنى الولي والمولى إنشاء الله . . .

---

(١) سورة طه ؛ الآيات : ٢٥ ـ ٣٢ .
(٢) سورة القصص ؛ الآية : ٣٥ .



عليّ (ع) في سورة هل أتى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

في أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام عن أبيه في قوله عز وجل : ﴿يوفون بالنذر﴾ [1] قالا : مرض الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه رجلان ، فقال أحدهما : يا أبا الحسن لو نذرت في إبنك نذراً إن الله عافاهما ، فقال أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل ، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام وقال الصَّبيَّان : ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام ، وكذلك قالت جاريتهم فضة ، فألبسهما الله عافية ، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام ، فانطلق علي عليه السلام إلى جار له من اليهود يقال له : شمعون . يعالج الصوف فقال هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك إبنة محمد بثلاثة أصوع من شعير ؟ قال : نعم ، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة عليها السلام فقبلت وأطاعت ، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف ، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص ، لكل واحد قرصاً ، وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المغرب ؟ ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم ، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام

---

(١) سورة الإنسان ؛ الآية : ٧ .

وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين

..... إلى آخر الأبيات .

ومضمونها التعطف على المسكين ويطلب عليه السلام من فاطمة عليها السلام أن تعطي شيئاً للمسكين .

فأقبلت فاطمة تقول :

أمرك سمع يا بن عم وطاعة ما بي من لؤم ولا وضاعة

إلى آخر الأبيات التي تذكر فيها استعدادها لمساعدة المسكين الواقف على الباب ينتظر ، وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين ، وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح .

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ، ثم أخذت صاعاً من الشعير وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقرصة لكل واحد قرصاً ، وصلى علي المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى منزله فلما وُضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه السلام وإذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع علي اللقمة من يده ثم قال :

فاطم بنت السيد الكريم قد جاءنا الله بذا اليتيم

إلى آخر أبياته التي يحرضها على إطعام اليتيم .

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول :

فسوف أعطيه ولا أبالي   وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهم أشبالي

إلى آخر الأبيات التي تظهر فيها الموافقة على إطعام اليتيم ثم عمدت فأعطته جميع ما على الخوان ، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح ، وأصبحوا صياماً ، وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف وطحنت الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً . وصلى علي المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله، ثم أتى منزله ، فقُرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه السلام وإذا بأسير من أُسراءِ المشركين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا ؟ فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطم يا بنت النبي أحمد   بنت نبي سيد مسود

إلى آخر الأبيات .

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول :

لم يبق مما كان غير صاع   قد دبرت كفي مع الذراع

ثم تذكر استعدادها لمواساة الأسير .

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاً ، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء .

قال شعيب في حديثه : وأقبل علي بالحسن والحسين عليهما السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع ، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا أبا الحسن شدَّ ما يسؤني ما أرى بكم !؟ انطلق إلى إبنتي فاطمة ، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضمها إليه وقال : واغوثاه بالله ؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى ؟ فهبط جبرئيل فقال : يا محمد خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك ، قال : وما آخذ يا جبرئيل ؟ قال : **﴿هل أتى**

على الإنسان حين من الدهر﴾[١] حتى إذا بلغ ﴿إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[٢] .

وقال الحسن بن مهران في حديثه : فوثب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم فبكى وهو يقول : أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم ؟ فهبط عليه جبرئيل بهذه الآيات : ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾[٣] قال: هي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين ﴿يوفون بالنذر﴾[٤] يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاريتهم ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾[٥] يقول: على شهوتهم للطعام وإيثارهم له «مسكيناً» من مساكين المسلمين «ويتيماً» من يتامى المسلمين «وأسيراً» من أُسراء المشركين ويقولون إذا أطعموهم : ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾[٦] قال: والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمروه في أنفسهم ، فأخبر الله بما في ضمائرهم ، ويقولون : لا نريد جزاءً تكافئوننا ، به ولا شكوراً تثنون علينا به ، ولكن إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه ، قال الله تعالى ذكره : ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة﴾[٧] في الوجوه ﴿وسروراً﴾ في القلوب ﴿وجزاهم بما صبروا جنة﴾[٨] يسكنونها ﴿وحريراً﴾ يفترشونه ويلبسونه ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ والأريكة : السرير عليه الحجلة ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾[٩] .

قال شيخنا المجلسي ـ رحمه الله ـ بعد ذكر أقوال المفسرين

---

(١) سورة الإنسان ؛ الآية : ١ .
(٢) سورة الإنسان ؛ الآية : ٢٢ .
(٣) سورة الإنسان ؛ الآيتان : ٥ و٦ .
(٤) سورة الإنسان ؛ الآية : ٧ .
(٥) سورة الإنسان ؛ الآية : ٨ .
(٦) سورة الإنسان ؛ الآية : ٩ .
(٧) سورة الإنسان ؛ الآية : ١١ .
(٨) سورة الإنسان ؛ الآية : ١٢ .
(٩) سورة الإنسان ؛ الآية : ١٣ .

والمحدثين : في هذه السورة أقوال : بعد ما عرفت من إجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء عليهم السلام علمت أنه لا يريب (يشك) أريب ولا لبيب في أن مثل هذا الإيثار لا يتأتى إلا من قبل الأئمة الأخيار وأن نزول هذه السورة مع المائدة عليهم يدل على جلالتهم ورفعتهم ومكرمتهم لدى العزيز الجبار . . . الخ .

أقول : وأما كيف يمكن لهؤلاء أن يتجوعوا ثلاثة أيام بلياليها فليس ذلك بمستبعد ، لأننا نسمع ونقرأ في الصحف أن بعض الأفراد استمر صومهم تسعة أيام بدون أن يدخل شيء في جوفهم ، وأما المرتاضون الذين يتجوعون بصورة مدهشة وينحصر أكلهم في كل يوم في لوزة واحدة ولا يموتون من الجوع بل يعيشون أعواماً وأعواماً ، ويمكن أن نقول : إن العادة في التجوع وعدمه لها تأثير ودخل في الموضوع .

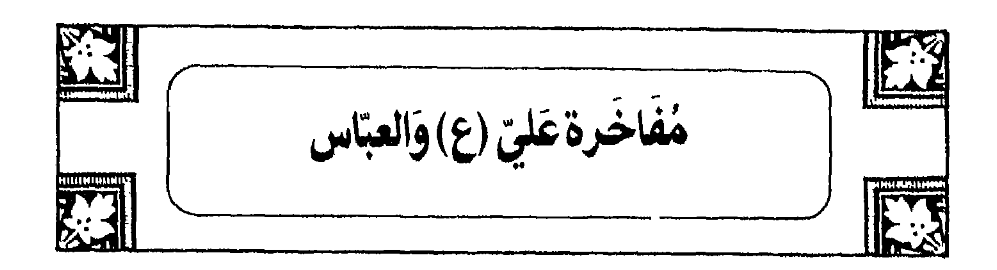
وما قاله بعض الجهال : أنه هل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد ويجوّع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك ؟

فقد ضرب الرقم القياسي في التجاهل أو العناد ، لأن هذا هو المواساة والله تعالى يقول : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾** [1] أي مع احتياجهم إلى الطعام يفضلون غيرهم على أنفسهم فلو كان هذا الإيثار قبيحاً لما مدحهم الله تعالى . وأيضاً : إن الله تعالى أنزل سورة على نبيه تقديراً لهذا الإيثار الذي لا نظير له في البشر ، إلا عند الأنبياء فما دونهم .

فما قيمة انتقاد المخلوق الجاهل لهذا العمل العظيم الذي لم يسجل ولا يسجل التاريخ شبيهاً ومثيلاً له في تاريخ الكرماء الأسخياء فضلاً عن غيرهم ؟؟

---

(١) سورة الحشر ؛ الآية : ٩ .



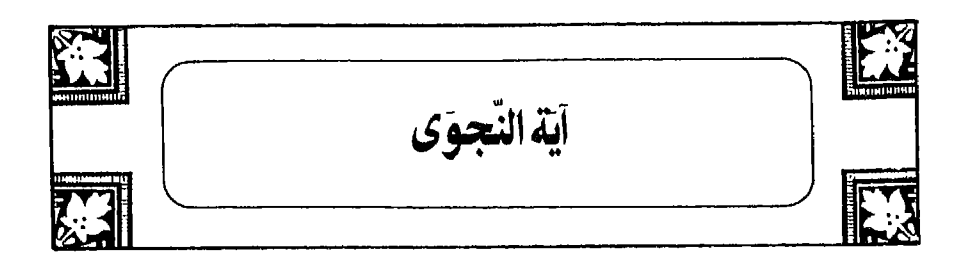
مُفاخرة عَليّ (ع) وَالعبّاس

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريدة عن أبيه قال : بينا شيبة بن أبي طلحة والعباس عم النبي يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : بماذا تتفاخران ؟ فقال العباس : لقد أُوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد : سقاية الحاج .

وقال شيبة : أُوتيت عمارة المسجد الحرام . فقال علي عليه السلام إستحييت لكما فقد أُوتيت على صغري ما لم تأتيا ، فقالا : وما أُوتيت يا علي ؟ قال : ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله . فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : أما ترى إلى ما يستقبلني به علي ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أُدعوا لي علياً فدعي له ، فقال : ما حملك على ما استقبلت به عمك ؟ فقال : يا رسول الله صدمته (دفعته) بالحق ، فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرضى . فنزل جبرئيل وقال : يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : أُتل عليهم : **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون﴾**[1] فقال العباس : إنا قد رضينا ـ ثلاث مرات .

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٩ .



آية النّجوى

المفاخرة بصورة أُخرى

قد ذكرنا ـ فيما مضى ـ شيئاً من خصائص الإمام عليه السلام التي تفرد بها عن غيره وكان يفتخر بها ، لأن الله تعالى أنزل في حقه وشأنه آية أو أكثر .

ومن جملة تلك الخصائص الفريدة والمزايا الحميدة ما رواه المفسرون ، في تفسير قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر﴾**(1) .

فقد أورد الثعلبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير : أن الأغنياء أكثروا مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم ، فأنزل الله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾** فأمر بالصدقة أمام المناجاة .

وأما أهل العسرة (الفقراء) فلم يجدوا ، وأما الأغنياء فبخلوا ، وخف ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخف ذلك الزحام ، وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام ، واشتد على أصحابه ، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام ، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام .

---

(1) سورة المجادلة ؛ الآية : ١٢ .

وقال علي عليه السلام : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، وهي آية المناجاة ، فإنها لما نزلت كان لي دينار فبعته بعشر دراهم وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى فنيت الدراهم ، فنسخت (الآية) بقوله : ﴿ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ [1] الآية .

وقال ابن عمر : ثلاث كنَّ لعلي لو أن لي واحدة منهن كانت أحب إليّ من حمر النعم : تزويجه بفاطمة ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى .

وروى الشيخ الطوسي (ره) عن الترمذي والثعلبي عن علي عليه السلام أنه قال : بي خفف الله عن هذه الأمة ، لأن الله امتحن الصحابة بهذه الآية فتقاعسوا عن مناجاة الرسول ، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلا من تصدق وكان معي دينار فتصدقت به ، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية ، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب لامتناع الكل عن العمل بها .

وفي كتاب فرائد السمطين : أن علياً عليه السلام ناجي رسول الله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات ، فسأل في الأولى : ما الوفاءُ ؟ قال : التوحيد : شهادة أن لا إله إلا الله . ثم قال : وما الفساد ؟ قال : الكفر والشرك بالله عز وجل . قال : وما الحق ؟ قال : الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك . قال : وما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . قال : وما عليّ ؟ قال : طاعة الله وطاعة رسوله ، قال : وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال : بالصدق واليقين ، قال : وما أسأل الله تعالى ؟ قال : العافية . قال : وماذا أصنع لنجاة نفسي ؟ قال : كل حلالاً وقل صدقاً قال : وما السرور ؟ قال : الجنة . قال : وما الراحة ؟ قال : لقاءُ الله تعالى ، فلما فرغ نسخ حكم الآية .

---

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ١٣ .

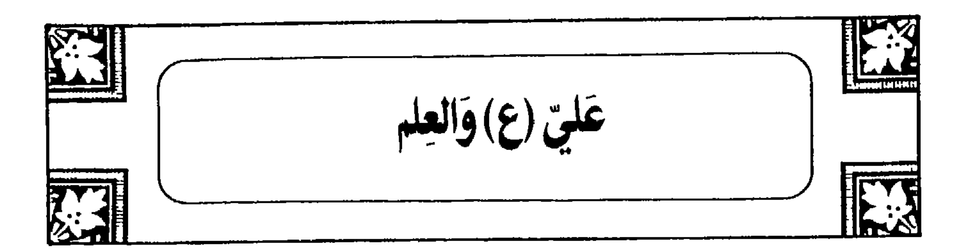
قال بعض الأعلام : وأنت إذا تأملت في هذه الكلمات العشر وما فيها من الحكم والخير الكثير التي لا يعطيها الله ولا يؤتيها إلا خاصة خلقه والصالحين من عباده تجد أنها جديرة بأن يبذل بإزائها الدنيا وما فيها ، وكيف لا وقد بذل أمير المؤمنين عليه‌السلام كل ما كان يملك ـ وهو دينار واحد كما استفدنا من الروايات السابقة ـ ليأخذ هذه الكنوز الغالية من الحِكَم . . . الخ .

وقد ذكرنا فيما مضى نزول قوله تعالى : **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾**[1]. أنها نزلت في مبيت علي عليه‌السلام على فراش رسول الله ، وقد ذكر ذلك المفسرون من الشيعة والسنة .

وقد ذكر المفسرون والمحدثون من الفريقين آيات كثيرة نزلت في شأن علي عليه‌السلام وأنه المقصود بها تفسيراً أو تؤويلاً بأنه : الشهيد ، والشاهد ، والمشهود ، والذكر والنور والهدى والصادق والمصدق والصديق والفضل والرحمة والنعمة ، والذي عنده علم الكتاب ، وقد ورد لكل إسم من هذه الأسماء حديث أو أكثر ، يصرح بأن علياً عليه‌السلام هو المقصود بذلك الإسم ورعاية للإختصار اكتفينا بالإشارة فقط ، ولنا في المستقبل مجال للتحدث عن الآيات القرآنية التي ترتبط بالإمام علي عليه‌السلام .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فوق حمد الحامدين وصلى الله على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** [1] .

لا شك أن العلم فضيلة وكمال ، ويعترف البشر بشرفه ، ويفضِّل العالم على الجاهل بالفطرة لا بالتقليد ، وعلى هذا الأساس لم يسكت الإسلام عن فضيلة العلم والعالم فقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: طلب العلم فريضة على كل مسلم .

والقرآن الكريم يشير إلى مزية العلم وقيمته وكرامته في كثير من الآيات ، ويثني على كل من أُوتي من العلم نصيباً .

ومن أهم الأُسس للوظائف الراقية والمناصب السامية (كالحكم والقضاء) هو العلم بالأحكام الشرعية وتعاليم آداب القضاء والفتوى ، ودرجات الإيمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب العلم .

ونحن لا نستطيع أن نعرف علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومدى

(1) سورة الزمر ؛ الآية : ٩ .

إيمانه بالله تعالى ، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال - في حديث صحيح -: يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت ، ولا يعرفني إلا الله وأنت ، ولا يعرفك إلا الله وأنا .

ولا نستطيع أن نحدّد علم الإمام ونحيط به ، لأنه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلم رسول الله من الله تعالى ، وليس عن طريق الاكتساب والتحصيل بل بالإفاضة من عند الله تعالى ، ونجد في القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات البينات التي تصرح بأن علوم الأنبياء من عند الله تعالى عن طريق الإفاضة والإلقاء في القلب ، ومعلومٌ : أن هذا النوع من العلم لا يشوبه شيءٌ ، ولا مجال للباطل إليه ، بل هو الحق الصحيح الصدق المطابق للواقع ، وإليكم بعض تلك الآيات :

﴿وقل : رب زدني علماً﴾ (١) .

﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ (٢) .

﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (٣) .

﴿وكلًّا آتيناه حكماً وعلماً﴾ (٤) .

﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً﴾ (٥) .

﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾(٦) .

﴿فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً﴾ (٧) .

---

(١) سورة طه ؛ الآية : ١١٤ .
(٢) سورة الكهف ؛ الآية : ٦٥.
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤٧ .
(٤) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٧٩ .
(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٧٤ .
(٦) سورة النمل ؛ الآية : ١٥ .
(٧) سورة القصص ؛ الآية : ١٤ .

﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾[1] .

﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة﴾[2] .

﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾[3] .

﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾[4] .

﴿ففهمناها سليمان﴾[5] .

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾[6] .

﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾[7] .

﴿وقتل داودُ جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاءُ﴾[8] .

﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾[9] .

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[10] .

إذا عرفتم ذلك فكيف نستطيع أن نعرف مقياس علوم الإمام ومستوى معارفه وثقافته الإلهية ؟

وكيف نتمكن من الإحاطة بعلم باب مدينة علم الرسول ﷺ والتلميذ الأول للرسول الأعظم الذي فرّغ رسول الله علومه في صدر الإمام ، وعلّمه في وجبة واحدة ألف باب من العلم يُفتح له من كل باب ألف باب ؟.

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٤٤ .
(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ١١٠ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٣١ .
(٤) سورة مريم ؛ الآية : ٤٣ .
(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٧٩ .
(٦) سورة يوسف ؛ الآية : ٣٧ .
(٧) سورة النساء ؛ الآية : ١١٣ .
(٨) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥١ .
(٩) سورة يوسف ؛ الآية : ٦٨ .
(١٠) سورة النساء ؛ الآية : ١٠٥ .

وما يدري هل آسف على الإمام الذي ضاع قدره في ذلك العهد فلم يُفسح له المجال ليبث للمسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية ؟ أم آسف على المسلمين الذين حُرموا من ذلك المنهل العذب وهم بأمس الحاجة إلى العلم ؟ فقد مضى خمس وعشرون سنة وعليٌّ عليه السلام جليس بيته مسلوب الإمكانيات مكبوتاً عليه لا يستطيع تنوير العقول بعلومه وتزويد النفوس بمواهبه ؟

قد نسمع أن بعض الغربيين يبدي أسفه على مكتبة الإسكندرية التي حُكم عليها بالإحراق ، وما ضاعت هناك من علوم وكنوز وأسرار وفنون وصارت طعمة للحريق ، فلو كانت تلك العلوم في متناول البشر اليوم وقبل اليوم لكانوا في أرقى درجات الحضارة وأوج العظمة يتصرفون في تلك الكنوز ويعيشون في أوسع فضاءٍ يستنشقون شتى العلوم ويتنعمون بتلك الثروة الفكرية التي كانت تساعدهم في التقدم بصورة مدهشة .

وسبب تأخر المسلمين خاصة والبشر عامة في خلال هذه القرون إنما هو من بركات ذلك العمل اللاإنساني ! .

إن كان احتراق مكتبة تضم الكتب المتنوعة يوجب التأثر والتألم في نفوس هواة العلم وروّاد الفضيلة مع العلم أن الكتب كانت صامتة لا ينتفع بها الأميّون والذين لا يحسنون لغة تلك الكتب ، فإن تجميد شخصية قد تمثلت وتجمعت فيها دوائر المعارف بكافة أنواعها وجميع أقسامها يُؤسف له أكثر وأكثر ، أليس من المؤسف أن تعيش أُمة من الناس في الظلمات ، وعندهم الضياءُ اللامع والسراج المنير الذي يضيء لهم الدروب والطرق وهم بأمس الحاجة إليه ؟؟ وإذا بجماعة يحاولون إخفاء ذلك الضياء والحيلولة بينه وبين الإضاءة والإشراق ، ويعجبهم أن يشاهدوا الناس محرومين عن الإستضاءة بأنوار ذلك القمر ، وفعلاً وصلوا إلى ما أرادوا ، وحكموا على المجتمع الإسلامي بالخيبة والحرمان من العلوم الإلهية وكنوز المعارف الربانية ، وذلك حينما حكموا على علي عليه السلام بالإعتزال وسلبوه كل

نشاط علمي ، وضيقوا عليه المجال غاية التضييق خلال خمس وعشرين سنة ـ كما تقدم الكلام ـ.

وبعد أن وجد المجال وعادت إليه الإمكانيات واسترد ما سُلب منه ، وإذا بالحروب الداخلية والاضطرابات تحط من نشاطه العلمي وتبلبل فكره وتشغل قلبه ، وتسلب القرار والإطمئنان من ذلك المجتمع ، فينقلب النشاط العلمي إلى طاقة حربية ، وتنقلب المعاهد الثقافية إلى معارك دامية ومجازر مشجية وما هنالك من نتائج وخيمة .

بالرغم من هذا كله فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يرفع أضواً مشعل للعلم في سماء الثقافة والمعرفة ، فهذا كتاب نهج البلاغة وهو جزء من أربعة وعشرين جزءً من خطب الإمام وكلماته الحكمية ورسائله القيمة ، وهذه الكمية هي التي حفظها التاريخ ولا تسأل عن الخطب والعلوم التي ضاعت ولم تلتقطها الأدمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ ، فقد روي أن علياً عليه السلام خطب في الناس ـ يوماً ـ من بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر ، فكان الإمام يفيض على الخلائق العلوم بشتى أنواعها طيلة ست ساعات تقريباً .

والآن نذكر لكم ما تيسر من الأحاديث الواردة حول علوم الإمام ومدى سعة معلوماته الجمة : (في البحار) قال أمير المؤمنين عليه السلام : لو ثُنِّيت لي الوسادة لحكمت بين أهل القرآن بالقرآن حتى يزهر إلى الله ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله ، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله ، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله ، ولولا آية في كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة .

وقال علي عليه السلام : لأنا أعلم بالتوراة من أهل التوراة وأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل .

عن الأصبغ بن نباتة قال : لما قدم علي عليه السلام الكوفة صلى بهم

أربعين صباحاً فقرأ بهم : ﴿سبّح اسم ربك الأعلى﴾[1] فقال المنافقون : والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن ، ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة ، قال : فبلغه ذلك ، فقال ويلهم ! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، وفصاله من وصاله ، وحروفه من معانيه ، والله ما حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا وأنا أعرف فيمن أُنزل وفي أي يوم نزل وفي أي موضع نزل ، ويلهم أما يقرؤون ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾[2] والله عندي ، ورثتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وورثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إبراهيم وموسى ، ويلهم ! والله إني أنا الذي أنزل الله فيّ : ﴿وتعيها أُذُن واعية﴾[3] فإنّا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرنا بالوحي ، فأعيه ويفوتهم ، فإذا خرجنا قالوا : ماذا قال آنفاً ؟.

عن عباية بن ربعي قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، ألا تسألون مَن عنده علم المنايا والبلايا والأنساب ؟.

عن الأصبغ بن نباتة قال : لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بُرديه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر ، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرته ، ثم قال : يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين ، أما والله لو ثُني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول :

يا رب إن علياً قضى بقضائك . والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدَّعٍ علمه ، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم

---

(١) سورة الأعلى ؛ الآية : ١ .

(٢) سورة الأعلى ؛ الآيتان : ١٨ و ١٩ .

(٣) سورة الحاقة ؛ الآية : ١٢ .

القيامة . ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت ، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها ، ومحكمها من متشابهها ، ومكّييها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة .

قال ابن عباس : علي علم علماً علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّمه الله ، فعلم النبي ـ صلوات الله عليه وآله ـ من علم الله ، وعلم علي من علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلمي من علم علي عليه السلام ، وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في علم عليٍّ إلا كقطرة في سبعة أبحر .

عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال له : يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سُئلت عنه ! قال : فأبرز علي كفه وقال له : كم هذا ؟ فقال عمر : خمسة ، فقال عجلت : أبا حفص ؟ قال : لم يخف علي ، فقال علي عليه السلام : وأنا أسرع فيما لا يخفى علي .

قال الصادق عليه السلام لابن أبي ليلى : أتقضي بين الناس يا عبد الرحمن ؟ قال : نعم يا ابن رسول الله ، قال : بأي شيء تقضي ؟ قال : بكتاب الله . قال : فما لم تجد ، في كتاب الله ؟ قال من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما لم أجده فيهما أخذته عن الصحابة بما اجتمعوا عليه ، قال : فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم ؟ قال : بقول من أردت وأُخالف الباقين ، قال أبو عبد الله عليه السلام : ما تقول يَوم القيامة إذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أي رب إنَّ هذا بلغه عني قول فخالفه ؟ قال : وأين خالفت قوله يا ابن رسول الله ؟ قال : فبلغك أن رسول الله قال : أقضاكم علي عليه السلام؟ قال : نعم ، قال : فإذا خالفت قوله ألم تخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فاصفرَّ وجه ابن أبي ليلى وسكت .

عن الأصبغ بن نباتة وجماعة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار ـ وأشار إلى صدره ـ : كيف مليء علماً لو وجدت له

طالباً ؟ سلوني قبل أن تفقدوني ، هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله ﷺ هذا ما زقّني رسول الله ﷺ زقاً ، فاسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثنيت لي الوسادة . . . الخ .

وفي نهج البلاغة : «فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتُضلُّ مائة إلا نبّأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً» .

وعن سلمان أنه قال عليه السلام : عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ، ومولد الإسلام ومولد الكفر ، وأنا صاحب الميسم ، وأنا الفاروق الأكبر ، ودولة الدول فسلوني عما يكون إلى يوم القيامة ، وعما كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يُعبد الله .

عليّ (ع) والخطابة

ألا ترى إلى خطبه عليه السلام مثل : التوحيد والشقشقية والهداية والملاحم واللؤلؤة والغراء والقاصعة والافتخار والأشباح والدرة اليتيمة والأقاليم والوسيلة والطالوتية والقصبية والسلمانية والناطقة والدامغة والفاضحة ، بل إلى نهج البلاغة عن الشريف الرضي ، وكتاب خطب أمير المؤمنين عن إسماعيل بن مهران السكوني عن زيد بن وهب أيضاً ، قال الرضي : كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها ، وعنه أُخذت قوانينها .

الجاحظ في كتاب الغرة : كتب علي عليه السلام إلى معاوية : غرّك عزّك ، فصار قصار ذلك ذُلك ، فاخش فاحش فعلك فعلّك تهدا بهدا .

وقال عليه السلام : (من آمن أمن) .

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة :

وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء ، وسيد البلغاء وعن كلامه قيل : هو (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ومنه تعلَّم الناس الخطابة والكتابة . قال عبد الحميد بن يحيى : حفظت سبعين خطبة من خُطَب الأصلع ، ففاضت ثم فاضت .

وقال نباتة : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلَّا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب .

ولما قال محفن بن أبي محفن ـ لمعاوية ـ: (جئتك من عند أعيى الناس) قال له : ويحك ! كيف يكون أعيى الناس ؟! فوالله ما سنَّ الفصاحة لقريش غيره .

ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ، ولا يبارى في البلاغة ، وحسبك أنه لم يدوِّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشر مما دوِّن له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من كتبه .

ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

منها : ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياءُ الباسط لكل شيءٍ ويبسطها الظلام القابض لكل حي . وكيف عشيت أعينها ، عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها ، وتتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها ، وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضيّ في سبحات إشراقها ، وأكنها في مكانها عن الذهاب في بلج ائتلاقها ، فهي مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها ، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها . فلا يرد أبصارها إسداف ظلمته ، ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته ، فإذا ألقت الشمس قناعها ، وبدت أوضاح نهارها ، ودخل من إشراق نورها على

الضباب في وجارها ، أطبقت الأجفان على مآقيها ، وتبلغت بما اكتسبت من فيءِ ظلم لياليها ، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً ، والنهار سكناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الآذان ، غير ذوات ريش ولا قصب ، إلا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاماً ، لها جناحان لما يرقا فينشقا ، ولم يغلظا فيثقلا . تطير وولدها لاصق بها ، لاجىء إليها ، يقع إذا وقعت ، ويرتفع إذا ارتفعت . لا يفارقها حتى تشتد أركانه ، ويحمله للنهوض جناحه ، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه . فسبحان البارىء لكل شيءٍ على غير مثال خلا من غيره .

من خطبة له عليه السلام
يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

إبتدعهم خلقاً من حيوان وموات ، وساكن وذي حركات . فأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به . . ومسلمة له . ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الأطيار التي أسكنها أخاديد الأرض وخروق فجاجها ، ورواسي أعلامها . من ذات أجنحة مختلفة ، وهيئات متباينة ، مصرّفة في زمام التسخير ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوّ المنفسح ، والفضاءِ المنفرج . كوّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة ، وركّبها في حقاق مفاصل محتجبة . ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو في السماء خفوفاً ، وجعله يدف دفيفاً . ونسقها على اختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته . فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه . ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن أعجبها خلقاً : الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل ، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد ، بجناح أشرج قصبه ، وذنب أطال مسحبه ، إذا درج إلى الأنثى نشره من طيه ، وسما به مطلاً على رأسه كأنه قلع داري

عنجه نوتيه . يختال بألوانه ، ويميس بزيفانه ، يفضي كأفضاء الديكة ، ويؤر بملاقحةٍ أرّ الفحول المغتلمة في الضراب . أحيلك من ذلك على معاينة ، لا كمن يحيل على ضعيف إسناده . ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأن أُنثاه تطعم ذلك ، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب ، تخال قصبه مداري من فضة وما أُنبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقبان وفلذ الزبرجد فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت جني جني من زهرة كل ربيع . وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل أو كمونق عصب اليمن . وإن شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل ، يمشي مشي المرح المختال ، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه ، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوتٍ يكاد يبين عن استغاثته ، ويشهد بصادق توجعه ، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراءُ موشاة ، ومخرج عنقه كالإبريق ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية ، أوكحريرة ملبسة مرءاة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر أسحم ، إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به . ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان أبيض يقق . فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق . وقلّ صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط ، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه ، فهو كالأزاهير المبثوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شموس قيظ . وقد يتحسر من ريشه ، ويعرى من لباسه ، فبسقط تترى ، وينبت تباعاً . . . فينحت من قصبه إنحتات أوراق الأغصان ، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه . لا يخالف سالف ألوانه ، ولا يقع لون في غير مكانه . وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية ، وتارة خضرة زبرجدية ، وأحياناً صفرة عسجدية فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن ، أو تبلغه قرائح العقول ، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقلّ

أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه ، والألسنة أن تصفه . فسبحان الـذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوناً ، ومؤلفاً ملوناً . وأعجز الألسن عن تلخيص صفته ، وقعد بها عن تـأدية نعتـه . وسبحان من أدمج قوائم الـذرة والهمجة إلى مـا فوقهما من خلق الحيتان والأفيلة . ووأى على نفسـه أن لا يضطرب شبح مما أولـج فيـه الـروح إلا وجعـل الحِمـام موعده والفناء غايته .

ومنهـا خطبتـان له صلوات الله عليـه إحداهمـا بلا ألف والأخـرى بلا نقطة (الأولى) في المناقب روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويـه قدس سره بـإسناده عَن الـرضا عليه السلام عن آبـائه عليهم السلام أنـه اجتمعت الصحابـة فتـذاكروا أن الألف أكثـر دخولاً في الكـلام فارتجـل عليه السلام الخطبـة المونقـة وهي : حمـدت من عـظمت منتـه وسبغت نعمتـه وسبقت رحمتـه غضبـه ، وتمت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت قضيته ، حمدته حمد مُقرٍ بربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متنصل من خـطيئته ، متفـرد بتوحـده ، مؤمل منـه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ، ونستعينه ونستـرشده ونستهـديه ، ونؤمن بـه ونتوكـل عليه وشهـدت له شهـود مخلص موقن ، وفـردتـه تفـريـد مؤمن متيقن ، ووحدته توحيد عبد مذعن ، ليس له شريـك في ملكه ولم يكن لـه ولي في صنعه ، جلَّ عن مشير ووزير ، وعن عون ومعين ونصير ونظير علم فستر ، وبطن فخبر ، وملك فقهر ، وعُصي فغفـر ، وحكم فعدل ، لم يـزل ولن يزول ليس كمثله شيءٌ وهو بعد كل شيءٍ ، رب معتزز بعزتـه ، متمكن بقوته ، متقدس بعلوّه متكبر بسمـوّه ليس يدركـه بصر ، ولم يحط بـه نظر ، قوي منيع ، بصير سميع ، رؤوف رحيم عجز عن وصفه من يصفـه ، وضِل عن نعته من يعرفه ، قرب فبعـد ، وبَعُد فقـرب ، يجيب دعوة من يـدعوه ، ويرزقه ويحبوه ، ذو لطف خفي ، وبطش قوي ، ورحمة موسعـة ، وعقوبـة مـوجعة ، رحمتـه جنة عـريضة مـونقة ، وعقـوبته جحيم ممـدودة مـوبقـة ، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبـه وخليله ، بعثه في خير عصر ، وحين فترة ، وكفر ، رحمـة لعبيده ومنـة لمزيـده ، ختم به

نبوته ، وشيّد به حجته ، فوعظ ، ونصح وبلغ وكدح ، رؤوف بكل مؤمن رحيم ، رضي ولي زكي ، عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم ، من رب غفور رحيم قريب مجيب ، وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم وذكّرتكم بسنة نبيكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تذري دموعكم ، وتقية تنجيكم قبل يوم يبليكم ويذهلكم ، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته ، وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع ، بتوبة ونزع ، وندم ورجوع ، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه ، وشيبته قبل هرمه ، وسعته قبل فقره ، وفرغته قبل شغله ، وحضره قبل سفره ، قبل تكبر وتهرم وتسقم ، يملّه طبيبه ويعرض عنه حبيبه ، ويقطع عمره ويتغير عقله ، ثم قيل هو موعوك ، وجسمه منهوك ، ثم جد في نزع شديد ، وحضره كل قريب وبعيد ، فشخص بصره وطمح نظره ، ورشح جبينه وعطف عرينه ، وسكن حنينه ، وحزنته نفسه ، وبكته عرسه ، وحفر رمسه ، ويتم منه ولده ، وتفرق منه عدده ، وقسم جمعه ، وذهب بصره وسمعه ، ومدّد وجرّد وعري وغسّل ، ونشف وسجّي ، وبسط له وهيئ ، ونشر عليه كفنه ، وشدَّ منه ذقنه ، وقمّص وعمّم ، وودّع وسلَّم ، وحمّل فوق سرير ، وصُلي عليه بتكبير ، ونقل من دور مزخرفة ، وقصور مشيدة ، وحجر منجدة ، وجعل في ضريح ملحود وضيق مرصود ، بملبن منضود ، مسقف بجلمود ، وهيل عليه حفره ، وحثي عليه قدره وتحقق حضره ، ونسي خيره ، ورجع عنه وليه ، وصفيه ونديمه ونسيبه ، وتبدل به قرينه وحبيبه ، فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسعى بجسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره ، يسحق برمته لحمه ، وينشف دمه ويرم عظمه ، حتى يوم حشره . فنشر من قبره حين ينفخ في صور ، ويدعى بحشر ونشور فثم بعثرت قبور ، وحصلت سريرة صدور ، وجيء بكل نبي وصديق وشهيد ، وتوحد للفصل قدير ، بعبده خبير بصير ، فكم من زفرة تضنيه ، وحسرة تنضيه ، في موقف مهول ، ومشهد جليل ، بين يدي ملك

عظيم وبكل صغير وكبير عليم ، فحينئذ يلجمه عرقه ، ويحصره قلقه ، عبرته غير مرحومة ، وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة ، زاول جريدته ، ونشر صحيفته ، نظر في سوء عمله ، وشهدت عليه عينه بنظره ، ويده ببطشه ، ورجله بخطوه ، وفرجه بلمسه ، وجلده بمسه ، فسلسل جيده ، وغلّت يده ، وسيق فسحب وحده ، فورد جهنم بكرب وشدة فظل يعذب في جحيم ، ويسقى شربة من حميم ، تشوي وجهه وتسلخ جلده ، وتضربه زبنيته بمقمع من حديد ، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد ، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فيلبث حقبة يندم ، نعوذ برب قدير ، من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه ، ومغفرة من قبله ، فهو ولي مسألتي ، ومنجح طلبتي ، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بعزته وخلّد في قصور مشيدة ، وملك بحور عين وحفدة ، وطيف عليه بكؤوس وسكن حظيرة قدس ، وتقلب في نعيم ، وسقي من تسنيم ، وشرب من عين سلسبيل ، ومزج له بزنجبيل ، مختم بمسك وعبير ، مستديم للملك ، مستشعر للسرور ، يشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدع من شربه ، وليس ينزف ، هذه منزلة من خشي ربه ، وحذر نفسه معصيته ، وتلك عقوبة من جحد مشيئته ، وسولت له نفسه معصيته ، فهو قول فصل ، وحكم عدل ، وخبر قصص قص ، ووعظ نص ، تنزيل من حكيم حميد ، نزل به روح قدس مبين ، على قلب نبي مهتد رشيد ، صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة ، عذت برب عليم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رجيم ، فليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم ويستغفر كل مربوب منكم لي ولكم وحسبي ربي وحده .

ثم ارتجل الإمام عليه السلام خطبة أُخرى خالية من النقط وهي على نسختين (الأولى) :

الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود مُصور كل مولود ، ومآل كل مطرود ، ساطح المهاد وموطد الأطواد ، ومرسل الأمطار ومسهل

الأوطار ، عالم الأسرار ومدركها ، ومدمر الأملاك ومهلكها ، ومكور الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدرها ، عم سماحه وكمل ركامه ، وهمل ، وطاوع السؤال والأمل ، وأوسع الرمل وأرمل ، أحمده حمداً ممدوداً ، وأوحده كما وحد الأواه ، وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام مسدداً للرعاع ومعطل أحكام ودٍّ وسواع ، أعلم وعلم ، وحكم وأحكم ، وأصل الأصول ، ومهد وأكد الموعود ، وأوعد أوصل الله له الاكرام ، وأودع روحه السلام ، ورحم آله وأهله الكرام ، ما لمع رائل وملع دال ، وطلع هلال ، وسمع إهلال ، اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال ، واطرحوا الحرام ، ودعوه ، واسمعوا أمر الله وعوه ، وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها ، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ، ومصاهركم أطهر الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً ، وأحلاهم مورداً ، وها هو أمكم وحلّ حرمكم مملكاً عروسكم المكرمه وما مهر لها كما مهر رسول الله أم سلمه ، وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم ، اسأل الله حكم أحماد وصاله ، ودوام إسعاده ، وألهم كلاً إصلاح حاله والأعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد .

(الثانية) : في المناقب روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ارتجل خطبة أُخرى من غير النقط التي أولها : الحمد لله أهل الحمد ومأواه وأوكد الحمد وأحلاه وأسرع الحمد وأسراه وأطهر الحمد وأسماه وأكرم الحمد وأولاه ـ إلى آخرها .

ومنهم الشعراءُ وهو عليه السلام أشعرهم وذكر البلاذري في أنساب الأشراف أن علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأكتبهم .

في تاريخ البلاذري : كان أبو بكر يقول الشعر ، وعمر يقول الشعر

وعثمان يقول الشعر ، وكان علي عليه السلام أشعر الثلاثة .

ومنهم الوعاظ وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ما له نحو قوله عليه السلام : «من زرع العدوان حصد الخسران ، من ذكر المنية نسي الأمنية ، من قعد به العقل قام به الجهل ، يا أهل الغرور ما ألهجكم بدار خيرها زهيد ، وشرها عتيد ، ونعيمها مسلوب ، وعزيزها منكوب ، ومسالمها محروب ، ومالكها مملوك وتراثها متروك ؟» .

ومنهم الفلاسفة وهو عليه السلام أرجحهم ، قال عليه السلام : أنا النقطة أنا الخط ، أنا الخط أنا النقطة ، أنا النقطة والخط ، فقال جماعة : إن القدرة هي الأصل ، والجسم حجابه ، والصورة حجاب الجسم ، لأن النقطة هي الأصل ، والخط حجابه ومقامه ، والحجاب غير الجسد الناسوتي .

وسُئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال : صُور عارية من المواد ، عالية عن القوة والاستعداد ، تجلى لها فأشرقت ، وطالعها فتلألأت ، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة . إن زكاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد .

قال ابن سينا : لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلا علي عليه السلام .

قال الشريف الرضي : من سمع كلامه عليه السلام لا يشك أنه كلام من قبع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إلا حسه ، ولا يرى إلا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب ، مصلتاً سيفه ، فيقطُّ الرقاب ويجدل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً ، وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الأبدال ، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التي جمع بها بين الأضداد .

ومنهم المنجمون وهو عليه السلام أكيسهم ، قال سعيد بن جبير استقبل أميرَ المؤمنين عليه السلام دهقان فقال له : يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم

الاختفاءُ ، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن كوكبان ، وانفكأ فيه الميزان ، وانقدح من برجك النيران ، وليس الحرب لك بمكان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أيها الدهقان ، المنبىءُ بالآثار ، المخوف من الأقدار ما كان البارحة صاحب الميزان ؟ وفي أي برج كان صاحب السرطان ؟ وكم الطالع من الأسد والساعات في الحركات ؟ وكم بين السراري والزراري ؟ قال : سأنظر في الأسطرلاب فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : ويلك يا دهقان أنت مسيّر الثابتات ؟ أم كيف تقضي على الجاريات ؟ وأين الأسد من المطالع ؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ وما دور السراري المحركات ؟ وكم قدر شعاع المنيرات ؟ وكم التحصيل بالغدوات ؟ فقال : لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين ، فقال له : يا دهقان هل نتج علمك أن انتقل بيت ملك الصين ، واحترقت دور بالزنج ، وخمد بيت نار فارس وانهدمت منارة الهند ، وغرقت سرانديب ، وانقض حصن الأندلس ، ونتج بترك الروم بالرومية ؟؟ فخر الدهقان ساجداً فلما أفاق قال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق ؟ فقال : بلى ، فقال : أنا وصاحبي لا شرقيون ولا غربيون ، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك ، أما قولك «انقدح من برجك النيران وظهر منه السرطان» فكان الواجب أن تحكم به لي لا عليّ ، أما نوره وضياؤه فعندي ، وأما حريقه ولهبه فذهب عني وهذا مسألة عقيمة إحسبها إن كنت حاسباً . فقال الدهقان : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنك علي ولي الله .

هذا وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام آراءٌ ونظريات في التوحيد حول الإلهيات ، كالصفات الثبوتية والسلبية ، وما يتعلق بذلك وله كلام وبحث دقيق حول العلوم الكونية والطبيعية كالفلك والنجوم والسحاب والرعد والبرق وتكوُّن الأمطار وما شابه من المواضيع المتعلقة بالعالم الأعلى .

وله تحليل جليل حول الإنسان نطفة وجنيناً ورضيعاً ووليداً وشاباً وكهلاً وما يدور في هذا الفلك من علم النفس والفلسفة البشرية ، وغير ذلك .

يظهر كل هذا من مطاوي كلماته وخطبه الموجودة في نهج البلاغة وغيره من كتب الحديث .

وتتميماً لهذا البحث نذكر كلام ابن الحديد في هذا الموضوع ، قال : وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ومنه ابتدأ .

فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلّم الناس هذا الفن ـ تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذه عليه السلام .

وأما الأشعرية فإنهم يضمون إلى أبي الحسن بن أبي بشير الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلّمهم ، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم : علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه .

أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة .

وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه إلى أبي حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام ، وجعفر قرأ على أبيه ، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام .

وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي

طالب عليه السلام .

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان ذلك لك ، فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

أما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وابن عباس ، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام .

أما إبن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرة : لولا علي لهلك عمر وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، وقوله : لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر . فقد عرف بهذا الوجه انتهاءُ الفقه إليه .

وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله وسلم أقضاكم علي والقضاءُ هو الفقه ، فهو إذن أفقههم .

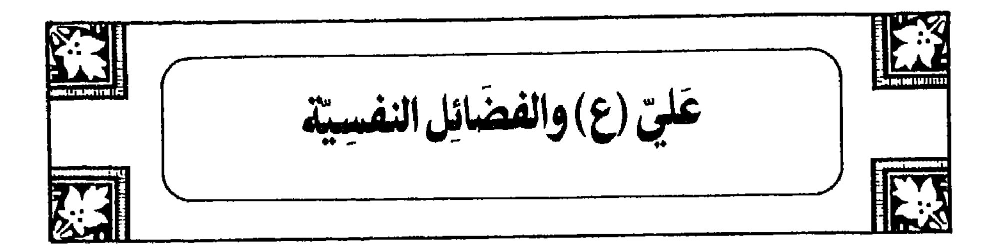
وروى الكل أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له ـ وقد بعثه إلى اليمن قاضياً ـ : اللهم اهد قلبه ، وثبّت لسانه . قال : فما شككت بعدها في قضاءٍ بين اثنين .

وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر ، وهو الذي أفتى به في الحامل الزانية ، وهو الذي قال في المنبرية : صار ثمنها تسعاً . وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستُحسن منه بعد طول النظر ـ هذا الجواب ، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً ؟

ومن العلوم : علم تفسير القرآن ، وعنه أُخذ ، ومنه فرع ، وإذا راجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك ، لأن أكثره عنه ، وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه ، وأنه تلميذه وخرّيجه ، وقيل له : أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط . . .

ومن العلوم : علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ومن جملتها : الكلام كله ثلاثة أشياءٍ : اسم وفعل وحرف .

ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم ، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات ، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط .



عليّ (ع) والفضائل النفسيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه وصلى الله على محمد سيد أنبيائه وآله سادات أوليائه .

قال الله تعالى في القرآن العظيم : ﴿قل كلٌّ يعمل على شاكلته﴾[1] .

قال علماءُ النفس والفلاسفة : إن أعمال الإنسان وأفعاله التي تظهر إلى الوجود إنما هي آثار نفسيته التي تطبَّع عليها ، وانطباعاته التي خامرت روحه عن الوراثة والتربية ، فالفضائل بكافة أنواعها وأقسامها ، والرذائل بجميع أشكالها وأجناسها ما هي إلاَّ ولائد التربية أو رواسب الوراثة .

وقد ذكرنا في بعض الليالي الماضية بعض جوانب التربية ونتائجها ، ولو أردنا الخوض في هذا البحث فاتنا الكلام الأصلي المقصود بيانه في هذه الليلة .

حديثنا ـ الليلة ـ حول الفضائل النفسية التي امتاز بها الإمام عليه السلام وإنما وصفنا الفضائل بالنفسية لأن هناك فضائل لا ترتبط بالنفس كالنسب الشريف والجمال والقوة فإنها أمور لا إختيارية ، والفضائل النفسية تظهر إلى الوجود

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٨٤ .

بالطوع والاختيار كالجود والعفو والزهد والعبادة وما شاكل ذلك فإنها منبعثة من نفس طاهرة شريفة فاضلة وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿قل كلٌ يعمل على شاكلته﴾[1] أي قل يا محمد كل واحدٍ من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها أو على طريقته وسنته التي اعتادها ، وقال الشاعر :

ملكنا فكان العفو منا سجية | فلما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا | فكل إناءٍ بالذي فيه ينضح

وقد مرَّ عليكم الشيءُ الكثير ـ القليل مما يتعلق بهذا الإمام العظيم من عوامل التشريف والتأثير في نفسيته الطاهرة عليه السلام من حيث الميلاد والمواهب والمزايا والخصائص والتربية ، فأنتجت تلك العواملُ الإلهية والنبوية أحسن إنتاج ، وجعلت نفس علي مركزاً لانطلاق كل فضيلة وخير فلا عجب إذا كان الإمام عليه السلام صوتاً للعدالة الإسلامية ورمزاً للفتوة والمروة ومثالاً للعطف والحنان الأبوي .

وأصحاب النفوس الشريفة تختلف هواياتهم عن غيرهم ، فهم دائماً وأبداً يلبون نداء ضميرهم الإنساني ، ويستلذون بإسعاف الفقير والمسكين . ويبتهجون بإشباع البطون الجائعة وإكساء الأجساد العارية وإنقاذ البؤساء من براثن الفاقة ، وحيث أنهم أُشربوا معرفة الله تعالى وخالط حب الله لحومهم ودماءهم فإن أسعد أوقاتهم وألذّها عندهم هي الساعات التي يشتغلون فيها بمناجاة ربهم والخضوع والخشوع أمام عظمة الله تعالى ، فلا يملون من العبادة كما لا يملّ الحبيب من مكالمة حبيبه .

وجملة أُخرى لا بأس بالإشارة إليها وهي : أن الإنسان حينما يحس بالنقص في نفسه من حيث العلم أوالفن أوالفضيلة أو القوة أو الجمال أو ما شابه ذلك فإنه يحاول إخفاء ذلك النقص وجبران ذلك العيب عن طريق التزيين والتجميل في الملبس والمسكن وسائر لوازم الحياة ومظاهر الترف ،

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٨٤ .

كل ذلك إرضاءً لوجدانه وضميره الذي يؤنبه بالنقص ، أما أولياءُ الله فإنهم يحسون بالكمال في أنفسهم ، فهم في غنى عن ستر النقص عن طريق التجميل والتفنن في الملبس والمأكل والمسكن وما جرى مجرى ذلك لأنه لا نقص فيهم .

وعلى هذا الأساس كانوا يختارون لأنفسهم البساطة في المعيشة ، ويتجلى الزهد في جميع مظاهر حياتهم بدون أي تكلف وتعسف ، فلا يشتاقون إلى اختلاف الأطعمة ولا تميل نفوسهم إلى زخارف الحياة وزبرجدها ، فإن الإحساس بالكمال يحول بينهم وبين الشعور بالحاجة إلى ما تتهافت عليه نفوس الآخرين من حطام الدنيا .

فإذا قرأنا أو سمعنا عن نبي أو إمام شيئاً من الزهد وعدم الإقبال على مباهج الحياة فلعله معلول هذه العلة التي تقدمت .

وسنذكر ما تيسر من الأخبار والأحاديث التي اشتهرت بين أعلام الحديث وحفاظه حول الفضائل النفسية التي أنعم الله بها على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام .

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح النهج :

وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ؟ ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ؟ فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره ، والتحريف عليه ، ووضع المعايب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادِحيه ، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من راوية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً ، حتى حضروا (منعوا) أن يسمّى أحد بإسمه ، فما زاده ذلك إلاّ رفعة وسموّاً ، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كُتم تضوع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة .

وما أقول في رجل تُعزى (تنسب) إليه كل فضيلة ؟ وتنتمي إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ، ومجلِّي حلبتها .

وكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى . . . وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسية والدينية وجدته ابن جلاَّها ، وطلاع ثناياها .

عليّ (ع) واليَقين

في البحار - ج ٩ - قال الإمام الصادق عليه السلام : كان لعلي غلام إسمه قنبر وكان يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فإذا خرج علي خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر : ما لك ؟ قال : جئت لأمشي خلفك فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك . فقال ويحك ! أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض ؟ قال : بل من أهل الأرض . قال : إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا أن يأذن الله عز وجل من السماء ، فارجع فرجع .

وقيل له عليه السلام يوم صفين إحترس يا أمير المؤمنين فإنا نخشى أن يقتلك هذا اللعين . فقال عليه السلام : كفى بالأجل حارساً ، ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى في بئر ، أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوءٌ ، فإذا حان أجله خلُّوا بينه وبين ما يصيبه ، فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه بهذه - وأشار إلى لحيته وهامته - عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب .

عليّ (ع) والحفظ

في البحار - ج ٩ - عن سليم بن قيس قال : سمعت علياً عليه السلام يقول ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ

فكتبتها بخطي ، وعلّمني تـأويلها وتفسيـرها ونـاسخها ومنسـوخها ومحكمهـا ومتشابهها، ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علماً أملاه عليّ فكتبته ، وما ترك شيئاً علّمه الله عـز وجل من حلال ولا حـرام ولا أمر ولا نهي ومـا كان ومـا يكون من طـاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، ولم أنس منه حرفاً واحداً ، ثم وضـع يده على صدري ودعا الله تبارك وتعالى بـأن يملأ قلبي علمـاً وفهماً وحكمـة ونوراً ، ولم أنس من ذلك شيئاً ولم يفتني من ذلك شيءٌ لم أكتبه جهلاً وقد أخبـرني أن ربي عز وجل قد استجاب لي فيك . . . إلى آخره .

عليّ (ع) والتعطّف

(في البحار ج ـ ٩) عن الإمام البـاقر عليه السلام : رجـع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ ، فإذا إمرأة قائمة تقول : إن زوجي ظلمني وأخافني وتعـدى عليّ وحلف ليضربني . فقال : يا أمة الله حتى يبـرد النهار ثم أذهب معـك إنشاء الله . فقالت : يشتد غضبه وحـرده عليْ . فطأطأ رأسه ثم رفعـه وهو يقول : لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع ، أين منزلكِ ؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال : السـلام عليكم . فخرج شـاب ، فقال علي : يـا عبد الله إتق الله فـإنك قـد أخفتهـا وأخـرجتهـا ، فقـال الفتى : ومـا أنت وذاك والله لأحـرقنها لكـلامك . فقـال أمير المؤمنين عليه السلام آمـرك بالمعـروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف ، قال : فـأقبل النـاس من الطرق يقولون : سلام عليكم يا أمير المؤمنين فسقط الرجل في يديه وقال : يا أمير المؤمنين : أقلني عثرتي ، فوالله لأكـونن لها أرضـاً تطأني . فـأغمـد سيفـه فقال : يا أمة الله أدخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه .

قال أبو الطفيل : رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيـطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه : لوددت أني كنت يتيماً .

عَليّ (ع) والحَق

قال الله الحكيم في كتابه الكريم : ﴿وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1] وقال تعالى : ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع﴾[2] .

سئل أبو ذر عن اختلاف الناس فقال : عليك بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب عليه السلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «علي مع الحق والحق معه وعلى لسانه ، يدور حيث ما دار علي» .

وسلَّم محمد بن أبي بكر يوم الجمل على عائشة فلم تكلمه فقال : آسألكِ بالله الذي لا إله إلاّ هو ألا سمعتك تقولين : ألزِم علي بن أبي طالب فإني سمعت رسول الله يقول : (الحق مع علي وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض) ؟ قالت : بلى قد سمعت ذلك منه .

عن الأصبغ بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ويل لمن جهل معرفتي ولم يعرف حقي ، ألا إن حقي هو حق الله ، ألا إن حق الله هو حقي .

عَليّ (ع) والغنى

(في الكافي) عن عبد الأعلى قال : قلت لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، إن الناس يرون أن لك مالاً كثيراً . فقال : ما يسوئني ذلك إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه مرَّ ذات يوم على ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرق ، فقالوا : أصبح علي لا مال له ، فسمعها أمير المؤمنين ، فأمر الذي يلي صدقته أن يجمع ثمره ولا يبعث إلى إنسان شيئاً ، وأن يوفره ، ثم قال : بِعه الأول فالأول ، واجعلها دراهم ثم اجعلها

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٢٩ .
(٢) سورة يونس ؛ الآية : ٣٥ .

حيث تجعل التمر فاكبسه معه حيث ترى ، وقال للذي يقوم عليه : إذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعمد الدراهم حتى تنثرها . ثم بعث إلى رجل رجل منهم يدعوه ، ثم دعى بالتمر فلما صعد ينزل التمر ضرب برجله فانتشرت الدراهم ، فقالوا : ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال : هذا مال من لا مال له ، ثم أمر بذلك المال فقال أُنظروا أهل كل بيت كنت أبعث إليهم فانظروا ماله وابعثوا إليه .

وذكر ابن أبي الحديد : أن غلة أرضه في ينبع كانت في السنة أربعين ألف دينار فكان يتصدق بها في سبيل الله .

عَليّ (ع) والعَفوُ

بعث أمير المؤمنين إلى لبيد بن عطارد التميمي في كلام بلغه ، فمرّ به إلى أمير المؤمنين في بني أسد ، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلته ، فبعث أمير المؤمنين عليه السلام فأتوه به وأمر به أن يضرب فقال له نعيم : إن المقام معك لذل ، وإن فراقك لكفر فلما سمع ذلك منه قال : قد عفونا عنك إن الله عز وجل يقول : ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾[1] أما قولك : إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها ، وأما قولك : إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها ، فهذه بذه .

عَليّ (ع) والحِكمة

قال الله تعالى : ﴿من يؤتى الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾[2] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها) .

قد ذكر المفسرون للحكمة معاني متعددة وقد فاز الإمام بالحكمة بجميع معانيها وبكافة نواحيها فقد ذكر الطبرسي في تفسير الآية وجوهاً .

(١) سورة المؤمنون ؛ الآية : ٩٦ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٩ .

١ ـ علم القرآن : ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره حلاله وحرامه .

٢ ـ الإصابة في القول والعقل .

٣ ـ علم الدين .

٤ ـ العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته .

٥ ـ القرآن والفقه .

٦ ـ ما أتى الله أنبياءه وأُممهم في كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه .

(عن أمالي الطوسي) : قال جابر بن عبد الله الأنصاري : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول : هذا أمير البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره مخذول من خذله . ثم رفع صوته : أنا مدينة الحكمة وعلي بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب .

وذكر البغوي في الصحاح : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

(في حلية الأولياء) : سُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي بن أبي طالب فقال : قُسمتِ الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي علي عليه السلام تسعة أجزاء والناس جزءٌ واحد .

وذكر الغزالي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أنا ميزان الحكمة وعلي لسانها .

عليّ (ع) والزهد

قال عمر بن عبد العزيز : ما علمنا أحداً كان في هذه الأُمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عليه السلام : لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها (رقعها

خ ل) . وفي البحار عن السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش ، وصدقتي اليوم لو قسمت على بني هاشم لوسعتهم . وقال فيه أنه عليه السلام : وقف أمواله وكانت غلتها أربعين ألف ديناراً وباع سيفه وقال : من يشتري سيفي ؟ ولو كان عندي عشاءٌ ما بعته ! وقال مرةً : من يشتري سيفي الفلاني ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته !

قال : وكان يفعل هذا وغلّته أربعون ألف دينار من صدقته .

وقال الإمام الباقر عليه السلام في زهد علي عليه السلام أنه ولي (أيام خلافته) خمس سنين ، وما وضع آجرةً ولا لبنةً على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء .

عن الزمخشري : إن علياً عليه السلام اشترى قميصاً ، فقطع ما فضل عن أصابعه ثم قال للرجل : حصه (أي خط كفافه) .

عن الأصبغ بن نباته قال علي عليه السلام لأهل البصرة : دخلت بلادكم بأشمالي هذه ورحلتي وراحلتي ها هي ، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين .

وفي رواية : يا أهل البصرة ما تنقمون مني إن هذا لمن غزل أهلي ؟ وأشار إلى قميصه .

وترصد غداءه عمرو بن حريث ، فأتت فضة بجراب مختوم ، فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً ، فقال عمرو : يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيّبتيه قالت : كنت أفعل فنهاني ، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه ، ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام فتّه في قصعة وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسر عن ذراعه ، فلما فرغ قال عليه السلام : يا عمرو لقد حانت هذه ـ ومد يده إلى محاسنه ـ وخسرت هذه أن أُدخلها النار من أجل الطعام ، وهذا يجزيني .

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح ، فقال : إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً ، ثم يكون هذا فطورك ، فقال عليه السلام :

عَلِّل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها

ونظر علي عليه السلام إلى فقير انخرق كُمُّ ثوبه فخرق عليه السلام كُمَّ قميصه وألقاه إليه .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : إن علياً أتى البزازين فقال لرجل : بِعني ثوبين . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين عِندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه ، فوقف على غلام ، فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال : يا قنبر خذ الذي بثلاثة فقال : أنت أولى به ، تصعد المنبر ، وتخطب الناس فقال : وأنت شاب ولك شره الشباب ، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون . فلما لبس علي القميص مدَّ كُمَّ القميص فأمر بقطعه واتخاذه قلانس للفقراء ، فقال الغلام : هلم أكفه (أي أخيطه) ، قال : دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك ، فجاء (أبو الغلام) أي (بائع الثوب) وقال : إن ابني لم يعرفك وهذان درهمان ربحهما ، فقال : ما كنت لأفعل ، قد ماكست وماكسني ، واتفقنا على رضى .

روى إبن عبد البر المالكي في الإستيعاب بسنده وغيره أن معاوية قال لضرار بن ضمرة : صف لي علياً ، قال : إعفني . قال : لتصفنه . قال : أما : إذا كان لا بدَّ من وصفه ، فإنه : كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس (ويستأنس خ ل) بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة (العبرة خ ل) طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب ، (من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن خ ل) وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، (وينبئنا إذا استنبأناه خ ل) ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم

أهل الدين ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول : يا دنيا غُرّي غيري ، أبي تعرضتِ ؟ أم إليَّ تشوقتِ ؟ هيهات ! قد بنتك (باينتك خ ل) ثلاثة ، لا رجعة فيها ، فعمرك قصير وخطرك كبير (حقير خ ل) وعيشك حقير ، آه ! من قلَّة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق . فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها . وفي المناقب : ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية : أما إنكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليَّ هذا الثناء . فقال بعض من حضر : الصاحب على قدر صاحبه .

قال ابن أبي الحديد :

«وأما الزهد في الدنيا : فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال ، وإليه تُشدّ الرحال ، وعنده تنفض الأحلاس ، ما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً» .

قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد ، فقدّم جراباً مختوماً ، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً ، فقدّم فأكل فقلت : يا أمير المؤمنين فكيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين (الحسنين) أن يلتّاه بسمن أو زيت !!

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وليف أُخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرباس الغليظ ، فإذا وجد كُمّه طويلاً قطعه بشفرة ولم يُخطه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدي لا لحمة له !!

وكان يأتدم إذا ائتدم (أي يجعل إداماً) بخلٍّ أو بملح ، فإن ترقى عن ذلك فببعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات .

عليّ (ع) والعفّة

في التاسع من البحار نقلاً عن كتاب مناقب إبن شهر آشوب وكتاب الاحتجاج وغيرهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : . . . . وسافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس له خادم غيري ، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره ، ومعه عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينام بيني وبين عائشة ليس علينا لحاف غيره ، فإذا قام إلى : صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمسّ اللحاف الفراش الذي تحتنا . . الخ .

هذا الحديث كما تراه يدل على شدة ثقة النبي بعلي ، وكثرة اختصاصه به واطمئنانه منه ، وكثيراً ما تحدث أمثال هذه القضايا في العوائل المحافظة على الحجاب والغيرة نظراً لنزاهة الأفراد وطهارة القلوب فكيف بالمعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

(في البحار) عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيت زينب بنت جحش حتى أتى بيت أُم سلمة ، وجاء داق ودق الباب ، فقال : يا أُم سلمة قومي فافتحي له . قالت : فقلت : ومن هذا يا رسول الله الذي من خطره أن أفتح له الباب ؟ وأتلقاه بمعاصمي ؟ وقد نزلت فيَّ بالأمس آيات من كتاب الله : (يا نساء النبي . . .) .

فقال : يا أُم سلمة : إن طاعة الرسول طاعة الله وإن معصية الرسول معصية الله ، وإن بالباب لرجُلاً ليس بنزق ولا خرق ، وما كان ليدخل منزلاً حتى لا يسمع حساً ، وهو يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . فقلت : ففتحت الباب ، فأخذ بعضادتي الباب ثم جئت حتى دخلت الخدر ، فلما أن لم يسمع وطيء قدمي دخل ثم سلم على رسول الله ثم قال : يا أُم سلمة ـ وأنا من وراء الخدر ـ أتعرفين هذا ؟ قلت : نعم هذا علي بن أبي طالب قال : هو أخي ، سجيته سجيتي ولحمه من لحمي ، ودمه من دمي . . . إلخ .

عليّ (ع) والتّواضع

قال سعد بن معاذ لعلي عليه السلام ، ـ وكان نازلاً عليه ـ : ما منعك أن تخطب إلى سول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبنته ؟ فقال عليه السلام أنا أجترىءُ أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ والله لو كانت أمة ما اجترأت عليه .

فحكى سعد مقالته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له رسول الله : قل له : يفعل . فإني سأفعل .

قال : فبكى عليٌّ حيث قال له سعد ، ثم قال عليه السلام : لقد سعدت إذ أن جمع الله لي صهره مع قرابته . وشرف أبي طالب ما قد علمه الناس وهو إبن عم رسول الله لأبيه وأُمه .

(في البحار) : بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال : أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً .

ولقد ورد على أمير المؤمنين أخوان له مؤمنان : (أب وإبن) ، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر المجلس ، وجلس بين أيديهما : ثم أمر بطعام فأُحضر فأكلا منه ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لليبس ، وجاء ليصب على يد الرجل فوثب أمير المؤمنين وأخذ الإبريق : ليصب على يد الرجل ، فتمرغ الرجل في التراب ، وقال : يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي ؟ قال : أُقعد واغسل ، فإن الله عز وجل يراك ، وأخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل أضعاف عدد أهل الدنيا ، وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها . فقعد الرجل فقال له علي : أقسمت بعظيم حقي الذي

عرفته ونحلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن تدنيني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئناً ، كما كنت تغسل لو كان الصابّ عليك قنبراً . ففعل الرجل ذلك ، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال : يا بني لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوّى بين إبن وأبيه ، إذا جمعهما مكان ، ولكن قد صبَّ الأب على الأب فليصبِّ الإبن على الإبن ، فصب محمد بن الحنفية على الإبن .

ثم قال الإمام الحسن بن علي العسكري : فمن اتبع علياً على ذلك فهو الشيعي حقاً .

عن الإمام الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستسقي ويكنس ، وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز .

وإن علياً اشترى تمراً بالكوفة فحمله في طرف ردائه فتبادر الناس إلى حمله ، وقالوا : يا أمير المؤمنين نحن نحمله ، فقال عليه السلام: ربُّ العيال أحق بحمله .

وكان علي عليه السلام يحمل التمر والمالح (الملح) بيده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ما جرَّ من نفع إلى عياله

وعن زيد بن علي إن علياً كان يمشي في خمسة (مواضع) حافياً ، ويعلق نعله بيده اليسرى : يوم الفطر ، والنحر ، والجمعة ، وعند العيادة ، وتشييع الجنازة ، ويقول : إنها مواضع الله وأُحب أن أكون فيها حافياً .

وكان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو إذ ذاك يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ .

عليّ (ع) والحِلم

(في البحار) مرَّت إمرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن أبصار هذه الفحول طوامح ، وإن ذلك سبب هناتها ، فإذا نظر أحدكم إلى إمرأة تعجبه فليلمس أو فليمس أهله ، فإنما هي إمرأة كامرأة ، فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه !! فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام : رُويداً إنّما هو سبٌّ بسبٌّ أو عفوٌ عن ذنبٍ .

قال قنبر : دخلت مع أمير المؤمنين على عثمان فأحب الخلوة فأومى إليه (إليّ) بالتنحي ، فتنحيت غير بعيد ، فجعل عثمان يعاتبه وهو مطرق برأسه ، وأقبل إليه وقال عثمان : ما لك لا تقول ؟ فقال : ليس جوابك إلا ما تكره ، وليس لك عندي إلا ما تحب ثم خرج قائلاً :

ولو أنني جاوبته لأمضه نوافذ قولي واحتضار جوابي
ولكنني أغضي على مضض الحشا ولو شئت إقداماً لأنشب نابي

في البحار إن أمير المؤمنين عليه السلام مرَّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال : يا جارية ما يبكيك ؟ فقالت : بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه ، فلما أتيته به أبى أن يقبله .

قال عليه السلام : يا عبد الله : إنها خادم وليس لها أمر ، فاردد إليها درهمها وخذ التمر . فقام إليه الرجل فلكزه فقال الناس : هذا أمير المؤمنين . فربا الرجل واصفر وأخذ التمر وردّ إليها درهمها ثم قال : يا أمير المؤمنّين إرض عني . فقال : ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك ، وفي رواية : «إذا وفيت الناس حقوقهم» .

ودعى عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه ، فخرج فوجده على باب البيت فقال : ما حملك على ترك إجابتي ؟ قال : كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك ، فقال : الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه ، إمضِ ، فأنت حر لوجه الله .

وكان عليه السلام في صلاة الصبح فقرأ ابن الكواء : «**ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**»[١] فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم أعاد ابن الكواء الآية فأنصت أيضاً . ثم قرأ فأعاد ابن الكواء فأنصت علي ، ثم قرأ : ﴿**فاصْبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**﴾[٢] ثم أتم السورة وركع .

(في البحار) عن الأصبغ بن نباتة قال : أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى (الخورنق) فقالوا : نتنزَّه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجتمع (أي يصلي الجمعة) فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب ، فصادوه ، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال : بايعوا ، هذا أمير المؤمنين !! فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم ، فارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين يخطب ، ولم يفارق بعضهم بعضاً ، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرَّ إليّ ألف حديث لكل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح ، وإني سمعت الله جل جلاله يقول : ﴿**يوم ندعوا كل أُناس بإمامهم**﴾[٣] وإني أُقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يُدعَون بإمامهم وهو ضب ، ولو شئت أن أُسميهم لفعلت ! قال : فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما سقط السعف حياءً ولوماً وجبناً .

قال ابن أبي الحديد في شرحه :

«وأما الحلم والصفح : فكان أحلم الناس عن مذنب ، وأصفحهم عن مسيءٍ وقد ظهرت صحة ما قلنا يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن

---

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٦٥ . (٢) سورة الروم ؛ الآية : ٦٠ .
(٣) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧١ .

الحكم ، وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضاً ، فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد . . . وكان علي يقول : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شبَّ عبد الله .

فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه ، وقال : إذهب فلا أرينك . لم يزده على ذلك .

وظفر بسعيد بن العاصي بعد وقعة الجمل بمكة ، وكان عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين إمرأة من نساء عبد القيس ، عمَّمهن بالعمائم ، وقلَّدهن بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به ، وتأفَّفت ، وقالت : هتك ستري ورجاله الذين وكلهم بي !! فلما وصلت إلى المدينة ألقت النساءُ عمائمهن وقلن لها : إنما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة ، وضربوا وجهه ، ووجوه أولاده بالسيوف وسبّوه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ونادى مناديه ـ في أقطار العسكر ـ : ألا : لا يتبع مولّ ، ولا يجهز على جريح ، ولا يُقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيَّز إلى عسكر الإمام فهو آمن ، ولم يأخذ أثقالهم ، ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلَّا الصفح والعفو .

عَليّ (ع) والمواسَاة

عن أمالي المفيد عن أبي هريرة قال : جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكى إليه الجوع ، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن : ما عندنا إلا الماءُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لهذا الرجل الليلة ؟ فقال علي بن أبي طالب : أنا له يا رسول الله . وأتى علي ـ فاطمة ـ عليها السلام فقال لها : ما عندك

يا بنت رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبية نؤثر ضيفنا . فقال علي عليه السلام : يا بنت محمد : نَوِّمي الصِبية وأطفىء المصباح فلما أصبح عدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** [1] .

وفي رواية : فقال علي : يا بنت محمد : نوّمي الصبية وأطفىء المصباح . وجعلا يمضغان بألسنتهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله ، فلما أصبح صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا سلَّم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً وقال يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة إقرأ : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . . .﴾** [2] الخ .

(عن محمد بن الصمة عن أبيه عن عمه) : قال : رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة ، وفي يده صحفة يقول : اللهم ولي المؤمنين إله المؤمنين وجار المؤمنين ، إقبل قرباني الليلة ، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي ، وغير ما يواريني ، فإنك تعلم أني منعته نفسي مع شدة سغبي أطلب القربة إليك غنماً ، اللهم فلا تخلق وجهي ولا ترد دعوتي ، فأتيته حتى عرفته فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأتى رجلاً فأطعمه .

عليّ (ع) وَالكَرم

(في البحار) : جاء أعرابي إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين إني مأخوذ بثلاث علل : علة النفس وعلة الفقر وعلة الجهل . فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يا أخا العرب : علة النفس تعرض على الطبيب وعلة الجهل تعرض على العالم وعلة الفقر تعرض على الكريم . فقال الأعرابي

(١ و ٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٩ .

أنت الكريم ، وأنت العالم ، وأنت الطبيب ، فأمر أمير المؤمنين بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال : تنفق ألفاً بعلة النفس ، وألفاً بعلة الجهل ، وألفاً بعلة الفقر .

وسأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف ، فقال الوكيل : من ذهب أو فضة ؟ فقال عليه السلام كلاهما عندي حجران ، فأعط الأعرابي أنفعهما له .

وقال له إبن الزبير : إني وجدت في حساب أبي : أن له على أبيك ثمانين ألف درهم ، فقال له : إن أباك صادق ، فقضى ذلك ، ثم جاءه فقال : غلطت فيما قلت ، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك فقال : والدك في حل والذي قبضته مني هو لك ! !

قال الصادق عليه السلام : إن أمير المؤمنين عليه السلام أعتق ألف نسمة من كدِّ يده ، جماعة لا يحصون كثرة .

وقال له رجل ـ ورأى عنده وسق نوى ـ : ما هذا يا أبا الحسن ؟ قال : مائة ألف نخل إن شاء الله ، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة ، فهو من أوقافه ووقف مالاً بخيبر وبوادي القرى ، ووقف مال أبي نيرز والبغيبغة وأرباحاً وأرينة ورغد ورزيناً ورياحاً على المؤمنين وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج ، وهو باق إلى يومنا هذا وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة ، وهي مسجد الفتح في المدينة ، وعند مقابل قبر حمزة عليه السلام ، وفي الميقات وفي الكوفة وجامع البصرة وفي عبادان وغير ذلك .

عن أحمد بن أبي المقدام العجلي قال : يروى أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة ، فقال : اكتبها في الأرض فإني أرى الضر فيك بيّناً ، فكتب في الأرض أنا فقير محتاج ، فقال علي عليه السلام : يا قنبر إكسه حلتين ، فأنشأ الرجل يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست تبغي بما قد نلته بدلا

إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه   كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به   فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال عليه السلام : أعطوه مائة دينار ، فقيل له : يا أمير المؤمنين لقد أغنيته . فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أنزل الناس منازلهم ، ثم قال علي عليه السلام : إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم .

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾**[1] قال : نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام . عن أيوب بن عطية الحذاء قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قسَّم نبي الله الفيءَ فأصاب علياً أرضٌ ، فاحتفر فيها عيناً فخرج ماءٌ ينبع في السماء كهيئة عنق البعير ، فسماها ينبع ، فجاء البشير يبشر فقال عليه السلام بشر الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله وعابر سبيل لا تباع ولا تورث ، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ؛ وأما السخاءُ والجود : فحاله فيه ظاهرة كان يصوم ويطوي ، ويؤثر بزاده ، وفيه أُنزل **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾**[2] وروى المفسرون : أنه لم يملك إلا أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانية ، فأنزل فيه : **﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾**[3] .

وروي أنه كان يسقي بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى مجلت يداه ، ويتصدق بالأجرة ، ويشد على بطنه حجراً .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٥ .
(٢) سورة الإنسان ؛ الآيتان : ٨ و ٩ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٧٤ .

قال الشعبي ـ وقد ذكره عليه السلام: كان أسخى الناس ، كان على الخلق الذي يحبّه الله : السخاءُ والجود ، ما قال : لا ، لسائل قط .

وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه : معاوية بن أبي سفيان ـ لمحفن بن أبي محفن الضبي ـ (لما قال له : جئتك من عند أبخل الناس) : قال ويحك ! كيف تقول : إنه أبخل الناس وهو الذي لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن ، لأنفد تبره قبل تبنه ؟!!

عليّ (ع) وَالعَدْل

العدل : ما أحلى هذا الإسم عند النفوس المظلومة ، وما أحبه إلى المضطهدين وما أبغضه عند الظالمين الذين يزاحم العدل منافعهم وأرباحهم .

هذه الكلمة التي تتلهف إليها النفوس وعليها أساس الملك وبها نظام الاجتماع واعتداله ، وإنني أعتقد أن أصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه في المجتمع هو قانون العدالة !! لاصطدام هذا القانون بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء ، وهؤلاء في طليعة المكافحين لهذه الفضيلة ، والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا ، ولا أراني بحاجة إلى دليل .

ومن لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى أولاً ، وحزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه ومصانعة ثانياً وعدم الخوف من المشاكل المتوقعة ، المحتمل وقوعها ثالثاً .

وقد توفَّرت هذه المؤهلات كلها في نفسية علي عليه السلام فهو الإيمان كله والتقوى المتجسدة ، وهو أقوى رجل يستطيع السيطرة على أعصابه وعواطفه وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو الحق المحض الذي لا يشوبه شيءٌ ، ونستطيع أن نقول : إن تطبع نفسية الإمام عليه السلام على العدالة والتزامه بها بالغاً ما بلغ هو السبب الوحيد الذي فرق عنه ذوي الأطماع

والأغراض ، وأخاف ذوي المناصب والكنوز التي كانت عصارة دماء المسلمين ، وهدد الفسقة الفجرة الذين استوجبوا إقامة الحدود الإلهية وقطع آمال المستغلين وآماني حواشي السلاطين ، وغير ذلك من الأمور التي تدرك ولا توصف ، فاجتمعت هذه العوامل ، وأججت نيران الحروب الداخلية ضد الإمام عليه السلام.

إذ لولا عدالة علي عليه السلام لما ذهب أخوه عقيل إلى معاوية ولولا عدل أبي الحسن عليه السلام لما انضم طلحة والزبير إلى عائشة للمساهمة في تكوين حرب الجمل .

لو كان علي عليه السلام ظالماً لأمهل معاوية يتصرف في مقدرات المسلمين وما كانت حرب صفين .

وهكذا وهلم جرا ، فإن كانت العدالة نغصت على علي عليه السلام عيشته وسلبته الراحة والإطمئنان ، وجرّت عليه النوائب فإن التاريخ الصحيح عرف لعلي عليه السلام هذه الفضيلة وشكره عليها ، وإن كان بعض الشواذ يعتبرون العدالة منافية للسياسة ، ويرون الأرجح تقديم السياسة على الدين عند التعارض ، فإن علياً عليه السلام يضرب بالسياسة ـ التي تزاحم دين علي عليه السلام ـ عرض الجدار ويتبرأ منها .

وهو التلميذ الأول للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعلم الثاني للأمم عبر التاريخ ، ولو كان علي عليه السلام يمشي وراء السياسة لعرفه التاريخ رجلاً سياسياً فحسب ، وما كانت الملوك والعظماءُ يطأطأون هاماتهم أمام عظمته وينظرون إليه بكل تقدير وتقديس .

نذكر نماذج من تلك العدالة ، ولا يسعنا الإسهاب في الكلام لضيق المجال ، ولعلنا نستطيع التحدث عن هذه الفضيلة بصورة أوسع في مناسبة أُخرى إنشاء الله :

دخل عمر بن العاص على أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وهو في بيت المال

وكان الإمام ينظر في أموال المسلمين وحسابهم ودواوين العطاء وعنده سراج يضيءُ بنوره الضئيل ، وقد اشترى زيت السراج من بيت المال ، لأن السراج عائد لمصالح بيت مال المسلمين .

فلما دخل ابن العاص وأراد أن يتحدث مع الإمام في بعض الشؤون أطفأ الإمام السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق !!

وبنى عليه السلام موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة ويقال له : (المربد) فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزلها من بيت المال . فلمن أقام عليها بينة أخذها ، وإلا أقرها على حالها . وتظهر الحكمة في تحديد كمية علف الحيوانات ، وهي رعاية الحيوان والمحافظة عليه ورعاية بيت المال والإهتمام به .

في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدّقاً من الكوفة (المصدق : عامل الزكاة التي يستوفيها) إلى باديتها وقال : يا عبد الله : إنطلق ، وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ولا تؤثرن دنياك على آخرتك ، وكن حافظاً لما ائتمنك عليه ، مراعياً لحق الله فيه حتى تأتي نادي بني فلان ، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتى تقدم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم : يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل لك : لا . فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً ، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه ، فإن أكثره له ، فقل : يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك ؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ، ولا عنف به ، فاصدع المال صدعين ثم خيِّره أيَّ الصدعين شاء ، فأيهما اختار فلا تعرض له ، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له ، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاءٌ لحق الله

تبارك وتعالى في ماله ، فإذا قبض يقرأ ذلك فاقبض حق الله منه وإن استقالك فأقله ، ثم إخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً ، حتى تأخذ حق الله في ماله ، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيءٍ منها ، ثم احدر كلما اجتمع عندك من كل ناد إلينا فصيّره حيث أمر الله عز وجلّ ، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يفرق بينهما ، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً ، وليعدل بينهن في ذلك وليوردهن كل ماءٍ يمرّ به ، ولا يعدل بهن عن ليت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق ، وليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله سحاحاً سماناً غير متعبات ولا مجهدات ، فنقسمهن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على أولياء الله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك ، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولإمامه إلا كان معنا في الرفيق الأعلى . قال : ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام ثم قال : لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت ، ولا عُمل بكتاب الله ولا سنة نبيه في هذا العالم ، ولا أُقيم في هذا الخلق حد منذ قبض الله أمير المؤمنين عليه السلام ولا عمل بشيءٍ من الحق إلى يوم الناس هذا ، ثم قال : أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء ويرد الله الحق إلى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فابشروا ثم أبشروا ثم أبشروا فوالله ما الحق إلا في أيديكم .

في البحار : روي أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي عليه السلام ، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين ، وآل أمره إلى أن قال : ما حاجتك ؟ قالت : إن الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يتقدم علينا من قِبلك من يسمو بمكانك ، ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف ، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا

فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك ، فقال معاوية : إياي تهددين بقومك يا سودة ؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه ، فأطرقت سودة ساعة ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية : من هذا يا سودة ؟ قالت : هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والله لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا ، فجارَ علينا ، فصادفته قائماً يصلي ، فلما رآني إنفتل من صلاته ثم أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطف ، وقال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم فأخبرته الخبر ، فبكى ثم قال :

اللهم أنت الشاهد عليَّ وعليهم ، وأني لم آمرهم بظلم خلقك ، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك ، والسلام» .

ثم دفع الرقعة إليّ ، فوالله ما ختمها بطين ولا خزنها ، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً ، فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد ، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية .

عليّ (ع) والعبادة

في الأمالي عن عروة بن الزبير قال : كنا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال أبو الدرداء : يا

قوم ألا أُخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ؟ قالوا : مَن ؟ قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه وجهه ، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له : يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها ، فقال أبو الدرداء : يا قوم إني قائل ما رأيت ، وليقل كل قوم منكم ما رأوا ، شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات (أشجار) النجار ، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل ، فافتقدته وبَعُد علي مكانه ، فقلت : لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول : «إلهي كم من موبقة حلمتَ عن مقابلتها بنقمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براجٍ غير رضوانك» فشغلني الصوت واقتفيت الأثر ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترت له وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى ، فكان مما به الله ناجاه أن قال : «إلهي أُفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليتي» ثم قال : «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها ، فتقول : خذوه . فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء» ثم قال : «آه من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهبات لظى» . قال : ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت غلب عليه النوم لطول السهر ، أوقظه لصلاة الفجر ، قال أبو الدرداء : فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة ، فحركته فلم يتحرك ، وزويته فلم ينزو» فقلت : «إنا لله وإنا إليه راجعون» مات والله علي بن أبي طالب . قال : فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم ، فقالت فاطمة عليها السلام : يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت هي والله ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله ، ثم أتوه بماءٍ فنضحوه على

وجهه فأفاق ، ونظر إليَّ وأنا أبكي ، فقال : مما بكاؤك يا أبا الدرداء ؟ فقلت : مما أراه تنزله بنفسك ، فقال : يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحياءُ ورحمني أهل الدنيا ، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية ، فقال أبو الدرداء : فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن أبي الحديد : وأما العبادة : فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ، وملازمة للأوراد ، وقيام النافلة ، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده : أن يُبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده ، والسهام تقع بين يديه ، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ؟؟

وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده ؟

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته ، والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص ، وفهمت من أي قلب خرجت ، وعلى أي لسان جرت ؟؟!!

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ـ وكان الغاية في العبادة ـ: أين عبادتك من عبادة جدّك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

علي عليه السلام وطلاقة الوجه مع المهابة

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح النهج :

وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو مضروب به المثل فيه ، حتى عابه بذلك أعداؤه ، قال عمرو بن العاص

لأهل الشام : إنه ذو دعابة شديدة ، وقال علي عليه السلام في ذلك : عجباً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة وإني امرؤٌ تلعابة ، أُعافس وأُمارس .

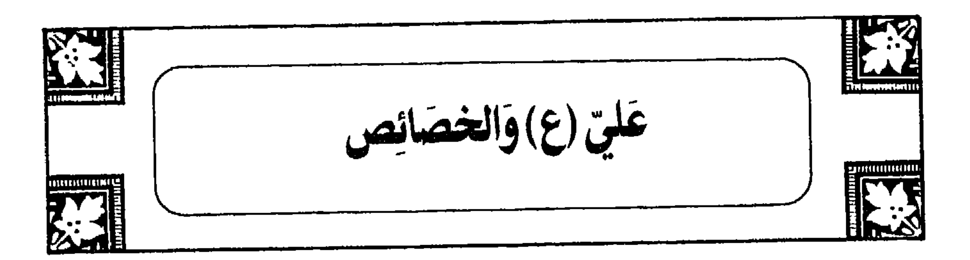
وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر لقوله ـ لما عزم على استخلافه ـ: لله أبوك ! لولا دعابة فيك . إلاَّ أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها ونسجها .

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان فينا كأحدنا ، لين جانب ، وشدة تواضع ، وسهولة قياد .

وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ، ذا فكاهة ، قال قيس : نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ويبتسم إلى أصحابه ، وأراك حسواً في ارتغاءٍ وتعيبه ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى ، تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك أهل الشام !!

الليلة العاشرة



عليّ (ع) والخصائص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يحب ويرضى والصلاة على محمد المصطفى وأخيه المرتضى وآله الأصفياء .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾[1] كلامنا ـ الليلة ـ حول شيءٍ يسير من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله المختصة به ، ولا شك أن في الناس من تشمله العناية الإلهية ويساعده التوفيق أو الحظ فتتوفر فيه النعم والمواهب والفضائل فيمتاز عن غيره وتتكون له شخصية بارزة في النفوس يُذكر ويُشكر عليها .

وفي الوقت نفسه نجد أفراداً حُرموا من تلك المواهب لعدم استعدادهم أو عدم توفر الظروف المساعدة لهم ، فلا تكون لهم في المجتمع أي وزن وقيمة وكرامة ، وهذه الطبقة المسكينة تتكون عندهم عقدة الحقارة النفسية فيحسبون أنفسهم منبوذين لفقدانها المزايا والفضائل ، ويشتد شعورهم بالحقارة النفسية فتهون عليهم أنفسهم ، وإرضاءً لغرائزهم المتكونة من تلك العقدة ، يحاولون سلب الخصائص الموجودة عن المنعمين بها ، أو انتقاصهم والمس بكرامتهم والتشنيع عليهم إجابةً للحسد

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٤ .

الذي يحز في صدورهم ولا شك أن عدد الفاقدين للفضائل أكثر من الواجدين لها ، وعلى هذا نرى أصحاب النعم والمواهب محسودين وكلما ازدادوا فضيلة ازداد عدد حُسادهم !!

ولا يقف أمام الحسد شيءٌ إلا الإيمان بالله والرضى بالتقدير أو السعي والاهتمام في تحصيل تلك المزايا والفضائل الموجودة في المحسود فتحصل المشاركة معه ويزول الاختصاص عنه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام هم المحسودون في كل زمان ومكان للسبب المتقدم ذكره ، وقد وردت أحاديث في تفسير الآية التي افتتحنا بها الكلام أن المقصود من (الناس) في قوله تعالى : **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾**[1] هم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونذكر في هذه الليلة بعض خصائص الإمام عليه السلام وقد مرَّ عليكم ـ فيما سبق ـ شيءٌ من ذلك ، ويمكن لنا أن نقول : أن فضائل الإمام عليه السلام كلها خصائص منحصرة به لا يشاركه فيها أحد من الناس .

ومن جملة ذلك : حديث رد الشمس لعلي عليه السلام .

أما الشيعة فلا يشكُّون في قدرة الله تعالى ، ويعتقدون أن الله تعالى هو خالق الشمس ، وخالق الشمس قادر على ردّها بعد الغروب ، وليس ذلك محالاً عقلاً ولا قدرة وليس من قبيل اجتماع الضدين أو النقيضين ، وكذلك لا يشكُّون في استجابة دعاءِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسألته من الله تعالى أن يرد الشمس لعلي عليه السلام ليصلي صلاة العصر .

والشيعة يعتقدون أن علياً عليه السلام مستجاب الدعوة بالإضافة إلى منزلته الرفيعة ودرجاته العالية عند الله تعالى ، وبناءً على هذا يعتقدون صحة هذا الخبر .

أما لفظ الحديث فعن أسماء بنت عميس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٤ .

الظهر بالصهباء من أرض خيبر ، ثم أرسل علياً في حاجة ، فجاء وقد صلى رسول الله العصر ، فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها .

قالت أسماءُ : فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال فقام فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس .

أما المحدثون من الشيعة فكلهم متفقون على هذه الفضيلة وذكروها في كتبهم وموسوعاتهم، ولقد ذكروا أن هذه الفضيلة وقعت مرتين : مرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومرة أخرى أيام خلافة الإمام عليه السلام ومروره على أرض بابل بالقرب من مدينة الحلة ، كما روى ذلك نصر بن مزاحم بإسناده عن عمر قال : حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خير قال : كنت مع علي أسير في أرض بابل وحضرت الصلاة صلاة العصر ، قال : فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أقبح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا ، وقد كادت الشمس أن تغيب فنزل علي ونزلت معه ، فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر ، فصلينا العصر ثم غابت الشمس . . . الخ .

وفي علل الشرائع : عن جويرية بن مسهر قال : قطعنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جسر الصراة في وقت العصر ، فقال : إن هذه أرض معذبَة ، لا ينبغي لنبي ولا وصي نبي أن يصلي فيها ، فمن أراد منكم أن يصلي فيها فليصل . فتفرق الناس يمنة ويسرة يصلون ، فقلت أنا : والله لأقلدن هذا الرجل صلاتي اليوم ، ولا أُصلي حتى يصلي .

فسرنا وجعلت الشمس تسفل وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم حتى وجبت (غابت) الشمس ، وقطعنا الأرض ، فقال : يا جويرية أذِّن . فقلت : تقول أذِّن وقد غابت الشمس ، فقال : يا جويرية أذِّن . فأذنت ثم قال لي : أقم . فأقمت فلما قلت : «قد قامت الصلاة» رأيت شفتيه

يتحركان ، وسمعت كلاماً كأنه كلام العبرانية ، فارتفعت الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر فصلى ، فلما انصرفنا هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم ، فقلت : أنا أشهد أنك وصي رسول الله . فقال يا جويرية أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ [1] .

فقلت : بلى . قال : فإني سألت الله باسمه العظيم فردها عليَّ .

وهنا حديث يجمع بين المرتين اللتين رُدّت الشمس لعلي عليه السلام فيها .

في البحار ج ٩ عن إرشاد المفيد :

«مما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماءُ السير والآثار ونظمت فيه الشعراءُ الأشعار ، رجوع الشمس له عليه السلام مرتين : في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم أخرى ، وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماءُ بنت عميس وأُم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم في منزله وعلي عليه السلام بين يديه إذ جاءه جبرئيل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه ، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتى غربت العصر ، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام جالساً يومىء بركوعه وسجوده إيماءً ، فلما أفاق من غشيته صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمير المؤمنين عليه السلام : أفاتتك صلاة العصر؟ قال : لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي ، فقال له أدع الله حتى يرد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فإن الله تعالى يجيبك بطاعتك لله ورسوله ، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام الله في ردّ الشمس ، فردت حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر ، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر في وقتها ثم غربت .

---

(١) سورة الأعلى ؛ الآية : ١ .

وكـان رجوعهـا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنـه لما أراد أن يعبـر الفـرات ببـابـل اشتغـل كثير من أصحـابه بتعبيـر دوابهم ورحـالهم ، فصلى عليه السلام بنفسـه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبـورهم حتى غربت الشمس وفـاتت الصـلاة كثيراً منهم ، وفـات الجمهور فضـل الاجتمـاع معـه ، فتكلمـوا في ذلك ، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعـالى أن يرد الشمس عليـه ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها ، فأجابه الله تعالى في ردّها عليـه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر ، فلما سلم القوم غـابت الشمس فأكثـروا من التسبيـح والتهليـل والاستغفـار والحمـد لله على النعمـة التي ظهـرت فيهم ، وسـار خبـر ذلـك في الآفـاق وانتشـر ذكـره في الناس .

رواة حديث رد الشمس لعلي عليه السلام من علماءِ العامة هم :

١ ـ أبو بكر الوراق ، له كتاب : (من روى رد الشمس) .

٢ ـ أبو الحسن شاذان الفضيلي ، له رسالة .

٣ ـ الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي ، له كتـاب مفرد فيه .

٤ ـ أبو القاسم الحاكم ابن الحداد الحسكـاني النيسابـوري الحنفي له رسالة (مسألة في تصحيح رد الشمس) .

٥ ـ أبـو عبـد الله الجعـل الحسين بن علي البصـري ثم البغـدادي لـه كتاب : (جواز رد الشمس) .

٦ ـ أخطب خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد له كتاب : (رد الشمس لأمير المؤمنين) .

٧ ـ أبـو علي الشـريف محمـد بن أسعـد بن المعمـر الحسني النقيب النسابة له جزءٌ في جمع (طرق حديث رد الشمس) لعلي عليه السلام .

٨ ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي له جزءٌ (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس) .

٩ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي له رسالة في الحديث أسماها (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) .

١٠ ـ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي رواه في سننه .

١١ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصري .

١٢ ـ محمد بن الحسين الأزدي ذكره في كتابه في (مناقب علي) .

١٣ ـ الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي أخرجه في كتابه (الذرية الطاهرة) .

١٤ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي في (مشكل الآثار) .

١٥ ـ الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي .

١٦ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني رواه في (معجمه الكبير) .

١٧ ـ الحاكم أبو حفص عمر بن أحمد الشهير بابن شاهين ذكره في (مسنده الكبير) .

١٨ ـ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري رواه في تاريخ (نيسابور) .

١٩ ـ الحافظ ابن مردويه الأصبهاني أخرجه في (المناقب) .

٢٠ ـ أبو إسحاق الثعلبي رواه في (تفسيره) .

٢١ ـ الفقيه أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي الشافعي عده من أعلام النبوة في كتابه (أعلام النبوة) .

٢٢ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي رواه في (الدلائل) .

٢٣ ـ الحافظ الخطيب البغدادي ذكره في (تلخيص المتشابه) .

٢٤ ـ الحافظ أبوزكريا الأصبهاني الشهير بـإبن مندة أخـرجه في كتـابه (المعرفة) .

٢٥ ـ الحافظ القاضي عياض أبو الفضـل المالكي الأنـدلسي رواه في كتابه (الشفاء) .

٢٦ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي رواه (في المناقب) .

٢٧ ـ الحافظ أبو الفتح النطنزي رواه في (الخصائص العلوية) .

٢٨ ـ أبو المظفر يوسف قزأوغلي الحنفي رواه في (التذكرة) .

٢٩ ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يـوسف الكنجي الشافعي ، جعـل في كتابه (كفاية الطالب) فصلاً في حديث رد الشمس لعلي عليه السلام .

٣٠ ـ أبو عبد الله شمس الـدين محمد بن أحمـد الأنصاري الأنـدلسي ذكره في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) .

٣١ ـ شيخ الإسلام الحمويني رواه في (فرائد السمطين) .

٣٢ ـ الحـافظ ولي الـدين أبـو زرعـة العـراقي أخـرجـه في (طـرح التثريب) .

٣٣ ـ الإمام أبو الربيع سليمان السبتي الشهير بابن سبع ذكره في كتابه (شفاءُ الصدور) .

٣٤ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكره في (فتح الباري) .

٣٥ ـ الإمام العيني الحنفي ذكره في (عمدة القاري) .

٣٦ ـ الحافظ السيوطي رواه في (جمع الجوامع) .

٣٧ ـ نور الدين السمهودي الشافعي ذكره في (وفاءُ الوفاءِ) .

٣٨ ـ الحافظ أبو العباس القسطلاني ذكره في (المواهب اللدنية) .

٣٩ ـ الحافظ ابن الربيع رواه في (تمييز الطيب من الخبيث) .

٤٠ ـ السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي ذكره في (معاهد التنصيص) .

٤١ ـ الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيثمي عدّه في (الصواعق) .

٤٢ ـ الملا علي القارىء ذكره في (المرقاة) .

٤٣ ـ نور الدين الحلبي الشافعي رواه في (السيرة النبوية) .

٤٤ ـ شهاب الدين الخفاجي الحنفي ذكره في (شرح الشفا) .

٤٥ ـ أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن شهاب الدين الكردي الكوراني ذكره في كتابه (الأُمم لإيقاظ الهمم) .

٤٦ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي صححه في (شرح المواهب) .

٤٧ ـ شمس الدين الحنفي الشافعي ذكره في تعليقه على (الجامع الصغير) للسيوطي .

٤٨ ـ ميرزا محمد البدخشي ذكره في (نزل الأبرار) .

٤٩ ـ الشيخ محمد الصبان عدّه في (إسعاف الراغبين) .

٥٠ ـ الشيخ محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفية في عصره ذكره في (حاشيته) .

٥١ ـ السيد أحمد زيني دحلان الشافعي ذكره في (السيرة النبوية) هامش (السيرة الحلبية) .

٥٢ ـ السيد محمد مؤمن الشبلنجي عده (في نور الأبصار) .

اقتطفنا هذه المصادر من كتاب (الغدير ج ٣) لشيخنا الأميني رحمه الله .

هـذا وللشعراء دور هـام في الإشادة بهـذه الفضيلة أعرضنـا عن سـرد قصائدهم رعاية للاختصار .

خبر الطّائِر المشوي :

في احتجاج الطبـرسي : عن الإمام الصـادق عن آبائـه عن علي عليه السلام قـال : كنت أنا ورسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجـد بعـد أن صلى الفجـر ، ثم نهض ونهضت معه ، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك فكان إذا أبـطأ في الموضـع صرت إليـه لأعرف خبـره ، لأنه لا يتقـار (لا يسكن) قلبي على فـراقه سـاعة واحـدة ، فقال لي : إنـه متجه إلى بيت عـائشـة . فمضى ومضيت إلى بيت فـاطمة عليها السلام فلم أزل مـع الحسن والحسين، وهي وأنا مسروران بهما ، ثم إني نهضت وصرت إلى باب عائشة فطرقت البـاب فقـالت لي عائشـة : من هذا ؟ فقلت لهـا : أنـا علي ، فقـالت : إن النبي راقـد ، فانصـرفت ، ثم قلت : النبي راقد وعـائشـة في الـدار ؟! فـرجعت وطرقت الباب فقالت لي عائشـة : من هذا ؟ فقلت أنـا علي . فقالت : إن النبي على حاجة ، فانثنيت (انصرفت) مستحييـاً من دقي البـاب ، ووجـدت في صدري ما لا أستطيع عليـه صبراً ، فـرجعت مسرعـاً فدققت البـاب دقاً عنيفـاً فقـالت لي عـائشـة : من هـذا ؟ قلت : أنـا علي ، فسمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقـول لها : يـا عائشـة إفتحي له البـاب . ففتحت فـدخلت فقـال لي : أقعد يا أبا الحسن ، أُحدثك بما أنـا فيه أو تحـدثني بإبـطائك عني ، فقلت : يا رسول الله حدثني ، فإن حديثك أحسن . فقـال : يا أبـا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع ، فلما دخلت بيت عائشة وأطلت القعـود ليس عندها شيءٌ تأتي به مـددت يدي وسـألت الله القريب المجيب ، فهبط عليَّ حبيبي جبرئيل ومعه هذا الـطير ـ ووضـع إصبعه على طـائر بين يـديه ـ فقال جبرئيـل : إن الله عز وجـل أوحى إليّ أن آخذ هـذا الطيـر وهو أطيب طعام في الجنة فآتيك به يا محمد .

فحمدت الله كثيراً ، وعرّج جبرئيـل فرفعت يـدي إلى السماء فقلت : اللهم يسّر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطائر ، فمكثت ملياً فلم أر أحـداً يطرق البـاب ، فرفعت يـدي ، ثم قلت : اللهم يسر عبـداً يحبك ويحبني وتحبـه وأُحبه يـأكـل معي من الـطائـر ، فسمعت طـرقـك للبـاب ، وارتفاع صوتك فقلت لعائشة : أدخلي علياً ، فدخلتَ ، فلم أزل حامـداً لله حتى بلغت إليّ إذ كنتَ تحب الله وتحبني ، ويحبـك الله وأُحبـك فكـل يـا علي .

فلما أكلت أنا والنبي الـطائرَ قـال لي : يا علي حـدثني ، فقلت : يا رسـول الله لم أزل منذ فـارقتـك أنـا وفـاطمـة والحسن والحسين مسـرورين جميعاً ، ثم نهضت أُريدك ، فجئت فطرقت الباب ، فقالت لي عائشة : من هـذا ؟ فقلت : أنا علي . فقـالت : إن النبي راقد . فـانصرفت ، فلمـا أن صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت فقلت : إن النبي راقـد وعائشـة في الـدار ؟ لا يكـون هـذا !! فجئت فـطرقت البـاب فقـالت لي : من هـذا ؟ فقلت : أنـا علي . فقالت : النبي على حـاجة فـانصرفت مستحيياً . فلمـا انتهيت إلى المـوضـع الـذي رجعت منـه أول مـرة وجـدت في قلبي مـا لا أستطيع عليه صبراً ، وقلت : النبي على حاجة وعائشة في الـدار ؟ فرجعت فدققت الباب الدق الذي سمعته يا رسول الله ، فسمعتك يا رسول الله تقول لها : أدخلي علياً .

فقـال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أبى الله إلا أن يكون الأمـر هكذا ، يـا حميراء مـا حملكِ على هذا ؟ فقالت : يـا رسول الله اشتهيت أن يكـون أبي يأكـل من هذا الطير . . . إلخ .

في منـاقب ابن شهر آشـوب : روى حـديث الـطيـر جمـاعـة منهم : الترمذي في جامعه ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، والبلاذري في تـاريخه ، والخـركوشي في شـرف المصطفى ، والسمعـاني في فضـائـل الصحـابـة ، والـطبري في الـولاية ، وإبن البيـع في الصحيح ، وأبـو يعلى في المسند ،

وأحمد في الفضائل والنطنزي في الاختصاص .

وقد رواه محمد بن يحيى الأزدي ، وسعيد والمازني وابن شاهين والسدي ، وأبو بكر البيهقي ، ومالك وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وعبد الملك بن عمير ، ومسعر بن كدام ، وداوود بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو حاتم الرازي بأسانيدهم عن أنس وابن عباس وأُم أيمن .

ورواه ابن بطة في الإبانة من طريقين ، والخطيب وأبو بكر في تاريخ بغداد من سبعة طرق .

وقد صنَّف أحمد بن محمد بن سعيد كتاب الطير ، وقال القاضي أحمد : قد صح عندي حديث الطير .

وقال أبو عبد الله البصري ، إن طريقة أبي عبد الله الجبائي في تصحيح الأخبار تقتضي القول بصحة هذا الخبر لإيراده يوم الشورى فلم ينكر .

قال الشيخ : قد استدل به أمير المؤمنين عليه‌السلام على فضله في قصة الشورى بمحضر من أهلها ، فما كان فيهم إلا من عرفه وأقرَّ به ، والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها ، فصار متواتراً ، وليس في الأُمة ـ على اختلافها ـ من دفع هذا الخبر .

وحدثني أبو العزيز كادش العكبري عن أبي طالب الحربي العشاري عن إبن شاهين الواعظ في كتابه : «ما قرب سنده» قال : حدثني نصر بن أبي القاسم الفرائضي ، قال : قال محمد بن عيسي الجوهري قال : قال نعيم بن سالم بن قنبر ، قال : قال أنس بن مالك . . . الخبر .

وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتابه قرب الإسناد ، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس ، وعشرة عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقد صح أن الله تعالى والنبي يحبانه ، وما صحَّ ذلك لغيره ، فيجب الاقتداءُ به .

ومن نسب خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه .

حديث الطائر بصورة أُخرى :

مجمع الحديث : إن أنس بن مالك تعصّب بعصابة ، فسُئل عنها فقال : هذه دعوة علي ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طائر مشوي فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ، يأكل معي هذا الطير ، فجاء علي فقلت له : رسول الله عنك مشغول ، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي . فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً ، فجاء علي فقلت : رسول الله عنك مشغول ، فرفع علي صوته وقال : وما يشغل رسول الله عني ؟ وسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أنس من هذا ؟ قلت : علي بن أبي طالب . قال : إئذن له ، فلما دخل قال له : يا علي إني قد دعوت الله ثلاث مرات أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه وإليّ يأكل معي هذا الطير ، ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك .

فقال : يا رسول الله إني قد جئت ثلاث مرات ، كل ذلك يردني أنس ويقول : رسول الله عنك مشغول ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حملك على هذا ؟ قلت : أحببت أن يكون رجلاً من قومي ، وفي رواية : قال : رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار ، فقال لي : أو في الأنصار خير من علي ؟ أو في الأنصار أفضل من علي ؟؟

قال أنس : فلما كان يوم الدار استشهدني علي فكتمته ، فقلت إني نسيته ، فرفع علي يده إلى السماء فقال : اللهم إرم أنساً بوضح لا يستره من الناس . وفي رواية : لا تواريه العمامة .

ثم كشف العمامة عن رأسه فقال : هذه دعوة علي !! .

حَديث المَنزلة :

كانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرج معه المسلمون الوضيع منهم والشريف ، ولم يبق في المدينة إلا النساء

والصبيان وعدد من المتخلفين ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبقى علي في المدينة يحرس المدينة ومن فيها من عوائل المسلمين ، وإليكم التفصيل كما رواه المفيد في الإرشاد قال :

لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره ، وقال له : يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم علم من خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم ، وأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه (ابتعاده) عنها ، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها فمتى لم يكن في المدينة من يقوم مقامه لم يؤمن معرّتهم ، وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه ، وعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه استخلافاً ظاهراً ، ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً وذلك فيما تظاهرت به الرواة : أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً على المدينة لذلك ، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه ، وعلموا أنها تتحرس به وتتحصن ، ولا يكون فيها للعدو مطمع ، فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي رسول الله عن المدينة وخلوّها من مرهوب مخوف يحرسها وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله ، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر ، فأرجفوا (خاضوا في الأخبار السيئة قصد أن يهيج الناس) به ، وقالوا : لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إكراماً له وإجلالاً ومودةً ، وإنما خلّفه استثقالاً له ، فبهتوا بهذا الإرجاف ، كبهت قريشٍ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجِنة (الجنون) تارة وبالشعر أُخرى وبالسحر مرة وبالكهانة أُخرى ، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه ، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه ، وأن النبي كان أخص الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده وأفضلهم لديه ، فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم ، فلحق

بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالاً ومقتاً . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إرجع يا أخي إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلاَّ بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

فتضمن هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصّه عليه بالإمامة وإبانته من الكافة بالخلافة ، ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه ، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الأخوة (في النسب) واستثناه هو من النبوة .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله وسلم جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منه لفظاً وعقلاً .

وقد علم كل من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار : أن هارون كان أخا موسى عليه السلام لأبيه وأمه ، وشريكه في أمره ، ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه ، وأن الله شَدَّ به أزره ، وأنه كان خليفته على قومه ، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته .

وأنه كان أحب قومه إليه ، وأفضلهم لديه ، قال الله عز وجل ـ حاكياً عن موسى عليه السلام ـ: **﴿رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري﴾**[1] فأجاب الله تعالى مسألته ، وأعطاه أمنيته ، حيث يقول : **﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾**[2] .

وقال تعالى ـ حاكياً عن موسى ـ: **﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾** [3] .

---

(١) سورة طه ؛ الآيات : ٢٥ ـ ٣٢ .
(٢) سورة طه ؛ الآية : ٣٦ .
(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٤٢ .

فلما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الأخوة في النسب واستثناه من النبوة لفظاً ، وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين ولا ساواه في معناها ، ولا قاربه فيها على حال . . . الخ .

لا زال ولا يزال بعض المتجاهلين من المسلمين يزعمون أن هذا الحديث غير ثابت في الصحاح ولا معترف به عند الحفاظ وأئمة الحديث .

أو يدعون اختصاص الحديث بيوم تبوك ، فيسلبون منه الدلالة على الخلافة والإمامة العامة المطلقة ، ونحن نجيب عن الموضوع الأول :

بأن هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المتواترة عند المسلمين لا يشك فيه ذو درايةبالأحاديث ، وإلمام بالروايات ، ومعرفة وبصيرة بالأخبار ، ولا مجال للمناقشة ـ عند ذي الألباب ـ حول صحة هذا الحديث .

وأما الرواة لهذا الحديث فكثيرون جداً يصعب استيعاب أسمائهم ، ونذكر جملة من مشاهير علماء السنة وحفاظهم ورواتهم :

١ ـ الذهبي في تلخيص المستدرك .
٢ ـ إبن حجر الهيثمي في الصواعق .
٣ ـ صاحب الجمع بين الصحاح الستة .
٤ ـ صاحب الجمع بين الصحيحين .
٥ ـ البخاري في صحيحه .
٦ ـ مسلم في صحيحه .
٧ ـ إبن ماجه في سننه .
٨ ـ أحمد بن حنبل في مسنده .
٩ ـ البزاز في مسنده .
١٠ ـ الترمذي في صحيحه .
١١ ـ إبن عبد البر في الاستيعاب .

وغيرهم ممن كتب أو ألف كتاباً في فضائل علي عليه السلام .

وأما محدثو الشيعة وحفاظهم فلا يشكّون في صحة هذا الحديث وشهرته ، وهذه كتبهم مشحونة بذكر هذا الحديث بجميع الطرق والأسانيد والمصادر والمدارك .

أما الجواب عن الموضوع الثاني فنقول : إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد كرّر كلمته الذهبية (حديث المنزلة) في مواقف عديدة ومواطن كثيرة ، ذكرها أعلام المسلمين متفقين على صحتها ، وثبوتها واستقامة دلالتها تلك الموارد - كما في بشارة المصطفى - عن ابن عباس ، قال : رأيت حسان بن ثابت واقفاً بمنى ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مجتمعين ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هذا علي بن أبي طالب سيد العرب والوصي الأكبر ، منزلته مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبه . يا حسان قل فيه شيئاً ، فأنشأ حسان بن ثابت يقول :

لا تقبل التوبة من تائب إلا بحب ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره والصهر لا يعدل بالصاحب
ومن يكن مثل علي وقد ردّت له الشمس من المغرب
رُدت عليه الشمس في ضوئها بيضاً كأن الشمس لم تغرب

ومن تلك الموارد : حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أم سليم (أُم أنس بن مالك) وكان النبي يزورها ويحدثها في بيتها : يا أُم سليم إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى . . . إلخ .

روي ذلك في كنز العمال ومسند أحمد .

ومنها : يوم كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متكىءٌ على علي (عليه السلام) فضرب بيده على منكبيه ثم قال : يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأولهم إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى . . . إلخ .

ومنها : يوم الدار وقد سبق في أول ترجمة حياة أمير المؤمنين عليه السلام ومنها : يوم المؤاخاة الثانية وقد مضى ذكره ، وكذلك يوم سد الأبواب وقد مر كل ذلك فيما سبق .

ولولا خوف الملل لذكرنا المصادر لهذه الأحاديث ويمكن لكم مراجعة كتاب (المراجعات) و (الغدير) وغيرهما من الكتب التي كتبت حول هذا الموضوع .

المؤاخاة بين النبي (ص) وعلي (ع) :

كل شيئين إذا جمعهما جامع يطلق على أحدهما : أنه أخو الآخر مثلاً : العربي تجمع العروبة بينه وبين العرب ، فيقال للعربي : يا أخا العرب . والفارسي يشارك الفرس في العنصر فيقال له : يا أخا الفرس . واليهودية تجمع بين اليهود فيقال لليهودي : يا أخا اليهود ، وأفراد القبيلة يجمعهم كونهم من تلك القبيلة فيقال لهم : يا أخا كندة أو يا أخا تميم وهكذا بقية الأديان أوالقبائل أو الأشياء التي تجمع بين الأفراد كالمماثلة والمشابهة . . .

والأخوان الشقيقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأم وحدها يقال لهما : أخوان لأن الأب أو الأم أو كلاهما يجمعان الإنسانين وعلى هذا الأساس يقول الله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[1] أي أن مبدأ الإيمان يجمعهما .

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأخوة والإخاء في العرف والقرآن وقد تجتمع هذه العلل كأخوة النسب وأخوة الدين ، وأخوة المماثلة في إنسانين فتتقوى أواصر الأخوة فيما بينهما .

روى البلاذري عن ابن عباس وغيره : لما نزل قوله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[2] آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الأشكال والأمثال ، فآخى بين

(١ و ٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٠ .

أبي بكر وعمر ، وبين عثمان وعبد الرحمن ، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ، وبين طلحة والزبير ، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري ، وبين أبي ذر وأبي مسعود وبين سلمان وحذيفة ، وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين أبي الدرداء والبلال ، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل ، وبين المقداد وعمار وبين عائشة وحفصة ، وبين زينب بنت جحش وميمونة ، وبين أم سلمة وصفية حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم ثم قال : «أنت أخي ، وأنا أخوك يا علي» :

وفي لفظ : قال علي عليه السلام : يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني ، فقال : أنت أخي ، أما ترضى أن تُدعى إذا دعيتُ ، وتُكسى إذا كسيت ، وتدخل الجنة إذا دخلتُ ؟ قال : بلى يا رسول الله .

وفي رواية مناقب آل أبي طالب : فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنما أخّرتك لنفسي ، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة . فبكى علي عند ذلك وقال :

أقيك بنفسي أيها المصطفى الذي ... هدانا به الرحمن من عمه الجهل
وأفديك حوبائي[1] وما قدر مهجتي؟ ... لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل
ومن ضمني مذ كنت طفلاً ويافعاً ... وأنعشني بالبر والعل والنهل
ومن جده جدي ومن عمه عمي ... ومن أهله أمي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً ... دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل إني ما حييت لشاكر ... لإتمام ما أوليت يا خاتم الرُسل

وقال :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... معه ربيت وسبطاه هما ولدي

(١) الحوباء : روح القلب أو النفس .

وقال :

محمد النبي أخي وصنوي   وحمزة سيد الشهداء عمي

ولا شك أن هذه الأُخوة ليست نسبية ، إذ لم يكونا أخوين من النسب تحقيقاً وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزلته وفضله وإمامته على سائر المسلمين ، لئلا يتقدمه أحد منهم ، ولا يتآمر عليه بعد ما آخى بينهم أجمعين : الأشكال ، وجعله شكلاً لنفسه ، ولهذا كان علي عليه السلام يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيها من علو الرتبة وسمو المنزلة ، وشدة الاختصاص بالنبي ، وكان علي عليه السلام يقول : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، لا يقوله غيري إلا كذاب .

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تبقي مجالاً للشك والريب ، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم ، وتطرق إلى ذلك الشعراءُ في نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية للاختصار .




مصادر حديث المؤاخاة
بين رسول الله وعلي عليهما السلام

وهي خمسون مصدراً

١ ـ جامع الترمذي ٢ ص ٢١٣ .
٢ ـ مصابيح البغوي ٢ ص ١٩٩ .
٣ ـ مستدرك الحاكم ٣ ص ١٤ .
٤ ـ الإستيعاب ٢ ص ٤٦٠ .
٥ ـ تيسير الوصول ٣ ص ٢٧١ .
٦ ـ مشكاة المصابيح هامش المرقاة ٥ ص ٥٦٩ .
٧ ـ الرياض النضرة ٢ ص ١٦٧ وفي ص ٢١٢ .
٨ ـ الفصول المهمة ص ٢٢ ، ٢٩ .
٩ ـ تذكرة السبط ص ١٣ ، ١٥ .
١٠ ـ كفاية الكنجي ص ٨٢ .
١١ ـ السيرة النبوية لابن سيد الناس ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .
١٢ ـ تاريخ إبن كثير ٧ ص ٣٣٥ .
١٣ ـ أسنى المطالب للجزري ص ٩ .
١٤ ـ مطالب السؤول ص ١٨ .
١٥ ـ الصواعق ص ٧٣ ، ٧٥ .
١٦ ـ تاريخ الخلفاء ص ١١٤ .

١٧ ـ الإصابة ٢ ص ٥٠٧ .
١٨ ـ المواقف ٣ ص ٢٧٦ .
١٩ ـ شرح المواهب ١ ص ٣٧٣ .
٢٠ ـ طبقات الشعراني ٢ ص ٥٥ .
٢١ ـ تاريخ القرماني هامش الكامل ١ ص ٢١٦ .
٢٢ ـ السيرة الحلبية ١ ص ٢٣ ، ١٠١ .
٢٣ ـ السيرة النبوية لزيني دحلان ١ ص ٣٢٥ .
٢٤ ـ كفاية الشنقيطي ص ٣٤ .
٢٥ ـ الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ محمد رضا ص ٢١ .
٢٦ ـ الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود قاله في ص ٧٣ .
٢٧ ـ الرياض النضرة ٢ ص ٢٠٩ .
٢٨ ـ تاريخ إبن عساكر ٦ ص ٢٠١ .
٢٩ ـ كنز العمال ٦ ص ٣٩٠ .
٣٠ ـ تاريخ ابن هشام ٢ ص ١٢٣ .
٣١ ـ الفتاوى الحديثية ص ٤٢ .
٣٢ ـ تاريخ الخطيب ١٢ ص ٢٦٨ .
٣٣ ـ مسند أحمد ١ ص ٢٣٠ .
٣٤ ـ الإمتاع للمقريزي ص ٣٤٠ .
٣٥ ـ المحاسن والمساوي ١ ص ٣١
٣٦ ـ مجمع الزوائد ٩ ص ١١١ .
٣٧ ـ مناقب الخوارزمي ص ٨٧ .
٣٨ ـ شمس الأخيار ص ٣٥ .
٣٩ ـ فيض القدير ٤ ص ٣٥٥ .
٤٠ ـ مصباح الظلام ٢ ص ٥٦ .
٤١ ـ حلية الأولياء ١ ص ٦٧ .

٤٢ ـ شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٤٤٩ .
٤٣ ـ فرائد السمطين في الباب الـ ٣٠ و ٥٠ .
٤٤ ـ نزهة المجالس ٢ ص ٢٤١ .
٤٥ ـ ذخائر العقبى ص ٩١ .
٤٦ ـ تايخ بغداد ١١ ص ١١٢ .
٤٧ ـ خصائص النسائي ص ٣٢ .
٤٨ ـ سنن ابن ماجه ١ ص ٥٧ .
٤٩ ـ العقد الفريد ص ٢٧٥ .
٥٠ ـ تاريخ الطبري ٣١٢ .

سُورَة بَرَاءة :

لما نزلت هذه السورة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمر رسول الله أبا بكر أن يذهب إلى مكة ويقرأها على الناس ، وفي رواية : يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة ، وأن ينبذ إلى كل ذي عهد عهده ، فلما وصل أبو بكر إلى ذي الحلفية نزل جبرئيل على النبي وقال : لا يبلغ عنك إلا علي .

فدعا رسول الله علياً وأمره أن يركب ناقته العضباء ، وأمره أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويقرأها على الناس بمكة ، فأدرك علي أبا بكر فلما رآه أبو بكر فزع من لحوقه به واستقبله فقال : فيم جئت يا أبا الحسن ؟ أسائر أنت معي أم لغير ذلك ؟ فقال علي : إن رسول الله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم ، وأمرني أن أُخيّرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه ، فقال : بل أرجع إليه وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخل عليه قال : يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق إليَّ فيه ، فلما توجهت إليه رددتني عنه ، ما لي أنزل فيّ قرآن ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا ، ولكن الأمين جبرئيل عليه السلام هبط إليّ عن الله عز وجل بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، وعلي مني ، ولا يؤدي عني إلا علي .

قال المقريزي في الإمتاع : بأن العرب كان إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم لم ينقض ذلك إلا الذي يحالف أو أقرب الناس قرابة منه ، وكان علي رضي الله عنه هو الذي عاهد المشركين فلذلك بعثه صلى الله عليه وآله وسلم ببراءة .

وذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نقيع قال : سألنا علياً بأي شيءٍ بعثت في ذي الحجة ؟ قال بعثت بأربعة : لا تدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر .

وروي أنه عليه السلام قام عند جمرة العقبة وقال : يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم بأن لا يدخل البيت كافر ، ولا يحج البيت مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فله عهده إلى أربعة أشهر ، ومن لا عهد له فله مدة بقية الأشهر الحرم ، وقرأ عليهم سورة براءة ، وقيل : قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة ، وروي أنه عليه السلام لما نادى فيهم : «إن الله بريءٌ من المشركين» . قال المشركون : نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك .

وهذه صورة أُخرى :

في البحار عن الإمام الباقر عليه السلام : لما سرّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر بأول سورة براءة إلى أهل مكة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن لا تبعث هذا وأن تبعث علي بن أبي طالب عليه السلام ، وإنه لا يؤديها عنك غيره ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب فلحقه وأخذ منه الصحيفة وقال : إرجع إلى النبي ، فقال أبو بكر : هل حدث فيّ شيءٌ ؟ فقال : سيخبرك رسول الله ، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ما كنت ترى أني مؤد عنك هذه الرسالة ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أبى الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فأكثر أبو بكر عليه من الكلام فقال له

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٣ .

النبي ﷺ: كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار . قال : فانطلق علي عليه السلام حتى قدم مكة ثم وافى عرفات ، ثم رجع إلى جمع ، ثم إلى منى ثم ذبح وحلق ، وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب فأذن ثلاث مرات : ألا تسمعون أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم ؟ ثم قال : **﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله﴾**[1] إلى قوله : **﴿إن الله غفور رحيم﴾**[2] تسع آيات من أولها ، ثم لمع بسيفه (أي أشار) فأسمع الناس وكررها فقال الناس : من هذا الذي ينادي في الناس ؟ فقالوا : علي بن أبي طالب ، وقال من عرفه من الناس : هذا ابن عم محمد ، وما كان ليجترىء على هذا غير عشيرة محمد ﷺ، فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادي بذلك ويقرأ على الناس غدوة وعشية ، فناداه الناس من المشركين : أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرماح .

ثم انصرف علي عليه السلام إلى النبي ﷺ يقصد في السير ، وأبطأ الوحي عن رسول الله ﷺ في أمر علي وما كان منه ، فاغتم النبي لذلك غماً شديداً حتى رؤي في وجهه ، وكف عن النساء من الهم والغم ، فقال بعضهم لبعض : لعله قد نعيت إليه نفسه أو عرض له مرض ، فقالوا لأبي ذر : قد نعلم منزلتك من رسول الله ، وقد ترى ما به ، فنحن نحب أن تعلم لنا أمره ، فسأل أبو ذر النبي ﷺ عن ذلك ، فقال النبي : ما نعيت إليّ نفسي وإني لميت ، وما وجدت في أمتي إلا خيراً ، وما بي من مرض ، ولكن من شدة وجدي بعلي بن أبي طالب عليه السلام وإبطاء الوحي عني في أمره ، فإن الله عز وجل قد أعطاني في علي عليه السلام تسع خصال : ثلاثة لدنياي ، واثنتان لآخرتي واثنتان أنا منهما آمن ، واثنتان أنا منهما خائف ،

---

(١) سورة التوبة ؛ الآيات : ١ ـ ٣ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٥ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة استقبل القبلة بوجهه إلى طلوع الشمس يذكر الله عز وجل ، وتقدم علي بن أبي طالب عليه السلام خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويستقبل الناس بوجهه فيستأذنون في حوائجهم ، وبذلك أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما توجه علي عليه السلام إلى ذلك الوجه لم يجعل رسول الله مكان علي لأحد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى وسلم استقبل الناس بوجهه فأذن للناس . فقام أبو ذر فقال : يا رسول الله لي حاجة ، قال : انطلق في حاجتك . فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب مقبل على ناقته ، فإذا هو علي فاستقبله والتزمه وقبّله وقال : بأبي أنت وأُمي أقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أُبشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن رسول الله من أمرك في غم شديد وهمّ ، فقال له علي عليه السلام : نعم ، فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : البشرى ، قال : وما بشراك يا أبا ذر ؟ قال : قدم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له : لك بذلك الجنة ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وركب معه الناس فلما رآه أناخ ناقته ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتلقاه والتزمه وعانقه ووضع خده على منكب علي وبكى النبي فرحاً بقدومه وبكى علي معه ، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما صنعت بأبي أنت وأُمي ؟ فإن الوحي أبطأ عليّ في أمرك ، فأخبره بما صنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان الله عز وجل أعلم بك مني حين أمرني بإرسالك .

عن الصادق عليه السلام قال : خطب علي فاخترط سيفه وقال : لا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يحجن البيت مشرك ، ومن كان له مدة فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر ـ زيادة في مسند الموصلي ـ: ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وهذا هو الذي أمر الله تعالى به إبراهيم عليه السلام حين قال : **﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**[1] فكان الله تعالى أمر إبراهيم الخليل بالنداء أولاً قوله : **﴿وأذن في الناس بالحج﴾**[2] وأمر

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٢٥ . (٢) سورة الحج ؛ الآية : ٢٧ .

الولي بالنداء آخراً قوله : ﴿وأذان من الله ورسوله﴾[1] قال السدي وأبو مالك وابن عباس وزين العابدين عليه‌السلام : الأذان علي بن أبي طالب الذي نادى به .

علي (ع) يُكسّر الأصنام :

روى أبو بكر الشيرازي . . . عن أبي هريرة قال : قال لي جابر بن عبد الله : دخلنا مع النبي مكة ، وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فأُلقيت كلها لوجوهها ، وكان على البيت صنم طويل يقال له (هبل) فنظر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى علي عليه‌السلام وقال له : يا علي تركب (تصعد) أو أركب عليك لأُلقي هبل عن ظهر الكعبة ؟ قلت : يا رسول الله بل تركبني فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة ، قلت : يا رسول الله بل أركبك ، فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه ، فوالذي فلق الحبة وبرىء النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها بيدي !! فألقيت هبل عن ظهر الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾[2] .

وروى أحمد بن حنبل وأبو بكر الخطيب باسناده عن علي بن أبي طالب عليه‌السلام قال : إنطلق بي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى الأصنام فقال : إجلس ، فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله على منكبي ثم قال لي : إنهض بي إلى الصنم ، فنهضت به ، فلما رأى ضعفي عنه قال : إجلس فجلست وأنزلته عني ، وجلس لي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثم قال لي : إصعد يا علي ، فصعدت على منكبه ثم نهض بي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فلما نهض بي خيّل لي أني لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة ، وتنحى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش ، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض .

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٣ .

(٢) سورة الإسراء ؛ الآية : ٨١ .

الحديث بصورة أخرى : روى إسماعيل بن محمد الكوفي في خبر طويل عن ابن عباس أنه كان صنم لخزاعة من فوق الكعبة ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا الحسن إنطلق بنا نلقي هذا الصنم عن البيت ، فانطلقا ليلاً فقال له : يا أبا الحسن إرق على ظهري ، وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً ، فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : انتهيت يا علي ؟ قال : والذي بعثك بالحق لو هممت أن أمس السماء بيدي لمسستها . واحتمل الصنم وجلد به الأرض فتقطع قطعاً ، ثم تعلق بالميزاب وتخلى بنفسه إلى الأرض ، فلما سقط ضحك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما يضحكك يا علي أضحك الله سنك ؟ قال : ضحكت يا رسول الله تعجباً من أني رميت بنفسي من فوق البيت إلى الأرض فما ألمت ولا أصابني وجع ! فقال : كيف تألم يا علي أو يصيبك وجع إنما رفعك محمد وأنزلك جبرئيل . .

وفي علل الشرائع وجامع الأخبار عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة قال : سألت جعفر بن محمد «الصادق» عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها . فقال : إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فاسأل قال قلت له : يا ابن رسول الله وبأي شيءٍ تعرف ما في نفسي قبل سؤالي ؟ فقال بالتوسم والتفرس ، أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[1] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ؟ قال : فقلت له : يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتي قال : أردت أن تسألني عن رسول الله لِم لَم يطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته ومع ما ظهر منه في قلع باب القوم بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً ؟ وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً ؟ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يركب الناقة والفرس والحمار وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون علي في القوة والشدة ؟ قال : فقلت له : عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن

---

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٧٥ .

رسول الله فأخبرني . فقال عليه السلام : إن علياً برسول الله تشرف ، وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل ولو علاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحط الأصنام لكان بعلي مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حط الأصنام ، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه ، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال : «لما علوت ظهر رسول الله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها» ؟ أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله وقد قال علي عليه السلام : «أنا من أحمد كالضوء من الضوء !» .

حديث سد الأبواب :

في البحار ج ٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم أراد الله عز وجل إبانة محمد وآله الأفضلين بالفضيلة ، فنزل جبرئيل عليه السلام عن الله : بأن سدوا الأبواب عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن ينزل بكم العذاب ، فأول من بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان العباس، وكان الرسول معاذ بن جبل ، ثم مر العباس بفاطمة عليها السلام فرآها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين عليهما السلام فقال لها : ما بالكِ قاعدة ؟ انظروا إليها كأنها لبوءة بين يديها شبلاها ! تظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج عمه ويدخل ابن عمه ! فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها : ما بالك قاعدة ؟ فقالت : أنتظر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسد الأبواب ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسوله وأنتم نفس رسول الله ، ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال : إني أُحب النظر إليك يا رسول الله إذا مررت إلى مصلاك ، فأْذن لي في خوخة (فرجة) أنظر إليك منها !

فقال : قد أبى الله ذلك ، فقال : فمقدار ما أضع عليه وجهي ، قال قد أبى الله ذلك ، قال : فمقدار ما أضع عليه عيني ، فقال : قد أبى الله

ذلك ولو قلت : قدر طرف إبرة لم آذن لك ، والذي نفسي بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتهم ولكن الله أدخلهم وأخرجكم . ثم قال : لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم . .

الحديث بلفظ آخر :

حذيفة بن أسيد الغفاري قال : لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة لم تكن لهم بيوت فكانوا يبيتون في المسجد ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا ، ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد ، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك ، فقال : سمعاً وطاعة . فسدَّ بابه وخرج من المسجد ، ثم أرسل إلى عمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج منه ، فقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أني أرغب إلى الله تعالى في خوخة (فرجة) في المسجد . فأبلغه معاذ ما قاله عمر ، ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية فقال : سمعاً وطاعة . فسدَّ بابه وخرج من المسجد ، ثم أرسل إلى حمزة رضي الله عنه فسد بابه وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله وعلي عليه السلام على ذلك متردد لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج ؟ وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بنى له في المسجد بيتاً بين أبياته ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اسكن طاهراً مطهراً ، فبلغ حمزة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام فقال : يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب فقال له نبي الله : لو كان الأمر إليَّ ما جعلت دونكم من أحد ، والله ما أعطاه إياه إلا الله وإنك لعلى خير من الله ورسوله ، أبشر ، فبشره النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقتل يوم أُحد شهيداً ، ونفس ذلك رجال على علي فوجدوا في أنفسهم ، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام خطيباً

فقـال : إن رجـالاً يجـدون في أنفسهم في أن أُسكن علياً في المسجـد وأُخرجهم والله ما أخرجهم ولا أسكنته، إن الله عز وجل أوحى إلى مـوسى وأخيه ﴿أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾[1] وأمـر مـوسى أن لا يسكن مسجـداً ولا ينكـح فيـه ولا يـدخله إلا هـارون وذريته ، وإن علياً بمنـزلة هـارون من موسى وهـو أخي دون أهلي ولا يحل مسجدي لأحد ينكح فيه النسـاء إلا علي وذريته ، فمن شـاء فها هنـا ـ وأومأ بيده نحو الشام .

ولإبن أبي الحديد كلام جامع يشير إلى بعض الفضائل بصورة موجـزة يقول :

وكـان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخـلاق متضادة ، فمنهـا أن الغالب على أهـل الإقدام والمغـامرة والجـرأة أن يكونـوا ذوي قلوب قاسيـة وفتك وتنمـر وجبرية ، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذّهـا والاشتغال بمـواعظ الناس وتخـويفهم المعاد وتـذكيرهم المـوت أن يكـونـوا ذوي رقـةٍ ولين . وضعف قلب وخـور طبع ، وهـاتان حـالتان متضـادتان وقـد اجتمعتا له عليه السلام .

ومنها : أن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدمـاء أن يكونـوا ذوي أخـلاق سبعية وطبـاع وحشية ، وكـذلك الغـالب على أهل الـزهادة وأربـاب الوعظ والتذكير ورفض الدنيـا أن يكونـوا ذوي إنقباض في الأخـلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس واستيحاش .

وعلي عليه السلام كـان أشجع النـاس وأعظمهم إراقـة للدم ، وأزهد النـاس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتـذكيراً بـأيام الله ومثـلاته وأشـدهم إجتهاداً في العبادة ، وآداباً لنفسه في المعاملة .

وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً ، وأسفرهم وجهاً ، وأكثرهم بشـراً

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٨٧ .

وأوفاهم هشاشة وبشاشة ، وأبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر ، أو تجهّم مباعد ، أو غلظة وفظاظة ينفر معهما نفس ، أو يتكدر معهما قلب ، حتى عيب بالدعابة .

ولما لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعناً تعلقوا بها (الدعابة) ، واعتمدوا في التنفير عنه عليها ، وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة .

ومنها : أن الغالب على شرفاء الناس ومَن هو من أهل السيادة والرئاسة أن يكون ذا كبرٍ وتيه وتعظُّم ، وخصوصاً إذا أُضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أُخرى .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في مصاص الشرف ومعدنه ، لا شك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه صلوات الله عليه وقد حصل له الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة ، وقد ذكرنا بعضها ومع ذلك كان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير ، وألينهم عريكة ، وأسمحهم خلقاً ، وأبعدهم عن الكبر ، وأعرفهم بحق .

وكانت حاله هذه حاله في كل زمانيه : زمان خلافته ، والزمان الذي قبله ، ما غيّرت سجيته الإمرة ، ولا أحالت خلقه الرئاسة وكيف تحيل الرئاسة خلقه وما زال رئيساً ؟

وكيف تغيّر الإمرة سجيته وما برح أميراً ؟

لم يستفد بالخلافة شرفاً ، ولا اكتسب بها زينة ، بل هو كما قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف (بالمنتظم) قال : تذاكروا عند أحمد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا ، وأكثروا فرفع رأسه إليهم وقال :

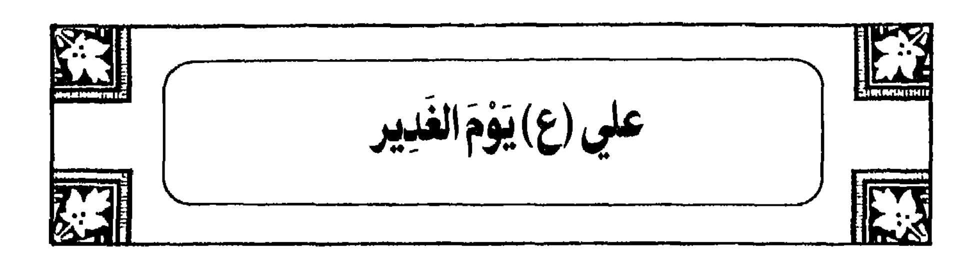
قد أكثرتم ، إن علياً لم تزنه الخلافة لكنه زانها . وهذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازداد بالخلافة وتمت نقيصته ، وأن علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتم بالخلافة وكانت الخلافة ذات نقص في

نفسها ، فتمّ نقصها بولايته إياها .

ومنها : إن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح ، بعيدي العفو ، لأن أكبادهم واغرة ، وقلوبهم ملتهبة ، والقوة الغضبية عندهم شديدة ، وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدماء وما عنده من الحلم والصفح ومغالبته هوى النفس ، وقد رأيت فعله يوم الجمل .

ومنها : ما رأينا شجاعاً جواداً قط . . . وقد علمت حال أمير المؤمنين في الشجاعة والسخاء كيف هي ؟

وهي من أعاجيبه عليه السلام . . . إلى آخر كلامه .



علي (ع) يَوْمَ الغَدِير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يرضى وسلام على النبي المصطفى وأخيه المرتضى وآله .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (١) .

أيها الإخوة كلامنا ـ الليلة ـ حول واقعة الغدير ، تلك الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة ، يوم تتويج الإمام المرتضى عليه السلام بتاج الخلافة العظمى والإمامة الكبرى .

وهذا البحث من أهم البحوث الإسلامية ، وهنا مفترق الطرق بين المذاهب الإسلامية ، ويمكن لنا أن نقول : إن الكتب والمؤلفات التي كتبت حول هذا الموضوع بالذات وحول الإمامة والخلافة بصورة عامة ـ قد جاوزت العد والضبط والإحصاء ، من إثبات أو ردٍّ أو مناقشة وما يدور في هذا الفلك .

ولا تسألوا عن الأرواح التي زهقت في سبيل هذه الواقعة ومضاعفاتها

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

في خلال أربعة عشر قرناً ، وما هناك من مآسي وكوارث ومصائب ومجازر وفتن تتعب القارىء وتجهد السامع . وحيث أن الإمامة ـ عندنا ـ تالية للنبوة من حيث كونها وظيفة إلهية ومنصب رباني ليس لأحد حق الانتخاب أو الرد فيها ، كما قال تعالى : **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة﴾**[1] ولهذا لا بأس بذكر هذه الواقعة وما يتعلق بها من أقوال الصحابة وأهل البيت والتابعين وتابعيهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين والشعراء والأئمة والأعلام والحفاظ .

ومن العجب أن عدداً من النصارى ذكروا هذه الحادثة نظماً ونثراً ولعلنا نشير إلى بعض أقوال هؤلاء بصورة موجزة رعاية للاختصار .

ومن أعجب العجب أن بعض المسلمين بعد إقامة الأدلة الكافية والبراهين الشافية والحجج القاطعة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبعد المناقشة في سند الحديث ودلالة متنه ومفهومه قال : إن علياً هو الأفضل ولكن غيره أصلح !! سبحان الله ، هذه كلمة تُضحك الثكلى ! لأن معناها ؛ إن الله ورسوله ما كانا يعرفان الأصلح ؟ أو كانا يعرفانه ولكنهما قدّما غير الأصلح ، نعوذ بالله من الباطل .

والأفضل أن نذكر الواقعة بصورة موجزة ثم ننظر أين ينتهي بنا الكلام ؟ وأقوال المفسرين والمحدثين تختلف من حيث الإيجاز والتفصيل ، ولكن المفاد واحد ، وهذه صورة الواقعة :

لما قضى رسول الله مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله : **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾**[2] الآية . وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد ، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم ، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد ، حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم (كنس) ما تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء ، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس ، فلما انصرف صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع ، رافعاً عقيرته فقال :

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، الذي لا هادي لمن ضل ، ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ـ أما بعد ـ: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمّر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله ، وإني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً . قال : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : أللهم اشهد ثم قال : أيها الناس ألا تسمعون ؟ قالوا : نعم . قال : فإني فرط على الحوض ، وأنتم واردون عليَّ الحوض ، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين . فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا ، والآخر الأصغر عترتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا

عنهما فتهلكوا ـ ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رُئي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون ـ، فقال : أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، يقولها ثلاث مرات ، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة : أربع مرات ثم قال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب .

وقد ذكروا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة مفصلة جداً رواها الطبرسي في الاحتجاج ، ورواها غيره في كتبهم بغير تفصيل ، وكيف كان لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خطبته نزل وأمر المسلمين أن يبايعوا علياً بالخلافة ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين .

فتهافت عليه الناس يبايعونه ، وجاء الشيخان : أبو بكر وعمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالا : هذا أمر منك أم من الله ؟ فقال النبي : وهل يكون هذا عن غير أمر الله ؟ نعم أمر من الله ورسوله فقاما وبايعا ، فقال عمر : السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ بخ لك لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة !!

* * *

هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين ، وتعتبر عندهم من أصح الأحاديث لتواتر الروايات الواردة حول الحديث .

أما الصحابة الذين شهدوا بالغدير فالمشهور منهم مائة ونيف وإليك أسماؤهم حسب الحروف :

١ ـ أبوهريرة .
٢ ـ أبو ليلى الأنصاري .
٣ ـ أبو زينب بن عوف الأنصاري .
٤ ـ أبو فضالة الأنصاري .
٥ ـ أبو قدامة الأنصاري .
٦ ـ أبو عمرة بن عمر بن محضر الأنصاري .

٧ ـ أبو الهيثم بن التيهان .
٨ ـ أبو رافع القبطي .
٩ ـ أبو ذويب بن خويلد .
١٠ ـ أبو بكر بن أبي قحافة .
١١ ـ أسامة بن زيد .
١٢ ـ أسعد بن زرارة الأنصاري .
١٣ ـ أبي بن كعب الأنصاري .
١٤ ـ أسماء بنت عميس .
١٥ ـ أم كلثم زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
١٦ ـ أم هاني بنت أبي طالب .
١٧ ـ براءُ بن عازب الأنصاري .
١٨ ـ أبو حمزة أنس بن مالك .
١٩ ـ بريرة بن الخصيب .
٢٠ ـ أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري .
٢١ ـ جابر بن سمرة .
٢٢ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري .
٢٣ ـ جبلة بن عمرو الأنصاري .
٢٤ ـ جبير بن مطعم .
٢٥ ـ جرير بن عبدالله .
٢٦ ـ أبو ذر جندب بن جنادة .
٢٧ ـ أبو جنيدة جندع بن عمرو .
٢٨ ـ حبة بن جرير العرني .
٢٩ ـ حبشي بن جنادة .
٣٠ ـ حبيب بن بديل .
٣١ ـ حذيفة بن أسيد .
٣٢ ـ حذيفة بن اليمان .
٣٣ ـ حسان بن ثابت .
٣٤ ـ الإمام الحسن بن علي عليه السلام .
٣٥ ـ الإمام الحسين بن علي عليه السلام .
٣٦ ـ أبو أيوب الأنصاري .
٣٧ ـ خالد بن الوليد .
٣٨ ـ خزيمة بن ثابت .
٣٩ ـ خويلد بن عمروالخزامي .
٤٠ ـ رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري .
٤١ ـ زبير بن العوام .
٤٢ ـ زيد بن ثابت .
٤٤ ـ زيد بن عبد الله الأنصاري .
٤٥ ـ زيدبن يزيد بن شراحيل الأنصاري .
٤٦ ـ سعد بن أبي وقاص .
٤٧ ـ سعد بن جنادة .
٤٨ ـ سعد بن عبادة .
٤٩ ـ أبو سعيد الخدري .
٥١ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري .
٥٢ ـ سلمان الفارسي .
٥٣ ـ سمرة بن جندب .
٥٤ ـ سلمة بن عمرو .
٥٥ ـ سهل بن ساعد الأنصاري .
٥٧ ـ أبو أمامة الصدي بن عجلان .
٥٨ ـ ضميرة الأسدي .
٥٩ ـ طلحة بن عبيد الله .
٦٠ ـ عامر بن عمير .
٦١ ـ عامر بن ليلى .

٦٢ ـ عامر بن واثلة .
٦٣ ـ عامر بن ليلى العقاري .
٦٤ ـ عائشة بنت أبي بكر .
٦٥ ـ عباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
٦٦ ـ عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري .
٦٧ ـ عبد الرحمن بن عوف .
٦٨ ـ عبد الرحمن بن يعمر .
٦٩ ـ عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي .
٧٠ ـ عبد الله بن بديل .
٧١ ـ عبد الله بن بشير .
٧٢ ـ عبد الله بن ثابت الأنصاري .
٧٣ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
٧٤ ـ عبد الله بن حنطب .
٧٥ ـ عبد الله بن ربيعة .
٧٦ ـ عبد الله بن عباس .
٧٧ ـ عبد الله بن أبي أوفى .
٧٨ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب .
٧٩ ـ عبد الله ياميل .
٨٠ ـ عثمان بن عفان .
٨١ ـ عدي بن حاتم .
٨٢ ـ عبيد بن عازب الأنصاري .
٨٣ ـ عطية بن يسر .
٨٤ ـ عقبة بن عامر .
٨٥ ـ علي بن أبي طالب عليه السلام .
٨٦ ـ عمار بن ياسر .
٨٧ ـ عمارة الخزرجي .
٨٨ ـ عمر بن أبي سلمة .
٨٩ ـ عمر بن الخطاب .
٩٠ ـ عمران بن حصين .
٩١ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي .
٩٢ ـ عمرو بن شراحيل .
٩٣ ـ عمرو بن العاص .
٩٤ ـ عمرو بن مرة .
٩٥ ـ فاطمة الزهراء بنت النبي عليها السلام .
٩٦ ـ فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب .
٩٧ ـ قيس بن ثابت
٩٨ ـ قيس بن سعد بن عبادة .
٩٩ ـ كعب بن عجرة .
١٠٠ ـ مالك بن الحويرث .
١٠١ ـ المقداد بن عمرو الكنـدي .
١٠٢ ـ ناجية بن عمرو الخزاعي .
١٠٣ ـ أبو برزة فضلة بن عتبة .
١٠٤ ـ نعمان بن عجلان .
١٠٥ ـ هاشم المرقال .
١٠٦ ـ وهب بن حمزة .
١٠٧ ـ وهب بن عبد الله .
١٠٨ ـ وحشي بن حرب .
١٠٩ ـ يعلى بن مرة .

إكمَالُ الدِّين

ولمـا انتهت البيعة لأميـر المؤمنين عليه السلام هبط جبرئيـل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهــذه الآيـة : **﴿اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**(1) .

أما المفسرون والمحدثون من الشيعـة فقد اتفقت كلمتهم على نـزول هذه الآية يوم الغدير بعد انتهـاء البيعة لعلي عليه السلام وأمـا من حفاظ أهـل السنة ومحدثيهم فقد روى :

١ ـ محمد بن جرير الطبري في كتاب : (الولاية) .
٢ ـ الحافظ ابن مردويه روي عنه في تفسير ابن كثير .
٣ ـ الحـافظ أبو نعيم الأصبهـاني روى في كتابـه : (ما نـزل من القـرآن في علي) .
٤ ـ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ .
٥ ـ أبو سعيد السجستاني في كتابه (الولاية) .
٦ ـ الحـافظ أبوالقـاسم الحاكم الحسكـاني في كتابـه (دعاة الهـداة إلى أداءِ حق الموالاة) .

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

٧ ـ الحافظ أبو القاسم بن عساكر .

٨ ـ أبو الحسن بن المغازل روى في مناقبه .

٩ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي روى في المناقب .

١٠ ـ أبو الفتح النطنزي روى في كتابه الخصائص العلوية .

١١ ـ أبو حامد سعد الدين الصالحاني روى عنه شهاب الدين أحمد في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل .

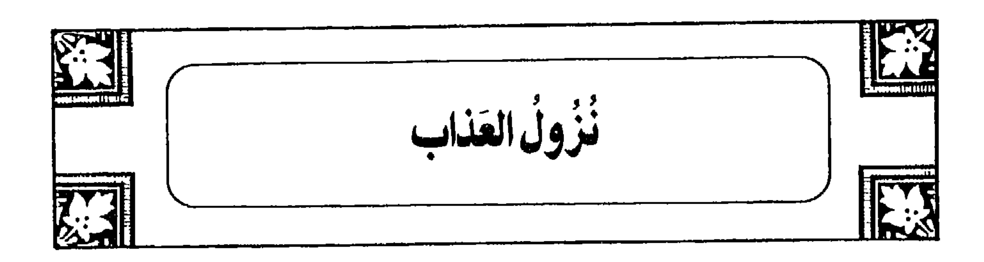
١٢ ـ سبط إبن الجوزي ذكر في تذكرته .

١٣ ـ شيخ الإسلام الحمويني روى في فرائد السمطين .

١٤ ـ عماد الدين ابن كثير القرشي روى في تفسيره .

١٥ ـ جلال الدين السيوطي الشافعي في الدر المنثور وفي الإتقان .

١٦ ـ منير محمد البدخشي روى في كتاب مفتاح النجاة .



نُزُولُ العَذاب

انتشر خبر واقعة الغدير، وشاع وطار في البلاد فبلغ ذلك الحارث إبن النعمان الفهري، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على ناقة له حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها، فقال : يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع إبن عمك، ففضّلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيءٌ منك أم من الله عز وجل ؟ فقال : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله. فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها ـ راحلته ـ حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله عز وجل : **﴿سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج﴾** (١).

الذين رووا نزول هذه الآية في شأن الحارث بن النعمان هم :

١ ـ الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره غريب القرآن.

---

(١) سورة المعارج ؛ الآيات : ١ ـ ٣.

٢ ـ أبو بكر النقاش الموصلي في تفسيره شفاءُ الصدور .
٣ ـ أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري في تفسيره الكشف والبيان .
٤ ـ الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (دعاة الهداة) .
٥ ـ أبو بكر يحيى القرطبي في تفسيره .
٦ ـ سبط ابن الجوزي الحنفي رواه في تذكرته .
٧ ـ إبراهيم بن عبد الله اليمني الشافعي روى في كتابه الاكتفاء .
٨ ـ الحمويني في فرائد السمطين .
٩ ـ الشيخ محمد الزرندي الحنفي روى في كتابيه معارج الوصول ودرر السمطين .
١٠ ـ شهاب الدين أحمد في كتابه هداية السعداء .
١١ ـ إبن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة .
١٢ ـ نور الدين السمهودي الشافعي رواه في جواهر العقدين .
١٣ ـ أبو السعود العمادي في تفسيره .
١٤ ـ شمس الدين الشربيني الشافعي في تفسيره السراج المنير .
١٥ ـ جمال الدين الشيرازي في كتابه الأربعين .
١٦ ـ شيخ زيد الدين المناوي الشافعي في كتابه فيض القدير .
١٧ ـ السيد ابن العبدروس الحسيني اليمني في كتابه العقد النبوي والسير المصطفوي .
١٨ ـ الشيخ أحمد ابن باكثير الشافعي ذكره في وسيلة المآل في عد مناقب الآل .
١٩ ـ الشيخ عبد الرحمن الصفوي روى في نزهته .
٢٠ ـ الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية .
٢١ ـ السيد محمود بن محمد القادري المدني قال في تأليفه الصراط السوي في مناقب النبي .
٢٢ ـ شمس الدين الحنفي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي .
٢٣ ـ الشيخ محمد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا قال في كتابه معارج

العلى في مناقب المرتضى .

٢٤ ـ الشيخ محمد محبوب العالم رواه في تفسيره المعروف بتفسير شاهي .

٢٥ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي حكاه في شرح المواهب اللدنية .

٢٦ ـ أحمد بن عبد القادر الشافعي ذكره في كتابه ذخيرة المآل .

٢٧ ـ السيد أحمد بن إسماعيل اليماني ذكره في كتابه الروضة الندية .

٢٨ ـ السيد مؤمن الشبلنجي الشافعي ذكره في كتابه نور الأبصار .

٢٩ ـ الأستاذ الشيخ محمد عبده المصري في تفسير المنار .

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فلا يشك منهم أحد في نزول هذه الآية في شأن الحرث أو الحارث .

معاني المولى :

ذكر اللغويون لكلمة (المولى) عشرين معنى ، وهذا هو سبب المناقشة في مفهوم الحديث ، فيقول أصحاب القلوب المريضة : لم يظهر لنا المقصود من كلمة «مولاه» ، ونجيب عن هذه المناقشة أو التشكيك بهذه الرواية المفسرة لمعنى المولى ، فقد روي أن عماراً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى قوله : «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال صلى الله عليه وآله وسلم: الله مولاي : أولى بي من نفسي لا أمر لي معه ، وأنا مولى المؤمنين : أولى بهم من أنفسهم ، لا أمر لهم معي ، ومن كنت مولاه : أولى به من نفسه لا أمر له معي ، فعلي مولاه : أولى به من نفسه لا أمر له معه .

سبحان الله ! ما يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا التفصيل والتشريح والبيان الكافي الموضح لكلامه والمبين لمقصوده ؟

وهل أبقى لأحد شكاً ؟ وهل بقيت لأحد حجة على الله ؟ بل أتم الحجة على الجميع ، وأدى رسالة ربه على أحسن ما يرام ، وأفضل ما يمكن .

ولسيدنا الحجة المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين (عليه

الرحمة) بحث لطيف وتحقيق ظريف حول كلمة المولى نذكره تتميماً للفائدة :

«فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدير خم فقال لماذا منع تلك الألوف المؤلفة يومئذ عن المسير ؟

وعلى مَ حبسهم في تلك الرمضاء بهجير ؟

وفيم اهتم بإرجاع من تقدم منهم وإلحاق من تأخر ؟

ولِمَ أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلاءٍ ولا ماءٍ ؟

ثم خطبهم عن الله عز وجل في ذلك المكان الذي منه يتفرقون ليبلغ الشاهد منهم الغائب ، وما المقتضي لنعي نفسه إليهم في مستهل خطابه ؟ إذ قال : «يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجيب ، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون» وأي أمر يُسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن تبليغه ؟ وتُسأل الأمة عن طاعتها فيه ؟

ولماذا سألهم فقال : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ولماذا أخذ حينئذ على سبيل الفور بيد علي فرفعها إليه حتى بان بياض إبطيه ؟ فقال : يا أيها الناس إن الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، ولماذا فسر كلمته ـ وأنا مولى المؤمنين ـ بقوله : وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟

ولماذا قال بعد هذا التفسير : فمن كنت مولاه فهذا مولاه ، أو من كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، ولِمَ خصَّه بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا أئمة الحق وخلفاءُ الصدق ؟؟

ولماذا أشهدهم من قبل ، فقال : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟

فقالوا : بلى . فقال : من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، أو من كنت وليه ، فعلي وليه ؟

ولماذا قرن العترة بالكتاب ؟ وجعلها قدوة لأولي الألباب إلى يوم الحساب ؟

وفيم هذا الإهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم ؟

وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها ؟

وما الغاية التي توخاها في هذا الموقف المشهور ؟

وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل : ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[1] وأي مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد ؟

واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد ؟

وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ؟

ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه ؟

أكنتم ـ بجدك لو سألكم عن هذا كله ـ تجيبونه بأن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إنما أرادا بيان نصرة علي للمسلمين وصداقته لهم ، ليس إلا ؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب ، ولا أتوهّم أنكم ترون مضمونه جائزاً على رب الأرباب ، ولا على سيد الحكماء ، وخاتم الرسل والأنبياء وأنتم أجل من أن يصرف همه كلها ، وعزائمه بأسرها إلى تبيين شيءٍ بيّنٍ لا يحتاج إلى بيان ، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان ، ولا شك أنكم تنزّهون أفعاله وأقواله عن أن تزدري بها العقلاءُ ، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماءُ بل لا ريب في أنكم تعرفون مكانة قوله وفعله من الحكمة والعصمة ، وقد قال الله تعالى ﴿إنه لقول رسولٍ كريم ذي قوة عند ذي

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون﴾[1] فيهتم بتوضيح الواضحات وتبيين ما هو بحكم البديهيات ، ويقدّم لتوضيح هذا الواضح مقدمات أجنبية ولا ربط له بها ولا دخل لها فيه ، تعالى الله عن ذلك ورسوله علواً كبيراً وأنت ـ نصر الله بك الحق ـ تعلم أن الذي يناسب مقامه في ذلك الهجير ويليق بأفعاله وأقواله يوم الغدير ، إنما هو تبليغ عهده ، وتعيين القائم مقامه من بعده ، والقرائن اللفظية ، والأدلة العقلية ، توجب القطع الثابت الجازم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ما أراد يومئذ إلا تعيين علي ولياً لعهده ، وقائماً مقامه من بعده ، فالحديث مع ما قد حفَّ به من القرائن نص جلي في خلافة علي لا يقبل التأويل ، وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل ، وهذا واضح **﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾**[2] .

أما القرينة التي زعموها فجزاف وتضليل ، ولباقة في التخليط والتهويل ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً إلى اليمن مرتين ، والأُولى كانت سنة ثمان وفيها أرجف المرجفون به وشكوه إلى النبي بعد رجوعهم إلى المدينة ، فأنكر عليهم ذلك حتى أبصروا الغضب في وجهه ، فلم يعودوا لمثلها ، والثانية كانت سنة عشر وفيها عقد النبي له اللواء وعمّمه صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، وقال له : إمض ولا تلتفت . فمضى لوجهه راشداً مهدياً ، حتى أنفذ أمر النبي ، ووافاه صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ، وقد أهلَّ بما أهلَّ به رسول الله فأشركه صلى الله عليه وآله وسلم بهديه ، وفي تلك المرة لم يرجف به مرجف ، ولا تحامل عليه مجحف ، فكيف يمكن أن يكون الحديث مسبباً عما قاله المعترضون ؟ أو مسوقاً للرد على أحد كما يزعمون . على أن مجرد التحامل على علي ، لا يمكن أن يكون سبباً لثناء النبي عليه ، بالشكل الذي أشاد به صلى الله عليه وآله وسلم على منبر الحدائج يوم خم ، إلا أن يكون ـ والعياذ بالله ـ مجازفاً في أقواله وأفعاله ، وهممه وعزائمه ، وحاشا قدسي حكمته

---

(١) سورة التكوير ؛ الآيات : ١٩ ـ ٢٢ .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ٣٧ .

البالغة ، فإن الله سبحانه يقول : **﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾** ولو أراد مجرد بيان فضله ، والرد على المتحاملين عليه ، لقال : هذا ابن عمي ، وصهري وأبو ولدي ، وسيد أهل بيتي ، فلا تؤذوني فيه ، أو نحو ذلك من الأقوال الدالة على مجرد الفضل وجلالة القدر . على أن لفظ الحديث لا يتبادر إلى الأذهان منه إلا ما قلناه ، فليكن سببه مهما كان ، فإن الألفاظ إنما تُحمل على ما يتبادر إلى الإفهام منها ، ولا يلتفت إلى أسبابها كما لا يخفى .

وأما ذكر أهل بيته في حديث الغدير ، فإنه من مؤيدات المعنى الذي قلناه ، حيث قرنهم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي . وإنما فعل ذلك لتعلم الأمة أن لا مرجع بعد نبيها إلا إليهما ، ولا معول لها من بعده إلا عليها وحسبك في وجوب إتباع الأئمة من العترة الطاهرة إقترانهم بكتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى ، لا يجوز الرجوع إلى إمام يخالف في حكمه أئمة العترة ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنهما لن ينقضيا أو لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، دليل على أن الأرض لن تخلو بعده من إمام منهم ، هو عدل الكتاب ، ومن تدبر الحديث وجده يرمي إلى حصر الخلافة في أئمة العترة الطاهرة ، ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض الخ . . . وهذا نص في خلافة أئمة العترة عليهم السلام. وأنت تعلم أن النص على وجوب إتباع العترة نص على وجوب إتباع علي ، وهو سيد العترة لا

(١) سورة الحاقة ؛ الآيات : ٤٠ ـ ٤٣ .

يدافع ، وإمامها لا ينازع ، فحديث الغدير وأمثاله ، يشتمل على النص على علي تارة ، من حيث أنه إمام العترة ، المنزّلة من الله ورسوله منزلة الكتاب ، وأُخرى من حيث شخصه العظيم وأنه ولي كل من كان رسول الله وليه ، انتهى كلام السيد (ره) .

أقول : وقد نظم الشعراء من المسلمين وغيرهم على اختلاف لغاتهم قصائد متينة فاخرة اشتهرت على مر القرون ، تعطر بها المحافل والنوادي ، وينشدها الغادي والبادي ، ويترنم بها الموالي والمغالي ، وقد ألّف علماؤنا موسوعات كبيرة تتضمن الكثير من أشعارهم وقصائدهم وتراجمهم ، ومن تلك الموسوعات موسوعة الغدير لشيخنا المفضال الحجة المرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني (قدس سرّه) ، فلقد كانت موسوعته إحدى مصادر حديثنا في هذه الليالي .

ومن جملة الذين نظموا واقعة الغدير هو سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد قال :

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة إبن أمّي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً ... على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خم

(الأبيات بصورة أُخرى) . أخرج الإمام علي بن أحمد الواحدي عن أبي هريرة قال : اجتمع عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير، والفضل بن عباس ، وعمار ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم ، فدخل عليهم علي عليه السلام فسألهم فيم أنتم ؟ قالوا : نتذاكر مناقبنا مما سمعناه من رسول

الله . فقال علي عليه السلام إسمعوا مني ثم أنشأ يقول :

لقد علم الأُناس بأن سهمي ... من الإسلام يفضل كل سهم
وأحمد النبي أخي وصهري ... عليه الله صلى وابن عمِّي
وإني قائد للناس طراً ... إلى الإسلام من عرب وعجم
وقاتل كل صنديد رئيس ... وجبار من الكفار ضخم
وفي القرآن ألزمهم ولائي ... وأوجب طاعتي فرضاً بعزم
كما هارون من موسى أخوه ... كذاك أنا أخوه وذاك إسمي
لذاك أقامني لهم إماماً ... وأخبرهم به بغدير خم
فمن منكم يعادلني بسهمي ... وإسلامي وسابقتي ورحمي
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإله غداً بظلمي
وويل ثم ويل ثم ويل ... لجاحد طاعتي ومريد هضمي
وويل للذي يشقى سفاهاً ... يريد عداوتي من غير جرمِ

ومنهم حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ذكر طائفة كبيرة من أعلام الإمامية والسنة أنه نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً يوم غدير خم بالخلافة قال حسان بن ثابت : يا رسول الله أقول في علي شعراً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إفعل ، فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخمٍ وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه ... بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهمُ ما أنزل الله ربهم ... إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه ... بكف علي معلن الصوت عاليا
فقال: فمن مولاكم ووليكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له : قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا : اللّهم والِ وليّه ... وكن للذي عادى علياً معاديا

فيا رب أنصر ناصريه لنصرهم إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

فلما فرغ حسان مؤيداً من هذا القول قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك .

كانت واقعة الغدير من أشهر الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين ، ولهذا روي عنهم ذلك نظماً ونثراً ، ويمكن لنا أن نقول : إن ثبوت الخلافة والولاية لعلي عليه السلام عند الصحابة كان كثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند المسلمين .

ومنهم : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج ، قام بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفين وقال :

قلت لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصـ ـرة بالأمس والحديث طويل

ويقول فيها :

وعلي إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي : من كنت مولا ه فهذا مولاه خطب جليل
إنَّ ما قاله النبي على الأُمة حتم ما فيه قال وقيل

ومنهم عمرو بن العاص العدو اللدود للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فلقد أشار في قصيدته الجلجلية إلى واقعة الغدير ، ومهما حاول العدو كتمان فضائل خصمه فإن الحق قد يطفح من لسانه ، قال في خطابه لمعاوية :

معاوية الحال لا تجهلِ وعن سبل الحق لا تعدلِ
نسيت إحتيالي في جلَّقٍ على أهلها يوم لبس الحلي

إلى أن يقول :

نصرناك من جهلنا يا بن هند على النبإ الأعظم الأفضل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفل

وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة في علي
وفي يوم خم رقى منبراً يبلِّغ والركب لم يرحل
وفي كفِّه كفُّه معلناً ينادي بأمر العزيز العلي
ألست بكم منكم في النفوس بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل
فأنحله إمرة المؤمنين من الله مستخلف المنحل
وقال: فمن كنت مولى له فهذا له اليوم نعم الولي
فوالِ مواليه يا ذا الجلا ل، وعاد معادي أخ المرسل
ولا تنقضوا العهد من عترتي فقاطعهم بي لم يوصل
فبخبَخ شيخك لما رأى عُرى عقد حيدر لم تحلل
فقال: وليكم فاحفظوه فمدخله فيكم مدخلي

إلى آخر القصيدة وهي ستة وستون بيتاً .

ومن شعراء القرن الثاني الذين تطرقوا إلى واقعة الغدير هو أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدي قال في عينيته :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهمٌّ يمتري منها الدموعا

إلى أن يقول :

لدى الرحمن يصدع بالمثاني وكان له أبو حسن قريعا
وأصفاه النبي على اختيار بما أعيى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خُمٍّ أبان له الولاية لو أُطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم أَر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكن أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلُّوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا

إلى آخر القصيدة .

ومنهم السيد إسماعيل بن محمد الحميري فقد ذكر قصة الغدير في كثير من قصائده فمنها قوله :

يا بايع الدين بدنياه ... ليس بهذا أمر الله
من أين أبغضت عليَّ الوصي ... وأحمد قد كان يرضاه
من الذي أحمد في بينهم ... يوم غدير الخم ناداه
أقامه من بين أصحابه ... وهم حواليه فسماه :
هذا علي بن أبي طالب ... مولى لمن قد كنت مولاه
فوال من والاه يا ذا العلا ... وعاد من قد كان عاداه

ومن قصائده :

هلا وقفت على المكان المعشب ... بين الطويلع فاللوى من كبكب

ويقول فيها :

وبخُمٍ إذ قال الإله بعزمه : ... قم يا محمد في البرية فاخطب
وانصب أبا حسن لقومك إنه ... هاد، وما بلَّغت إن لم تنصب
فدعاه ثم دعاهم فأقامه ... لهم، فبين مصدّقٍ ومكذب
جعل الولاية بعده لمهذب ... ما كان يجعلها لغير مهذب
وله مناقب لا ترام متى يرد ... ساعٍ تناول بعضها يتذبذب
إنا ندين بحب آل محمد ... ديناً ومن يحببهم يستوجب
منا المودة والولاءَ ومن يرد ... بدلاً بآل محمد لا يحبب
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد ... حوض الرسول وإن يرده يُضرب

إلى آخر القصيدة .

ومن فرائده القصيدة العينية المعروفة :

لأم عمروٍ باللوى مربعُ ... طامسة أعلامها بلقع

إلى أن يقول :

عجبت من قوم أتوا أحمدا … بخطبة ليس لها موضع

قالوا له : لو شئت أعلمتنا … إلى من الغاية والمفزع؟

إذا توفيت وفارقتنا … وفيهم في الملك من يطمع؟

فقال : لو أعلمتكم مفزعاً … كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا

صنيع أهل العجل إذ فارقوا … هارون فالترك له أوسع

وفي الذي قال بيان لمن … كان إذا يعقل أو يسمع

ثم أتته بعد ذا عزمة … من ربه ليس لها مدفع :

بلّغ وإلا لم تكن مبلغاً … والله منهم عاصم يمنع

فعندها قام النبي الذي … كان بما يأمر به يصدع

يخطب مأموراً وفي كفه … كف علي ظاهر تلمع

رافعها ، أكرم بكف الذي … يَرفع والكف الذي تُرفع

يقول والأملاك من حوله … والله فيهم شاهد يسمع :

من كنت مولاه فهذا له … مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

فاتهموه وحنت فيهم … على خلاف الصادق الأصلع

وضلّ قوم غاظهم فعله … كأنما آنافهم تجدع

حتى إذا واروه في لحده … وانصرفوا عن دفنه ضيعوا

ما قال بالأمس وأوصى به … واشتروا الضر بما ينفع

إلى آخر القصيدة وهي أربعة وخمسون بيتاً .

عيد الغدير :

الأعياد الدينية والوطنية لها أهمية كبرى عند الأمم ، وتهتم لها بمقدار تلك المناسبة من طقوس دينية وعادات وتقاليد محلية وشعبية ، وأصول وقواعد تنسجم مع ذلك العيد .

ومناسبة عيد الغدير كانت ولا تزال ذات أهمية عظيمة عند الله تعالى وعند رسوله وأهل البيت عليهم السلام وبقية المسلمين .

أما الأهمية عند الله تعالى ، فهو يوم توّج الله فيه علياً بالخلافة والولاية ، ونزل جبرئيل من عند الله مهنئاً الرسول الأعظم بالتتويج بقوله عز من قائل : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[1] .

حتى روى الحافظ أبو سعيد في كتابه (شرف المصطفى) عن أحمد بن حنبل وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ـ يوم الغدير ـ: هنئوني ، إن الله تعالى خصني بالنبوة وخصَّ أهل بيتي بالإمامة .

وعلى هذا كان كل من الشيخين : أبي بكر وعمر يهنيءُ علياً بقوله : «طوبى لك . أو : بخ بخ . أو : هنيئاً لك ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» كما ذكره زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية والدارقطني كما في شرح المواهب .

وقد روى فرات بن إبراهيم الكوفي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يوم غدير خم أفضل أعياد أُمتي ، وهو اليوم الذي أمرني الله (تعالى ذكره) بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمتي يهتدون به من بعدي ، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين ، وأتمَّ على أُمتي فيه النعمة ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

واقتفى الأئمة الطاهرون نهج جدهم الرسول الأعظم في تعظيم هذا اليوم وكثرة الاهتمام به ، كما روي عن فرات بن أحنف عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت : جُعلتُ فداك ، للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة ؟ قال : فقال لي : نعم ، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين ، وأنزل على نبيه محمد : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾** قال : قلت : وأي يوم هو؟ قال : إن أنبياء

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمـامة من بعـده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً ، وإنه اليوم علماً ، وأنزل فيه ما أنـزل . وكمل فيه الدين ، وتمت فيه النعمة على المؤمنين .

قـال : قلت : وأي يوم هـو في السنة ؟ فقـال لي : إن الأيـام تتقـدم وتتأخر ، وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخـر الأيام السبعـة قال قلت : فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم ؟ قال : هـو يوم عبـادة وصلاة وشكر لله وحمد له ، وسرور لمـا منّ الله به عليكم من ولايتنـا ، فإني أُحب لكم أن تصوموا .

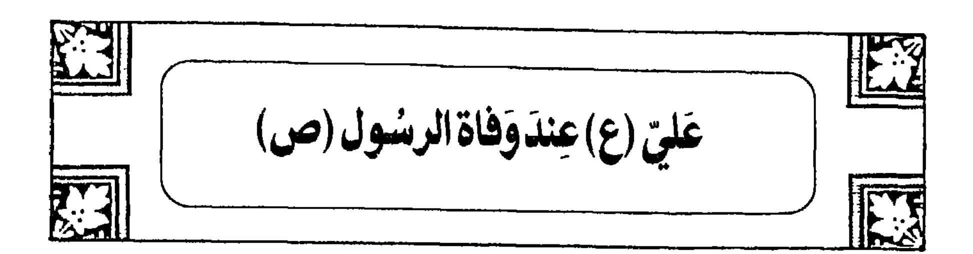
والروايات في هذا الباب كثيرة جداً ، وكـانت ولا تزال الشيعـة تجعل هذا اليوم عيداً في العراق وإيران والهند وباكستان وسوريا ولبنان وغيرهـا من البلاد التي يقطن فيها عدد من الشيعة .

وكانت البلاد المغربية في عهـد الأدارسة والفـاطميين وغيرهم تحتفـل في هذا اليوم سروراً وبهجة وتشترك الحكومة والشعب في ذلك .

ولكن بمرور الزمان وتطور الأحـوال أصبح هـذا العيد نسيـاً منسياً في بعض البلاد العربية الأفريقية .

وإنني أعتقـد أن الإهتمام بهـذا العيد أولى من بقيـة الأعياد ، وإقـامة الحفـلات في هذه المنـاسبة السعيـدة أحرى من أيـة منـاسبـة أُخـرى . لأن المناسبة مهمة جداً ، وتسترعي الإنتباه والعناية والرعاية أكثر وأكثر .

الليلة الثانية عشرة



عليّ (ع) عند وفاة الرسول (ص)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين .

قال الله تبارك وتعالى : **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾** (١) .

لقد ذكرنا من أول الشهر إلى الليلة الماضية شيئاً من اختصاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث الانضمام والتربية والتأديب والتوجيه والأُخوة والنفس وسائر الخصائص التي اختص بها كحديث الطائر المشوي وسد الأبواب وغير ذلك .

والليلة حديثنا حول وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموقف الإمام من تلك الفاجعة العظمى والمصيبة الكبرى التي لم يشهد التاريخ مثلها ، فقد مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة ، وكان النبي ينعى نفسه إلى أصحابه وأهل بيته وزوجاته ، ويخبرهم أن تلك السنة آخر سنوات حياته الشريفة المباركة ، وأن شمس وجوده قد اقتربت من الغروب ، ولهذا

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤ .

قـام بتعيين الخليفـة والإمـام القـائم مقـامـه ، وقـد تقـدم الكـلام في الليلة الماضية حول واقعة الغدير .

من جملة الأحكـام الشرعيـة والتعـاليم الإسـلاميـة هـو الـوصيـة عنـد الإحسـاس بخطر الـوفـاة ، قـال تعـالى : ﴿كتب عليكم إذا حضـر أحـدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾ [1] .

فهـل من المعقول أن يمـوت صاحب الشـريعة الإسـلاميـة والمقتـدى لقوافل المسلمين على مر القرون والأجيال ـ بلا وصية ؟؟

هل يمكن أن يأمر النبي أُمته بالوصية ويتركها هو؟ وعمله حجـة وسنة يـأخـذ بهـا المسلمـون ؟ وهـو القـائـل : «من مـات بـلا وصيـة مـات ميتـة جاهلية» .

إن الأخبـار والأحـاديث والنصـوص الـواردة حـول وصيـة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستفيضة متواترة ، وقد زعم بعض الناس أن رسول الله مات بلا وصية وهم يبتغون من وراء هذا الافتراء تبرير مواقف بعض الأفراد ، ولا يهمهم تشويه سمعة النبي والمس بكرامته والحط من مقامه .

وللمـرحـوم السيـد عبـد الحسين شـرف الـدين كـلام قيّم حـول هـذا الموضوع نقتطف منه محل الحاجة ، قال ـ تغمّده الله برحمته ـ:

ونصوص الوصية متواترة ، عن أئمة العتـرة الطاهـرة ، وحسبـك ممـا جاء من طريق غيرهم في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ برقبة علي : «هـذا أخي ووصيي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا» .

رواه محمد بن حميد الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لـكـل نـبـي وصـي ووارث ، وإن وصـيـي ووارثـي عـلي بـن أبـي طالب عليه السلام» اهـ .

---

(1) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٠ .

وروى الطبراني في الكبير بالإسناد إلى سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن وصيي وموضع سري ، وخير من أترك بعدي ، ينجز عدتي ، ويقضي ديني ، علي بن أبي طالب عليه السلام» ، وهذا نص في كونه الوصي ، وصريح في أنه أفضل الناس بعد النبي ، وفيه من الدلالة الإلتزامية على خلافته ، ووجوب طاعته ، ما لا يخفى على أولي الألباب .
وأخرج أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء عن أنس ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أنس أول من يدخل عليك هذا الباب : إمام المتقين ، وسيد المسلمين . قال أنس : فجاء علي فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مستبشراً فاعتنقه وقال له : أنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي .

وأخرج الطبراني في الكبير بالإسناد إلى أبي أيوب الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال : يا فاطمة ، أما علمت أن الله عز وجل إطلع على أهل الأرض ، فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار بعلكِ ، فأوحي إليَّ فأنكحته واتخذته وصياً .

أنظر كيف اختار الله علياً من أهل الأرض كافة بعد أن اختار منهم خاتم أنبيائه ، وانظر إلى اختيار الوصي وكونه على نسق اختيار النبي ، وانظر كيف أوحى الله إلى نبيه أن يزوجه ويتخذه وصياً ، وانظر هل كانت خلفاءُ الأنبياء من قبل إلا أوصياؤهم ، وهل يجوز تأخير خيرة الله من عباده ، ووصي سيد أنبيائه ، وتقديم غيره عليه ، وهل يمكن عقلاً أن يكون طاعة ذلك المتولي الحكم عليه ، فيجعله من سوقته ورعاياه ؟ وهل يمكن عقلاً أن تكون طاعة ذلك المتولي واجبة على هذا الذي اختاره الله كما اختار نبيه ؟ وكيف يختاره الله ورسوله ثم نحن نختار غيره **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾**[1] .

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

وقد تضافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيزوج علياً من بضعته الزهراء ـ وهي عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة ـ حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر ، ولا سيما بعد أن خطبها مَن خطبها فلم يفلح ، وقالوا : إن هذه ميزة يظهر بها فضل علي ، فلا يلحقه بعدها لاحق ولا يطمع في إدراكه طامع ، فأجلبوا بما لديهم من إرجاف وعملوا لذلك اعمالاً ، فبعثوا نساءهم إلى سيدة نساء العالمين ينفرنها ، فكان مما قلن لها : إنه فقير ليس له شيءٌ ، لكنها عليها السلام لم يخفِ عليها مكرهن ، وسوءَ مقاصد رجالهن ، ومع ذلك لم تبدِ لهن شيئاً يكرهنه ، ثم ما أراده الله عز وجل ورسوله لها ، وحينئذ أرادت أن تظهر من فضل أمير المؤمنين ما يخزي الله به أعداءه ، فقالت : يا رسول الله زوجتني من فقير لا مال له ؟ فأجابها صلى الله عليه وآله وسلم بما سمعت .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وأخرج الخطيب في المتفق بسنده المعتبر إلى ابن عباس ، قال : لما زوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة من علي ، قالت فاطمة : يا رسول الله زوجتني من رجل فقير ليس له شيءٌ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين ، أحدهما أبوك والآخر بعلك . ا هـ.

وأخرج الحاكم في مناقب علي ص ١٢٩ الجزء الثالث من المستدرك عن طريق سريج بن يونس ، عن أبي حفص الابار ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قالت فاطمة : يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لا مال له ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل إطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين ، أحدهما أبوك والآخر بعلك ، ا هـ.

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً ، وأعلمهم علماً ، وأنك سيدة نساء أمتي ، كما سادت مريم نساء قومها ، أما ترضين يا فاطمة أن الله إطلع على أهل

الأرض فاختار منهم رجلين ، فجعل أحدهما أباك ، والآخر بعلك ، ا هـ.

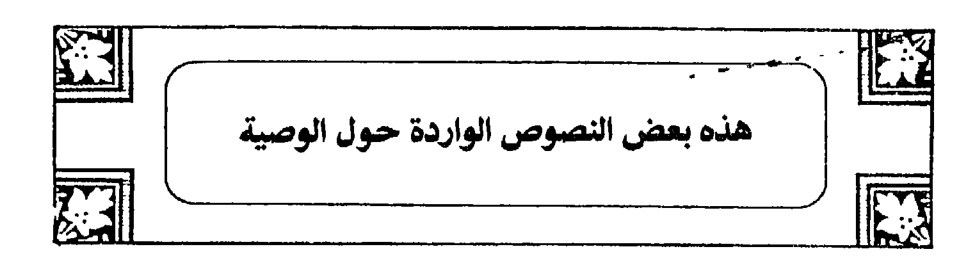
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا إذا ألمَّ بسيدة النساء من الدهر لممٌ يذكِّرها بنعمة الله ورسوله عليها ، إذ زوّجها أفضل أُمته ، ليكون ذلك عزاءً لها ، وسلوة عما يصيبها من طوارق الدهر ، وحسبك شاهداً لهذا ما أخرجه الإمام أحمد في ص ٢٦ من الجزء الخامس من مسنده من حديث معقل بن يسار ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاد فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها : كيف تجدينك ؟ قالت : والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي ، قال صلى الله عليه وآله وسلم أما ترضين أني زوجتك أقدم أُمتي سلماً وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً ، ا هـ.

الوصية بصورة أُخرى :

وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي لا يمكن جحودها ، إذ لا ريب في أنه عهد إليه ـ بعد أن أورثه العلم والحكمة ـ بأن يغسله ، ويجهزه ويدفنه ، ويفي دينه ، وينجز وعده ، ويؤدي دينه ويواريه في حفرته ، أخرجه الديلمي وهو الحديث ٢٥٨٣ ج ٦ من الكنز ، وعن عمر من حديث قال فيه رسول الله لعلي : وأنت غاسلي ودافني الحديث ، في ص ٣٩٣ ج ٦ في الكنز ، وفي هامش ص ٤٥ ج ٥ من مسند أحمد ، وعن علي : سمعت رسول الله ، يقول : أُعطيت في علي خمساً لم يعطها نبي في أحد قبلي ، أما الأُولى فإنه يقضي ديني ، ويواريني . . . الحديث في أول ص ٤٠٣ ج ٦ من الكنز ، ولما وضع على السرير وأرادوا الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، قال علي : لا يؤم على رسول الله أحد ، هو إمامكم حياً وميتاً ، فكان الناس يدخلون رسلاً رسلاً ، فيصلُّون صفاً صفاً ، ليس لهم إمام ويكبِّرون ، وعلي قائم حيال رسول الله يقول : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزلت إليه ، ونصح لأُمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله عز وجل دينه ، وتمت كلمته ، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله إليه ، وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه ، فيقول الناس : آمين آمين ، حتى

صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، روى هذا كله باللفظ الذي أوردناه ابن سعد عند ذكره غسل النبي من طبقاته ، وأول من دخل على رسول الله يومئذ بنو هاشم ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار ثم الناس ، وأول من صلى عليه علي والعباس وقفا صفاً وكبرا عليه خمساً .

إلى هنا انتهى كلام سيدنا شرف الدين رحمه الله .



هذه بعض النصوص الواردة حول الوصية

وأما ما ذكره الشعراء في القرن الأول من المهاجرين والأنصار والتابعين حول وصاية أمير المؤمنين عليه السلام فلا مجال لبيان تلك الأبيات الشعرية والأراجيز التي تتضمن هذا الأمر .

والآن ننتقل إلى حديث وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيام الإمام بإنجاز وصاياه ، وقد ذكرنا فيما سبق أن علياً كان أول الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيظهر اليوم أنه كان آخر الناس عهداً به . وفي كتاب أبي إسحاق قال : دخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثقل (اشتد مرضه) ، فقال : يا رسول الله متى الأجل ؟ قال : قد حضر قال أبو بكر : الله المستعان على ذلك فإلى ما المنقلب ؟ قال : إلى السدرة المنتهى وجنة المأوى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش المهنى ، قال أبو بكر : فمن يلي غسلك ؟ قال رجال أهل بيتي ، الأدنى فالأدنى قال : ففيم نكفنك ؟ قال : في ثيابي هذه التي عليَّ أو في حلة يمانية أو في بياض مصر قال : كيف الصلاة عليك ؟ فارتجت الأرض بالبكاء فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهلاً ، عفا الله عنكم ، إذا غُسلت فكُفِّنت فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم أخرجوا عني فإن الله تبارك وتعالى أول من يصلي علي ثم يأذن الملائكة في الصلاة علي فأول من ينزل

جبرئيل عليه السلام ثم إسرافيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت عليه السلام في جنود كثير من الملائكة بأجمعها ثم أدخلوا علي زمرة زمرة ، فصلُّوا عليَّ وسلموا تسليماً ولا تؤذوني وليبدأ بالصلاة عليّ الأدنى فالأدنى من أهل بيتي ثم النساء ثم الصبيان زمراً .

قال أبو بكر : فمن يدخل قبرك ؟ قال : الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم ، قوموا فأدّوا عني إلى من ورائكم ؟ فقلت للحرث بن مرة : من حدّثك هذا الحديث ؟ قال : عبد الله بن مسعود . عن علي عليه السلام قال : كان جبرئيل ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي قبض فيه كل يوم وفي كل ليلة ، فيقول : السلام عليك إن ربك يقرؤك السلام فيقول : كيف تجدك ؟ وهو أعلم بك ولكنه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً إلى ما أعطاك على الخلق ، وأراد أن يكون عيادة المريض سنة في أُمتك ، فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ إن كان وجعاً ـ: يا جبرئيل أجدني وجعاً فقال له جبرئيل : إعلم يا محمد إن الله لم يشدّد عليك وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك ، ولكنه أحب أن يسمع صوتك ودعاك حتى تلقاه مستوجباً للدرجة والثواب الذي أعدَّ لك ، والكرامة والفضيلة على الخلق ، وإن قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجدني مريحاً في عافية . قال له : فاحمد الله على ذلك فإنه يحب أن تحمد وتشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيراً فإنه يحب أن يُحمد ويزيد من شكر .

قال : وإنه نزل عليه في الوقت الذي كان ينزل فيه فعرفنا حسه فقال علي عليه السلام : فيخرج من كان في البيت غيري ؟ فقال له جبرئيل : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويسألك وهو أعلم بك كيف تجدك ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أجدني ميتاً . قال له جبرئيل : يا محمد أبشر فإن الله إنما أراد أن يبلغك بما تجد ما أعدَّ لك من الكرامة . قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن ملك الموت استأذن عليَّ فأذنت له ، فدخل واستنظرته مجيئك فقال له : يا محمد إن ربك إليك مشتاق فما استأذن ملك الموت على أحد قبلك ولا

يستأذن على أحد بعدك . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبرح يا جبرئيل حتى يعود ، ثم أذن للنساء فدخلن فقال لإبنته : ادني مني يا فاطمة فأكبت عليه فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً فقال لها : أُدني مني فدنت منه فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك ، فتعجبنا لما رأينا فسألناها فأخبرتنا أنه نعى نفسه فبكيت فقال : يا بنية لا تجزعي فإني سألت ربي أن يجعلك أول أهل بيتي لحاقاً بي فأخبرني أنه قد استجاب لي فضحكت ، قال : ثم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام فقبلهما وشمهما وجعل يترشفهما وعيناه تهملان .

في علل الشرائع : عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة دعا العباسَ بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال للعباس : يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته ؟ فرد عليه وقال : يا رسول الله : أنا شيخ كبير كثير العيال ، قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري الريح ؟ قال : فأطرق هنيئة ثم قال : يا عباس أتأخذ تراث رسول الله وتنجز عداته وتؤدي دينه . فقال : بأبي أنت وأُمي أنا شيخ كبير كثير العيال قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري الريح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما إني سأعطيها من يأخذ بحقها . ثم قال : يا علي يا أخا محمد أتنجز عداة محمد وتقضي دينه وتأخذ تراثه ؟ قال : نعم بأبي أنت وأُمي . فنزع خاتمه من إصبعه فقال : تختم بهذا في حياتي فوضعه علي عليه السلام في إصبعه اليمنى فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بلال عليّ بالمغفر والدرع والراية وسيفي : ذي الفقار وعمامتي : السحاب والبرد والأبرقة والقضيب .

فقال : يا علي إن جبرئيل أتاني بها . فقال : يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستوفر بها مكان المنطقة ثم دعا بزوجي نعال عربيين إحداهما مخصوفة والأُخرى غير مخصوفة ، والقميص الذي أُسري به فيه ، والقميص الذي خرج فيه يوم أُحد والقلانس الثلاث قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين وقلنسوة كان يلبسها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بلال عليّ بالبغلتين : الصهباء والدّلدل والناقتين : العضباء والصهباء والفرسين الجناح الذي كان يوقف بباب مسجد رسول الله لحوائج الناس ، يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل في حاجته فيركبه وحيزوم وهو الذي يقول أقدم حيزوم . والحمار اليعفور . ثم قال : يا علي إقبضها في حياتي حتى لا ينازعك فيها أحد بعدي .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة عليها السلام بأبي وأمي أنت !!! أرسلي إلى بعلك فادعيه لي . فقالت فاطمة للحسين عليه السلام : إنطلق إلى أبيك فقل : يدعوك جدي . فانطلق إليه الحسين فدعاه فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام عنده وهي تقول : واكرباه لكربك يا أبتاه . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة ، إن النبي لا يشق عليه الجيب ، ولا يخمش عليه الوجه ، ولا يدعى عليه بالويل ولكن قولي كما قال أبوك على إبراهيم : تدمع العينان وقد يوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون . ولو عاش إبراهيم لكان نبياً . ثم قال : يا علي أدن مني . فدنا منه فقال أدخل أذنك في فيَّ . ففعل . فقال : يا أخي ألم تسمع قول الله في كتابه **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾**[1]؟ قال: بلى يا رسول الله . قال : هم أنت وشيعتك يجيئون غراً محجلين ، شباعاً مرويين ، أولم تسمع قول الله في كتابه **﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾**[2]؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : هم أعداؤك وشيعتهم ، يجوزون يوم القيامة ظماء مظمئين ، أشقياء معذبين ، كفار منافقين ، ذلك لك ولشيعتك ، وهذا لعدوك ولشيعتهم .

ولما حضره الموت كان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً عنده فلما قرب

---

(١) سورة البينة ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة البينة ؛ الآية : ٦ .

خروج نفسه ﷺ قال له : ضع يا علي رأسي في حجرك فقد جاء أمر الله تعالى فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثم وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري وصلّ عليّ أول الناس ، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي ، واستعن بالله تعالى . فأخذ علي (عليه السلام) رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه فأكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينه ، وقال بصوت ضئيل : يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾**(١) فبكت طويلاً وأومأ إليها بالدنوِ منه فدنت منه فأسرَّ إليها شيئاً تهلل وجهها له .

ثم قُبض ﷺ ويد أمير المؤمنين (عليه السلام) تحت حنكه ففاضت نفسه ﷺ فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ، ثم وجَّهه وغمضه ومدَّ عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره .

وقال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي (عليه السلام) أن لا يغسلني غيرك فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله مَن يناولني الماءَ ؟ إنك رجل ثقيل لا أستطيع أن أُقلِّبك ؟ فقال : جبرئيل معك يعاونك ، ويناولك الفضل الماء ، وقل له فليُغمِض عينيه ، فإنه لا أحد يرى عورتي غيرك إلا انفقأت عيناه .

كان الفضل بن العباس يناوله الماء وجبرئيل يعاونه ، وعلي يغسله ، فلما أن فرغ من غسله وكفنه أتاه العباس فقال : يا علي إن الناس قد اجتمعوا على أن يدفن النبي ﷺ في بقيع المصلّى ، وأن يؤمّهم رجل منهم ، فخرج علي إلى الناس فقال : يا أيها الناس : أما تعلمون أن رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً ؟ وهل تعلمون أنه ﷺ لعن من جعل القبور مصلّى ؟ ولعن من

---

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤ .

يجعل مع الله إلهاً ؟ ولعن من كسر رباعيته وشق لثته ؟ فقالوا : الأمر إليك فاصنع ما رأيت . فقال : إني أدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البقعة التي قبض فيها . ثم قام على الباب فصلى عليه ثم أمر الناس عشرة عشرة يصلون عليه ثم يخرجون .

لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام غُسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استدعى الفضل بن العباس فأمره أن يناوله الماء لغسله فغسله بعد أن عصَّب عينيه ، ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ به إلى سرته وتولى عليه السلام غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يعطيه الماء ويعينه عليه فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده ، ولم يشترك معه أحد في الصلاة عليه ، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم بالصلاة عليه ، وأين يدفن ، فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامنا حياً وميتاً فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام ، وينصرفون ، وإن الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه ، وإني لدافنه في حجرته التي قبض فيها . فسلم القوم لذلك ورضوا به ، ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح ، وكان ذلك عادة أهل مكة ، وأنفذ (أرسل) إلى زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد ، فاستدعاهما وقال : اللهم خر لنبيك . فوجد أبو طلحة فقيل له : إحفر لرسول الله . فحفر له لحداً ، ودخل أمير المؤمنين والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأُسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادت الأنصار من وراء البيت : يا علي إنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب ، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ليدخل أنس بن خولي وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج ، فلما دخل قال له علي عليه السلام إنزل القبر . فنزل ووضع أمير المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يديه ودلاَّه في حفرته ، فلما حصل في الأرض قال له أُخرج . فخرج ونزل علي عليه السلام إلى القبر ، فكشف عن وجه

رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووضع خـدّه على الأرض موجهـاً إلى القبلة على يمينه ثم وضع عليه اللِبن وأهال عليه التراب .

وكان علي عليه السلام يرثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول :

الـمـوت لا والـداً يُبـقـي ولا ولـداً ... هــذا السبيـل إلى أن لا تــرى أحـدا
هــذا الـنـبـي ولـم يـخـلد لأُمـتـه ... لـو خـلّد الـلـه خـلقـاً قـبـلـه خـلدا
للمـوت فينـا سهـام غيـر خـاطئـة ... من فـاتـه اليـوم سهم لم يفتـه غـدا

وكان عليه السلام يصلح قبر رسـول الله بمسحاتـه ، وكانت وفـاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة العـاشرة من الهجـرة كما هو مشهور عند أهل بيته عليهم وعليه السلام .

عَليّ (ع) في مصِيبَة الزهرَاء

كـانت مصيبـة وفـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أوجـع الفجـائـع على قلب علي عليه السلام ولـولا إيمـان علي وصبـره على المصيبـة لمـات حـزنـاً في تلك المأساة ، إذ ما فارق الحزن قلب علي عليه السلام حتى فارق الحياة ، فسرعان ما ابيضت لحيتـه الكـريمـة فقيـل لـه : لـو غيّـرت شيبـك يـا أميـر المؤمنين . فقـال عليه السلام : الخضاب زينـة ونحن قوم في مصيبـة . يريـد بها وفـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم يختضب الإمام طيلة أيام حياته لهذا السبب ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبـره بخضـاب خـاص ، فقـد روى ابـن نبـاتـة قـال : قـلت لأميـر المؤمنين عليه السلام : ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : أنتـظر أشقاهـا أن يخضب لحيتي من دم رأسي ، بعهـد معهـود أخبـرني بـه حبيبي رسول الله .

ولما فارق النبي الحيـاة وهو بعـد لم يدفن اجتمـع الناس في مـوضع يقال له (السقيفة) وقد رشح سعد بن عبادة نفسه للإمارة وهو سيد الخزرج ،

وأسيد بن حصين أو بشير بن سعد قد رشح نفسه أيضاً لأنه سيد الأوس ، وبين الأوس والخزرج عداءٌ وتنافس قديم .

ودخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في ذلك المجتمع واستمعوا إلى كلام المرشحين للإمارة والرئاسة ، وتكلَّم أبو بكر ودعا الناس إلى عمر أو أبي عبيدة ، وامتنع الرجلان أن يتقدما أبا بكر لأنه صاحب الغار ، وجرى كلام ونزاع طويل واصطدام عنيف فيما بين المهاجرين والأنصار وبين أبي بكر وأهل السقيفة ، حتى آل الأمر إلى التهديد والشتم .

وهنا انتهز رئيس الأوس الفرصة ، وتضعيفاً لجانب سعد بن عبادة (منافسه) وافق على تأمير أبي بكر ، وضم صوته إلى صوت عمر وأبي عبيدة وقال : أنا ثالثكما . ولما رأى الأوس سيدهم انحاز إلى تلك الناحية اتبعوا رئيسهم ، وأقبلوا إلى أبي بكر وبايعوه ، وكاد سعد بن عبادة يموت تحت الأقدام ، فصاح : قتلتموني . فصاح عمر : أُقتلوا سعداً قتله الله .

وهكذا وقع الانتخاب ، وبويع لأبي بكر بالخلافة ، وذهبت مساعي النبي (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح ، وصارت تلك الجهود هباءً منثوراً .

وحدثت حوادث مؤلمة مشجية لا نذكرها تحفظاً على العواطف أن تخدش ، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة في الآلاف المؤلفة من كتب الحديث والتاريخ ، ومشهورة عند المسلمين .

ونذكر جملة عن موقف الإمام في ذلك العهد : فلقد أخذوا البيعة من الناس لأبي بكر ، وجاؤا إلى علي ليخرجوه من البيت ليبايع لأبي بكر فلم تأذن لهم فاطمة بالدخول في بيتها ، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا علياً بعد أن خلعوا عنه سلاحه وأخرجوه من البيت يريدون به المسجد ، وخرجت فاطمة خلفهم وهي بأشد الأحوال ، إذ أنها أجهضت جنينها فكأنها نسيت آلامها فجعلت تعدو وتصيح : خلوا عن ابن عمي ؟ خلوا عن

بعلي ! والله لأكشفن عن رأسي ولأضعن قميص أبي على رأسي وأدعو عليكم !!!

ووصلت إلى باب المسجد فرأت منظراً مؤلماً لا نستطيع أن نصفه إلا أنها استطاعت أن تخلِّص زوجها من أيدي الناس وتحول بينهم وبين أخذ البيعة منه ، ورافقت زوجها إلى البيت سالماً .

اظلمَّت الدنيا في عين علي عليه السلام وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، لأنه فقد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومصيبة النبي أعظم مصيبة على قلب كل أحد ، ولم تنته الكارثة ، فقد خيمت الأحزان على بيت علي ، وانقلب البيت إلى مجلس عزاء وحزن وبكاء ، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا تفارق البكاء على وفاة أبيها وعلى مصائبها ونوائبها التي استولت على قلبها المجروح ، ولم تجد من الناس أي تعزية وتسلية .

ومما زاد في حزنها إخراج أراضيها (فدك) من يدها وهناك قضايا وقضايا ساعدت على انحراف صحة فاطمة ، واشتداد علتها واستيلاء الهزال عليها ، فكانت تبكي ليلها ونهارها ، ومنعوها عن البكاء ، فكانت تخرج إلى قبر حمزة سيد الشهداء أو إلى البقيع أو إلى بيت بناه لها أمير المؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان) وعاشت بعد أبيها مظلومة مهضومة باكية العين محترقة القلب منهدة الركن معصبة الرأس حليفة الفراش عليلة مريضة .

ودخل عليها علي عليه السلام قبل وفاتها فوجدها تغسل ثياب أولادها وتغسل رؤوسهم فسألها عما دعاها إلى العمل المجهد ؟

فقالت : يا ابن عم إنه قد نعيت إليَّ نفسي ، وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ، ساعة بعد ساعة ، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي .

قال لها علي عليه السلام : أُوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله . فجلس عند رأسها ، وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت : يا ابن عم ما عهدتني

كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني !!!

قال علي عليه السلام : معاذ الله ! أنتِ أعلم بـالله ، وأبر وأتقى وأكـرم وأشد خوفاً من الله من أن أُوبّخك بمخالفتي ، وقد عزَّ عليّ مفارقتك وفقدك ، إلا أنـه أمر لا بـدَّ منه ، والله لقـد جـدّدت عليّ مصيبـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقـد عظمت وفاتـك وفقدك ، فـإنا لله وإنا إليه راجعـون ، من مصيبة مـا أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها !! هذه والله مصيبة لا عـزاء عنها ، ورزيـة لا خلف لها .

ثم بكيـا جميعـاً ، وأخـذ علي رأسهـا وضمّهـا إلى صـدره ثم قـال : أُوصيني بما شئت ، فإنـك تجديني وفيـاً ، أُمضي كل مـا أمرتني بـه وأختار أمرك على أمري .

فقالت : جزاك الله عني خيـر الجزاء ، يـا ابن عم أوصيك أولاً : أن تتزوج بعدي بإبنة أُختي أمامة ، فإنها تكون لولدي مثلي ، فإن الرجال لا بدَّ لهم من النساء .

أُوصيك يا ابن عم : أن تتخـذ لي نعشاً فقـد رأيت الملائكـة صوروا لي صورته ، فقال لها : صِفِيهِ لي . فوصفته ، فاتخذه لها .

ثم قالت : أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فـإنهم عدوي وعـدو رسول الله ، ولا تتـرك أن يصلي عليّ أحد منهم ، ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار . إلى آخـر وصاياها . . . .

ثم فارقت روحها الحيـاة ، وانتشر الخبـر ، فصاح أهـل البيت صيحة واحدة ، واجتمعت نساءُ بني هاشم في دارهـا فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن .

وازدحم الناس على باب بيت الإمام ينتظرون خروج الجنازة ، فخرج أبو ذر ونادى : إنصرفوا فإن إبنة رسول الله قد أُخِّر إخراجها هذه العشية .

فتفرق الناس ، وجنَّ الليل ، ومضى شطر منه ، فقام علي عليه السلام وغسل إبنة رسول الله من على ثيابها وحنَّطها بفاضل حنوط أبيها رسول الله وكفنها في أكفانها ، ثم أرسل إلى عمار والمقداد وسلمان وأبي ذر وعقيل والزبير وبريدة ونفر من بني هاشم فلما حضروا صلَّى عليها علي ودفنوها ، ولم يعلم أحد حتى اليوم أين دفنوها ؟ ولا يعرف أحد موضع قبرها ، ففي البقيع قبر ينسب إليها ، وبين منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبره قول عند المحدثين ، والله العالم بموضع قبرها ، وسيبقى قبرها مجهولاً عند الناس إلى يوم القيامة .

ولعل في هذا الكتمان أسراراً تستدعي إنتباه المسلمين للتحري عن السبب المبرر لتلك الوصية ، ولعل هذا الإخفاء رمز يرمز إلى معاني وأُمور يعرفها الفطن الذكي .

وقد اختلف المسلمون في المدة التي عاشت فيها فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقيل : عاشت بعد أبيها أربعين يوماً ، أو خمساً وسبعين ، أو خمساً وتسعين يوماً ، أو ستة أشهر ، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

انهد ركنا الإمام بفقد الزهراء سيدة النساء وازدادت مصيبته بأطفاله الأربعة : (الحسن والحسين وزينب وأُم كلثوم) الذين فقدوا أُمهم في عنفوان شبابها بعد أن فُجعوا بجدهم البار العطوف الذي كان يمطر عليهم حنانه الأبوي ويشملهم عطفه النبوي .

ومما زاد في أحزان الإمام وبلغ به الإضطهاد أقصى درجة هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سرية ، كمباشرته تغسيلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها سراً لا جهاراً وليلاً لا نهاراً ، وإخفاء موضع قبرها ، وغير ذلك من الأُمور التي كان من الصعب المستصعب على قلب الإمام تنفيذها وإنجازها .

فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها إمرأة غريبة لا يعرفها أحد ، وكأنها

ليست ببضعة رسول الله وحبيبته ، وإبنته الوحيدة !!

وكان الإمام عليه السلام يتجلد في تلك المصيبة رعاية ليتامى فاطمة ، إلى أن دفنها في تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يطلع عليه أحد ، فيكون سبباً للحيلولة دون تطبيق وصايا فاطمة وتنفيذها ، إلى أن أدى جميع الوصايا كما ينبغي ، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك من إبنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك ، النازلة بجوارك ، المختار لها الله سرعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة النساء تجلدي ، إلا أن لي في التأسي بسنتك والحزن الذي حلَّ بي لفراقك موضع التعزي ولقد وسّدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري ، وغمضتك بيدي ، وتوليت أمرك بنفسي .

نعم ، وفي كتاب الله أنعم القبول ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأُخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء !! يا رسول الله : أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمدٌ مقيّح وهمٌّ مهيج ، سرعان ما فرّق الله بيننا ، إلى الله أشكو ، وستنبئك إبنتك بتظاهر أُمتك عليّ ، وعلى هضمها حقها ، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها ، لم تجد إلى بثه سبيلاً ، وستقول ، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله ، سلام مودّع لا سَئِيمٍ ولا قالٍ ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين علينا ، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، والتلبث عنده عكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن إبنتك سراً ، ويهتضم حقها قهراً ، ويمنع إرثها

جهراً ، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله ـ يا رسول الله ـ المشتكى ، وفيك أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته .

ثم جعل يقول :

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وينسب إليه عليه‌السلام هذان البيتان :

نفسي على زفراتها محبوسة ... يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

زواج عليّ بعد فاطمة عليهما السلام

إضطر الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام بعد وفاة سيدة نساء العالمين أن يبادر إلى اختيار زوجة تقوم بشؤون أيتام الإمام الذين فقدوا أُمَّهم في عنفوان شبابها فقدوها وهم براعم صغار لم تتفتح بعد ، إذ كان الإمام الحسن وهو أكبر أولاد الإمام عمره يومذاك سبع سنوات وشهوراً وكان الإمام الحسين أصغر منه بستة أشهر وأيام وكذلك السيدة زينب وأُختها أُم كلثوم هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى كانت الزهراءُ قد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج علي بالسيدة أمامة وهي حفيدة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إذ أنها كانت بنت زينب بنت رسول الله ، وتنفيذاً لهذه الوصية بادر الإمام إلى الزواج بأمامة بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء كما ذكر ذلك الشيخ المفيد وروى عنه المجلسي في التاسع من البحار .

كلام حول أزواج الامام وأولاده

وبالمناسبة لا بأس أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعدد زوجات الإمام وأولاده فنقول : كان له عليه‌السلام سبعة وعشرون من الأولاد ذكوراً وإناثاً :

١ ـ ٤ الإمام الحسن والإمام الحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم ، وأمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ ـ محمد بن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر .

٦ ـ ٧ عمر ورقية ، وكانا توأمين ، وأمهما الصهباء ، ويقال أم حبيب التغلبية .

٨ ـ ١٢ أبو الفضل العباس وجعفر وعثمان وعبد الله ، وأمهم فاطمة أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية ، استشهدوا يوم الطف في نصرة الحسين عليه السلام .

١٣ ـ ١٤ يحيى وعون وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية .

١٥ ـ ١٦ محمد الأصغر المكنى أبا بكر ، وعبيد الله وأمهما : ليلى بنت مسعود الدارمية وقتلا يوم الطف .

١٧ ـ ٢٠ خديجة وأم هاني وميمونة وفاطمة وأمهن : أم ولد جارية .

٢١ ـ ٢٢ أم الحسن ورملة وأمهما : أم شعيب الدارمية وقيل : أم سعيد وقيل : أم مسعود المخزومية .

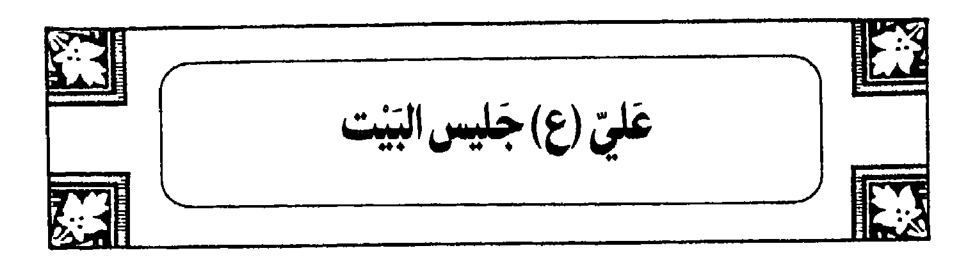
٢٣ ـ ٢٧ نفيسة وزينب الصغرى وأم سلمة وأم الكرام وجمانة لأمهات شتى .

وأما أولاده الذين أعقبوا فهم خمسة : الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر ، ومات عدد من الأولاد والبنات في أيام حياة الإمام عليه السلام .

ولم يتزوج علي عليه السلام ما دامت الزهراء كانت على قيد الحياة كرامة لها ، كما أن رسول الله لم يتزوج ما دامت خديجة على قيد الحياة ، ولعلّ السبب في عدم تزويج علي في حياة فاطمة الزهراء هو قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: من آذاها فقد آذاني .

هذا والمعروف : أن علياً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام بأربع حرائر وملك عشر إماء وقد روي في المناقب عن الشيخ المفيد (عليه الرحمة) أن أولاده خمسة وعشرون وربما يزيدون على ذلك إلى خمسة وثلاثين .

الليلة الثالثة عشرة



عليّ (ع) جَليس البَيْت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيد أنبياء الله محمد وآله آل الله .

حديثنا ـ الليلة ـ حول الفترة التي انقضت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جليس البيت ، مسلوب الإمكانيات ، وقد ابتدأت تلك الفترة من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستيلاء أبي بكر على مسند الحكم ، ولما انقضت أيام أبي بكر أوصى من بعده إلى عمر بن الخطاب فكانت أيام حكمه عشر سنوات وشهوراً ، ولما طُعن عمر وأحسَّ بالوفاة جعل الخلافة شورى ، ورشَّح ستة من الصحابة وأمرهم أن ينتخبوا واحداً من أنفسهم وإليكم التفصيل :

لما علم عمر بن الخطاب بأنه ميت استشار الناس حول تعيين الخليفة ، فأُشير عليه بإبنه : عبد الله بن عمر ، فقال عمر : لاها الله ! لا يليها رجلان من ولد الخطاب ! حسب عمر ما احتقب ، لاها الله ! لا أتحملها حياً وميتاً .

ثم قال : إن رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش : علي ، عثمان ، طلحة ، الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، عبد الرحمن بن عوف ، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم إماماً .

ثم التفت عمر إلى هؤلاء الستة وقال : أكلكم يطمع في الخلافة ؟ فسكتوا ، فقال لهم ثانية فقالوا : وما الذي يبعدنا منها ؟ ولّيتها أنت فقمت بها ولسنا دونك في قريش ، ولا في السابقة ولا في القرابة .

فقال عمر : أفلا أُخبركم عن أنفسكم ؟ قالوا : قل ، فإنا لو استعفيناك لم تعفنا ، فالتفت عمر إلى الزبير وذكر عيوبه ثم التفت إلى طلحة وذكر سوابقه السيئة ثم التفت إلى سعد بن أبي وقاص وذكّره بنقائصه ، وخاطب عبد الرحمن بن عوف قائلاً : إنك رجل عاجز تحب قومك !!

ثم التفت إلى علي وقال : وأما أنت يا علي فلو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم ، فقام علي وخرج فقال عمر : والله إني لأعلم مكان الرجل ، لو ولّيتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء . قالوا : من هو؟ قال : هذا المولى من بينكم . قالوا : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك من سبيل .

وفي رواية ابن أبي الحديد : ثم أقبل على علي عليه السلام فقال : لله أنت !! لولا دعابة فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء .

ثم أقبل عمر على عثمان وقال : أما أنت ياعثمان ـ فوالله ـ لروثة خير منك !!

هؤلاء الذين مات رسول الله وهو راض عنهم !! وقد ذكرنا ما يتعلق بهذا الموضوع في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة .

التفت عمر وقال : ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري . فدعوه فقال له : أُنظر يا أبا طلحة إذا عُدتم من حفرتي (دفني) فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم ، فخذ هؤلاء النفر ـ الستة ـ بإمضاء هذا الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيت واحد ، فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب

عنقه ! وإن اتفق أربعة وأبى إثنان فاضرب أعناقهما ! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف فارجع إلى ما اتفقت عليه !!! فإن أصرّت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها ، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم !!!

كان هذا هو القرار الصادر بحق الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو راض عنهم !!.

ومات عمر ، ولما دفن ، جمع أبو طلحة المرشحين للخلافة في بيت عائشة ، ووقف هو على باب البيت في خمسين رجلاً حاملي سيوفهم ولما استقر المجلس بهؤلاء الستة وقبل الشروع في الكلام نادى عمار بن ياسر ـ من وراء الباب ـ : إن ولّيتموها علياً سمعنا وأطعنا ، وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا ، فقام الوليد بن عقبة وقال : يا معشر الناس : أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا ، وإن وليتموها علياً سمعنا وعصينا .

فانتهره عمار وقال له : متى كان مثلك يا فاسق يعترض أمور المسلمين وشتات جمعها ؟؟.

وتسابا جميعاً وتناوشا حتى حيل بينهما .

فقال المقداد ـ من وراء الباب ـ: يا معشر المسلمين إن وليتموها أحداً من القوم فلا تولوها من لم يحضر بدراً ، وانهزم يوم أُحد ولم يحضر بيعة الرضوان ، وولّى الدبر يوم التقى الجمعان فقال عثمان !! أما والله لئن وليتها لأردنّك إلى ربك الأول !!!!

أما طلحة فإنه كان يعلم أن الخلافة لا تصل إليه مع وجود علي أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان ، فلهذا أشهد القوم على نفسه : أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، وإنما فعل ذلك تقوية لجانب عثمان .

وأما الزبير فكان ابن عمة أمير المؤمنين ولما رأى ما صنعه طلحة

لعثمان وهب هو حقه من الشورى إلى أمير المؤمنين فقال : أنا أشهدكم أني قد وهبت حقي من الشورى لعلي .

فتساوى الجانبان ولكل منهما صوت واحد ، فبقي عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، فوهب سعد حقه لعبد الرحمن بن عوف لأن سعداً كان يعلم أن الخلافة لا تتم له . فقال عبد الرحمن لأمير المؤمنين وعثمان : أيكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الإثنين الباقيين ؟؟ فلم يتكلم منهما أحد ، فقال عبد الرحمن : أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما .

فبدأ بعلي عليه السلام وقال له : «أبايعك على كتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين : أبي بكر وعمر» فقال علي : بل على كتاب الله وسنة النبي واجتهاد رأيي .

فعدل عبد الرحمن عنه ، فعرض ذلك على عثمان فقال : نعم . فعاد عبد الرحمن إلى علي ، فأعاد عليٌ قوله ، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاث مرات فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله وأن عثمان ينعم له بالإجابة صفق على يد عثمان وقال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فقال علي عليه السلام لعبد الرحمن : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجى صاحبكما من صاحبه . ثم دعى عليه وقال : دقَّ الله بينكما عطر منشم . أشار عليه السلام إلى سبب تقديم عبد الرحمن عثمان على علي عليه السلام وذكر أن السبب في بيعة عبد الرحمن لعثمان كالسبب في بيعة عمر لأبي بكر أي كما أن عمر بايع أبا بكر يوم السقيفة ليرد أبو بكر الخلافة إلى عمر وقد فعل ، كذلك كان يرجو عبد الرحمن من عثمان أن يرد الخلافة إليه عند موته فدعى عليهما أن يفسد ما بينهما ، لأن منشم ـ بكسر الميم ـ إسم إمرأة عطارة بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم حتى صار يضرب به المثل فيقال أشأم من عطر منشم .

واستجاب الله دعاء الإمام عليه السلام ففسد بعد ذلك بين عبد الرحمن وعثمان فلم يكلِّم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن .

لأن عثمان بنى قصره (طمار) والزوراء ، وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه فكان فيهم عبد الرحمن ، فلما نظر إلى البناء والطعام قال : يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك ، وإني أستعيذ بالله من بيعتك فغضب عثمان وقال : أخرجه عني يا غلام ، فأخرجوه ، فأمر عثمان الناس أن لا يجالسوه . . .

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام احتجاج مفصل في يوم الشورى مذكور في (كتاب الاحتجاج للطبرسي) يذكر فيه فضائله وفواضله ومناقبه وخصائصه وينشد الناس ذلك فيحلف له الناس على صدق كلامه وقد اشتهر بحديث المناشدة ورعاية للاختصار لم نذكره .

هذه خلاصة يوم الشورى وقد ذكرناها كما هي بدون أي تعليق ولما انتقلت الخلافة إلى عثمان بن عفان واشترطوا عليه العمل بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الشيخين فما مضت مدة وإذا به يخالف الكتاب والسنة والشيخين فكان من أعماله أنه ضرب عمار بن ياسر ضرباً شديداً ، وضربه برجليه وهما في الخف على بطنه حتى أفتق عمار وأُغمي عليه وما زال مغمى عليه حتى فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب ، وأمر بتسيير أبي ذر إلى الشام ثم أمر بإرجاعه إلى المدينة فساروا به سيراً حثيثاً بلا نزول ولا راحة ولا نوم فلما وصل إلى المدينة ، تناثر لحم فخذيه ورجليه ، وبعد ذلك أمر بتسفيره إلى الربذة وهي منطقة ردية الماء والهواء لا زرع فيها ولا كلاء فمات أبو ذر هناك جوعاً ولم يحضره أحد سوى إبنته الصغيرة .

ومنها إحراقه المصاحف (القرائين) ومنها ضربه عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل وقطعه عُطاءه مدة سنتين .

ومنها تسليطه أقاربه وأرحامه على رقاب المسلمين يلعبون بدمائهم

وأمـوالهم ، ويصلُّون بـالمسلمين في حـالـة السكـر ، ويتقيئـون الخمـــر في المحراب .

ومنها أنه بذل من بيت مال المسلمين أربـع ملايين وثـلاثمائـة وعشرة آلاف دينار (٤,٣١٠,٠٠٠) ومائة وستة وعشرين مليون وسبـع مائـة وسبعين ألف درهم (١٢٦,٧٧٠,٠٠٠) كل ذلك من بيت مال المسلمين وهبها لابن الزرقاء الزانية مروان بن الحكم ونظرائه من أقارب عثمـان وبناتـه ، إلى غير ذلك من المآسي التي يطول الكلام بذكرها .

فأحدثت أعماله في قلوب المسلمين ثـورة ونقمة وفي طليعـة الناقمين عليه عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من المسلمين .

ولهذا كانت عائشة تحرض الناس على عثمـان وتخرج قميص رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قصبة وتقول : أيها المسلمون إن عثمـان غيَّر سنـة رسول الله وهذا ثوبه لم يبل بعد !!

واجتمـع المسلمون من مصـر والبصرة والكـوفة وقصـدوا نحو المـدينة يريدون مقابلة عثمان ، فجاء إليهم مروان وقـابلهم بالكـلام الخشن وأجابـوه بـالسب والشتم . واستمر الثـوار يحـاصـرون دار عثمـان ، وفي تلك الأيـام خـرجت عائشـة إلى الحج وهي تقـول : أُقتلوا نعثلاً قتله الله ، أُقتلوا نعثـلا فقد كفر .

لم يستـطع الثوار أن يقـابلوا عثمان إلا بعـد أن تدخـل علي عليه السلام في القضية وبذل ما في وسعه للإصلاح بين عثمـان والثوار . فـذهبت المساعي أدراج الرياح وكتب عثمان إلى والي مصر يـأمره بقـطع الأيدي والأرجـل من بعض الثائرين بعد أن وعدهم أن ينزل عند رغبتهم ويلبي طلبـاتهم القانـونية وحقـوقهم المشروعـة ، فرجـع الثوار وتفـرقوا راضين عن عثمـان وفي أثنـاء الطريق وجدوا غلام عثمان ففتشوه فوجدوا عنده ذلـك الكتاب فـرجعوا وقـد أخذ الغضب منهم مأخذاً عظيمـاً ، ولما علم علي عليه السلام بـذلك انسحب عن الفتنة ، واقترب الثوار من دار عثمان ومنعوا أحداً يـدخل عليـه أو يخرج من

بيته ، فصعد عثمان على السطح وقـال : من يبلغ عليًا ليـرسل إلينـا الماء . فوصل الخبر إلى علي فأرسـل ولديـه الحسن والحسين وغلامـه قنبر يحمـل كـل واحد منهم قـربة من المـاء . وأراد الثوار أن يمنعـوهم من الـدخـول ، ولكن كرامة لرسول الله أذنوا لهم بإيصال الماء إلى عثمان ، وأمر علي عليه السلام ولديه أن يقفا على باب دار عثمان يحرسانه من هجوم الثوار عليه .

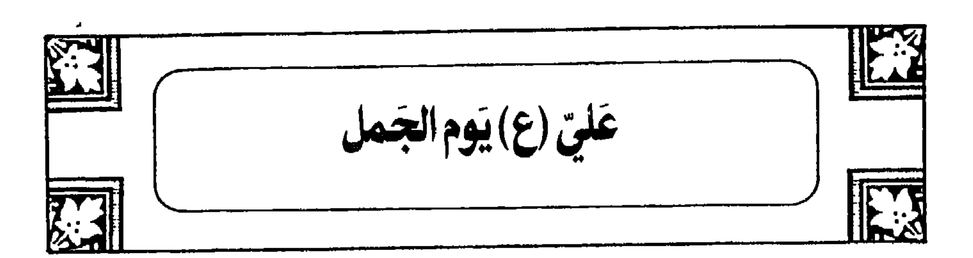
وأخيراً وجد المحاصرون طريقاً إلى دار عثمان من الدار المجـاورة له وهجمـوا عليه يقـدمهم محمد بن أبي بكـر وقتلوا عثمان فـإنـا لله وإنـا إليـه راجعون .

كـان موقف علي عليه السلام مقـابل أعمـال عثمان مـوقف المصلح الناصـح الشفيق ، وكثيـراً ما كـان الإمام يحـول بينه وبين تصـرفاتـه غير المـرضية ، وخاصة في تلك الأيام الأخيرة استطاع الإمام ـ بعـد شق الأنفس ـ أن يرفـع سوء التفاهـم بين عثمـان والثوار المصـريين والبصريين والكـوفيين ، ويلطف الجو ، ووجد لهم حلاً صحيحاً يحسم نزاعهم ويعيد المياه إلى مجاريها .

ورجع الثوار إلى بلادهم راضين شاكرين لعلي عليه السلام موقفه الإصلاحي في قضيتهم ومشكلتهم ، ولمـا وجدوا كتـاب عثمان بيـد غلامـه رجعوا إلى المدينة فأرسل عثمان إلى علي يطلب منـه التدخـل في القضية فخـرج علي والتقى بالثوار وسـألهم عن سبب رجوعهم فـأبرزوا كتـاب عثمان وفيـه يأمـر عثمان بقطع أيدي المصريين وأرجلهم وقتل جماعة آخرين ! فجاء بهم علي وأدخلهم على عثمان وأبرز لـه ذلك الكتـاب ، فلما نـظر إليه عثمـان قال : الخـاتم خـاتمي ، والغـلام غـلامي ، والخط خط كـاتبي ، ولا علم لي بـالكتاب !! فقال له الإمام عليه السلام : فمن تتهم ؟ قـال عثمـان ـ لعلي عليه السلام ـ : أتهمك وأتهم كاتبي !! فقام علي مغضباً وقال : بل هو فعلك .

واعتـزل الإمام تلك الفتنـة ، ولمـا استسقـاه عثمـان أرسـل علي عليه السلام سيـدي شباب أهـل الجنة إبني رسـول الله الحسن والحسين يحملان المـاء إلى دار عثمان ويحرسانه من تلك الفتنة .

وقد تقدم كل هذا ، ومع هذا كله وغير هذا مما لم نذكره هنا كان أعداءُ علي يتهمونه بقتل عثمان ويطلبون منه الثأر ، فأقاموا المجازر والمذابح التي أمطرت السماءُ فيها دماً ، وكاد نسل العرب أن ينقرض ، ولقد بلغ عدد القتلى والضحايا في هذه الحروب أكثر من مائة وستين ألف رجل ولا تسأل عن عوائل هؤلاء وأيتامهم وما هناك من ويلات ومصائب والتفصيل في الليلة القادمة إن شاء الله تعالى .



عَليّ (ع) يَوم الجَمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

إنتهى بنا الكلام في الليلة الماضية حول وفاة عثمان ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .

اجتمعت الصحابة ـ بعد قتل عثمان ـ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتشاوروا في أمر الإمامة ، فأشار بعضهم بعلي عليه السلام وهم : عمار بن ياسر وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو الهيثم بن التيهان وغيرهم ، فذكروا سابقة علي عليه السلام وفضله وجهاده ، فأجابهم الناس إليه ، فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل علي ، فمنهم مَن فضّله على أهل عصره ، ومنهم مَن فضّله على جميع المسلمين عامة ، فأتى الناس علياً ليبايعوه ، فقال عليه السلام : دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان لا تقوم له القلوب .

فقالوا : ننشدك الله : ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الفتنة ؟ ألا تخاف الله ؟

وقال الشعبي : أقبل الناس إلى علي عليه السلام ليبايعوه ، ومالوا إليه ، فمدوا يده فكفّها ، وبسطوها فقبضها حتى بايعوه .

قال عليه السلام : لا حاجة لي في إمرتكم ، فمن اخترتم رضيت به .

فقالوا : ما نختار غيرك . وترددوا إليه مراراً ، وقالوا : والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . فقال عليه السلام : ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية ، ولا تكون إلاّ في المسجد ـ وكان في بيته ـ فخرج إلى المسجد ، وعليه قميص وعمامة خز ، ونعلاه في يده ، متوكئاً على قوسه ، فبايعه الناس ، وكان أول من بايعه من الناس : طلحة ، ثم الزبير ثم بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين .

ولما أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما أمير المؤمنين : إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما ؟ فقالا : بل نبايعك .

وجاؤوا بسعد بن أبي وقاص فقال له علي : بايع . قال : لا حتى يبايع الناس ، والله ما عليك مني بأس . فقال الإمام : خلوا سبيله .

وجاؤوا بعبد الله بن عمر فقالوا : بايع . فقال : لا ، حتى يبايع الناس فقال عليه السلام : إئتني بكفيل . قال : لا أرى كفيلاً . فقال الأشتر : دعني أضرب عنقه . فقال الإمام : دعوه أنا كفيله !!!.

كان الإزدحام على الإمام بصورة مدهشة ، وكاد الناس أن يقتل بعضهم بعضاً من شدة الإزدحام .

فبويع له بالخلافة يوم الجمعة لثمانية عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة .

ومن ذلك اليوم نهض علي عليه السلام بأعباء الخلافة ، وأول خطوة تقدم بها الإمام إلى العدالة هو تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسوية وذلك في اليوم الثاني من بيعته ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وكان مما قال :

أما بعد ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف الناس أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، فعمل بطريقه ، ثم جعلها شورى بين ستة ، فأفضى الأمر إلى عثمان ، فعمل ما أنكرتم وعرفتم ، ثم حصر ، ثم قتل ، ثم جئتموني فطلبتم إلي ، وإنما أنا رجل منكم ، لي ما لكم وعليّ ما عليكم . . إلخ . . .

ثم التفت يميناً وشمالاً فقال : ألا لا يقولن رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا !!

ألا وأيما رجل استجاب لله وللرسول ، فصدّق ملتنا ، ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضلَ لأحد على أحد ، وللمتقين غداً أحسن الجزاء وفضل الثواب .

وإذا كان غد ـ إن شاء الله ـ فاغدوا علينا ، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم ، عربي ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إذا كان مسلماً حراً إلا حضر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

وعن عمار وابن عباس قالا : إنه عليه السلام لما صعد المنبر قال لنا : قوموا فتخللوا الصفوف ، ونادوا هل من كاره ؟ فتصارخ الناس من كل جانب : اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه ، فقال عليه السلام : قم يا عمار إلى بيت المال ، فاعط الناس ، ثلاثة دنانير لكل إنسان وادفع لي ثلاثة دنانير !!

فمضى عمار وأبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلى بيت المال ، ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قباء يصلي فيه ، فوجدوا ثلاثمائة ألف

دينار ، ووجدوا النـاس مائـة ألف فقال عمـار : جاء والله الحق من ربكم ، والله مـا علم بالمـال ولا بالنـاس وإن هـذه الآيـة وجبت عليكم بهـا طـاعـة الرجل .

أول شيءٍ كرهه الناس من أمير المؤمنين تقسيمه العطاء بـالسويـة فقد قال سهل بن حنيف : يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقتـه اليوم فقال عليه السلام : نعطيه كما نعطيك !!

وأمر الإمام أن يبدأوا في العطاء بالمهاجرين ثم يثنون بـالأنصار ثم من حضر من الناس كلهم الأحمر والأسود .

تخلف من هـذه القسمـة يـومئـذ طلحـة والـزبيـر وعبـد الله بن عمـر وسعيـد بن العاص ومـروان بن الحكم ورجال من قـريش ، ومن هنـا بـدأت التفرقـة ونشب الخلاف ، وتولدت الفتنة .

وأقبـل هؤلاء وجلسـوا في نـاحيـة من المسجـد ، ولم يجلسـوا عنـد علي عليه السلام ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى الإمام فقال : يا أبـا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً ، أما أنا : فقتلت أبي يـوم بدر صبـراً ، وخذلت أخي يـوم الدار بالأمس ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش ، وأما مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه ، ونحن إخوانـك ونظراؤك من بني عبد مناف ، ونحن نبـايعك اليـوم على أن تضع عنـا ما أصبنـاه من المال في يوم عثمان وأن تقتل قتلة عثمان ، وإنا إن خفناك تركنـاك والتحقنا بالشام .

فقال عليه السلام : أما ما ذكرتم من وتري إياكم فالحق وتركم ، وأمـا وضعي عنكم مـا أصبتم فليس لي أن أضـع حق الله عنكم ولا عن غيـركم ، وأمـا قتلي عثمـان فلو لـزمني قتلهم اليـوم لقتلتهم أمس ، ولكن لكم علـيّ إن خفتموني أن أؤمنكم ، وإن خفتكم أن أُسيّركم . فقـام الوليـد إلى أصحابـه فحـدثهم ، فافتـرقوا على إظهـار العداوة وإشـاعـة الخـلاف ، لأن عمـاراً وعبـد الله بن رافع وغيـرهما لمـا قسمـوا المـال بين النـاس بـالسـويـة أخـذ

علي عليه السلام مكتله ومسحاته ثم انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها فأخذ الناس ذلك القسم حتى بلغوا الزبير وطلحة وعبد الله بن عمر فأمسكوا بأيديهم ، وامتنعوا عن القبول وقالوا : هذا منكم أو من صاحبكم ؟ فقالوا : هذا أمره ، لا نعمل إلا بأمره ، قالوا إستأذنوا لنا عليه . قالوا : ما عليه إذن ، هو ببئر الملك يعمل ، فركبوا دوابهم حتى جاؤوا إليه فوجدوه في الشمس ومعه أجير له ، فقالوا : إن الشمس حارة ، فارتفع معنا إلى الظل . فارتفع معهم إلى الظل ، فقالوا له : لنا قرابة من نبي الله ، وسابقة وجهاد ، وإنك أعطيتنا بالسوية ، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية ، كانوا يفضلوننا على غيرنا .

فقال عليه السلام : فهذا قسم أبي بكر ، وإلا تدعوا أبا بكر وغيره ، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه .

قالوا : فسابقتنا .

قال : أنتما أسبق مني ؟

قالا : لا ، فقرابتنا من النبي .

قال : أقرب من قرابتي ؟

قالا : لا ، فجهادنا .

قال : أعظم من جهادي ؟

قالا : لا ، قال : فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلا بمنزلة سواء .

وفي اليوم الثاني جاء طلحة والزبير وجلسا في ناحية المسجد ، وجاء مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وجلسوا عندهما ، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال وجعلوا يطعنون في أمير المؤمنين عليه السلام والتفت عمار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عنده

في ناحية أُخرى من المسجد قائلاً : هلموا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا ما نكره من الخلاف والطعن لإمامهم ، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق (طلحة) .

قام عمار ومن معه حتى جلسوا عندهم فتكلم أبو الهيثم وقال : إن لكم لقدماً في الإسلام ، وسابقة وقرابة من أمير المؤمنين ، وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمير المؤمنين ، فإن يكن أمر لكما خاصة ، فعاتبا إبن عمتكما ، وإمامكما ؟ وإن تكن النصيحة للمسلمين فلا تؤخراه عنه ونحن عون لكما فقد علمنا أن بني أُمية لن تنصحكما أبداً ، وقد عرفتما . . فقال أحمد : قد عرفتما عداوتهم لكما ، وقد شركتما في دم عثمان . وملأتما .

فسكت الزبير ، وصاح طلحة ـ بصوت عال ـ: إفزعوا جميعاً مما تقولون، فإني قد عرفت إن في كل واحد منكم خطبة .

فتدخل عمار وأبدى النصيحة ، وتقدم إبن الزبير وتكلم بكلام خشن فأمر عمار بإخراج إبن الزبير من المسجد ، فقام الزبير منزعجاً من هذا العمل وخرج من المسجد ، فقال عمار : لو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما خالفته ، ولا زالت يدي مع يده ، وذلك أن علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإني أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحداً .

فقام عمار وجماعة وجاؤوا إلى أمير المؤمنين ، وأخبروه بانشقاق القوم وأنهم كرهوا الأسوة والقسمة بالسوية إلى آخر كلامهم .

فخرج الإمام ودخل المسجد وصعد المنبر وقال ـ بعد الحمد والثناء على الله ـ: يا معشر المهاجرين والأنصار : أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم ؟ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ، أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ.

ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها ، وترغبون فيها ، وأصبحتْ

تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خُلقتم له ، فلا تغرنكم . وأما هذا الفيء (المال) فليس لأحد إثرة . فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله ، به أقررنا وله أسلمنا ، وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتول كيف شاء ، فإن العامل بطاعة الله الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه !!!

نزل الإمام عن المنبر وصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد ، فدعاهما ، فجاء طلحة والزبير ، وجلسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال الإمام : نشدتكما الله ؟ هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها ؟ فقال الرجلان : نعم . فقال الإمام : غير مجبورين ولا معسورين ، فأسلمتما لي ببيعتكما أعطيتماني عهدكما ؟؟ فقال الرجلان : نعم .

فقال الإمام : فما دعاكما إلى ما أرى ؟ فقال الرجلان : أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور ، ولا تقطعها دوننا ، وأن تستشيرنا في كل أمر ، ولا تستبد بذلك علينا ، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمور وتقضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا !!!

فقال الإمام ـ غاضباً : لقد نقمتما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ، فاستغفرا الله يغفر لكما ، ألا تخبراني أدفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما إياه ؟

فقال الرجلان : معاذ الله . فقال الإمام : فهل استأثرت من هذا المال بشيءٍ ؟ فقال الرجلان : معاذ الله ، فقال الإمام : أفوقع حكم أوحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه؟ فقال الرجلان : معاذ الله . فقال الإمام : فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟

فقال الرجلان : خلافك عمر بن الخطاب في القسم ، إنك جعلت حقنا في القسم ، كحق غيرنا ، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيها ما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا ، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا ، وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً وقهراً ممن لا يرى الإسلام إلا كرهاً .

فقال الإمام : أما ما ذكرتماه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها ، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إليَّ نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته ، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة لشاورتكما فيه .

وأما القسم والأسوة : فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادىء بدءٍ ، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك ، وكتاب الله ناطق به ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأما قولكما : «جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواءً بيننا وبين غيرنا» فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ، ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلا فضَّلهم رسول الله بالقسم ، ولا آثر بالسبق ، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا ، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ، رحم الله امرءً رأى حقاً فأعان عليه ، ورأى جوراً فردَّه ، وكان عوناً للحق على مَن خالفه» .

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين عليه السلام وهما مغضبان ساخطان ، وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما من رأيه وبعد يومين جاءا واستأذنا عليه فأذن لهما ، فقالا :

يا أمير المؤمنين : قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة ، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا ونقضي به حقوقاً علينا . فقال أمير المؤمنين : قد عرفتما مالي بـ(ينبع) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر . فقالا : لا حاجة لنا في مالك بـ(ينبع) فقال أمير المؤمنين : ما أصنع؟ فقالا : إعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية . فقال أمير

المؤمنين : سبحان الله وأي يدٍ لي في بيت مال المسلمين ؟ وأنا خازنهم وأمين لهم ، فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت ، وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم ؟ ولكني أُبدي لكما عذراً ، فقالا : ما كنا بالذي نكلفك ذلك ، ولو كلفناك لما أجابك المسلمون . فقال أمير المؤمنين : فما أصنع ؟ فقالا : سمعنا ما عندك .

ثم خرج الرجلان من دار أمير المؤمنين ، وقد يئسا من بيت المال ، فجعلا يفكران في كيفية الخروج إلى مكة ، والإلتحاق بعائشة ، إلى أن صار رأيهما على هذا وجاءا إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام وقت خلوته وقالا : قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة ، لأنا بعيدا العهد بها . فأْذن لنا فيها . . . فنظر أمير المؤمنين في وجهيهما ، وقرأ الغدر من فلتات لسانهما ودوران عيونهما ، وقد احمر وجهه ولاح الغضب فيه فقال : والله ما تريدان العمرة ، ولكنكما تريدان الغدرة ، وإنما تريدان البصرة . فقال الرجلان : اللهم غفراً ، ما نريد إلا العمرة . فقال أمير المؤمنين : إحلفا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان عليَّ أمر المسلمين ، ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة . فحلفا بالأيمان المؤكدة فيما استحلفهما عليه من ذلك فخرج الرجلان من عنده ، فلقيهما إبن عباس سائلاً : أذن لكما أمير المؤمنين ؟ فقالا : نعم . ودخل إبن عباس على الإمام فابتدأ الإمام عليه‌السلام قائلاً : يا ابن عباس : أعندك الخبر ؟ فقال إبن عباس : قد رأيت طلحة والزبير . فقال أمير المؤمنين : إنهما استأذنا في العمرة ، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالإيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً ـ وبعد هنيئة قال ـ والله يا ابن عباس : إني لأعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة ، فكأني بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي ، فإن يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك ، وسيفسد هذان الرجلان عليّ أمري ، ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري ، فقال ابن عباس : إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً ، فلِمَ أذنت لهما ؟ هلا حبستهما ، وأوثقتهما

بالحديد ، وكفيت المؤمنين شرهما ؟ فقال أمير المؤمنين متعجباً : يا ابن عباس أتأمرني بالظلم أبداً ؟ وبالسيئة قبل الحسنة ؟ وأُعاقب على الظنة والتهمة ؟ وأؤاخذ بالفعل قبل كونه ؟ كلا والله ، لا عدلت عما أخذ الله عليّ من الحكم والعدل ، ولا ابتدأ بالفصل ، يا ابن عباس : إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما ، ولكني استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأُخيبن ظنهما ، ولا يلقيان من الأمر مناهما ، وإن الله يأخذهما بظلمهما لي ، ونكثهما بيعتي وبغيهما عليّ .

خرج الرجلان من المدينة متوجهين إلى مكة ، فوجدا بني أُمية قد أحاطوا بعائشة ، ولحق بها جماعة من منافقي قريش ، ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بني أُمية ، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما دبّروه من كيد أمير المؤمنين عليه السلام ، وصار كل من يبغض علياً أو يكرهه أو يحسده أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه ، يلتحق بهذه الجماعة ، وعائشة تنعى عثمان وتبرأُ من قاتله وتحرض الناس على عداوة أمير المؤمنين ، وتظهر بأن علياً قتل عثمان ظلماً .

وكانت عائشة لما وصلت إلى مكة ، وأدت مناسك الحج ، ولما فرغت بلغها خبر قتل عثمان استبشرت وقالت للناعي : قتلته أعماله ، إنه أحرق كتاب الله ، وأمات سنة رسول الله فقتله الله ، ومن بايع الناسُ ؟ .

فقال الناعي : لم أبرح من المدينة حتى أخذ طلحة بن عبيد الله نعاجاً لعثمان ، وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شك أن الناس بايعوه . فقالت عائشة ـ وهي فرحانة ـ: بعداً لنعثل وسحقاً ! إيه ذا الأصبع ! إيه أبا شبل ! إيه ابن عم ! لله أبوك يا طلحة ، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً ، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع أحنوها لا بل دغدغوها ! وجدوك لها محسناً ولها كافياً ، شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي ، لأتوجه إلى منزلي .

سارت عائشة حتى إذا وصلت إلى موضع يقال له : (شرفاء) لقيها

رجل يقال له : عبيد بن أُم كلاب ، فسألته عائشة :

ما الخبر ؟

فقال الرجل : قتل عثمان .

فقالت عائشة قتل نعثل !!! أخبرني عن قصته وكيف كان أمره ؟ فقال الرجل : لما أحاط الناس بالدار ، رأيت طلحة بن عبيد الله قد غلب على الأمر ، واتخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن ، وتهيأ ليبايع له ، فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب ، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره ، وخرجوا في طلب علي يقدمهم الأشتر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر حتى إذا أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه فقالوا له : بايعنا على الطاعة لك ، وكان علي عليه السلام يتفكر ساعة .

فقال الأشتر : يا علي إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس .

وكان في الجماعة طلحة والزبير ، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب كلام قبل ذلك ، فقام طلحة والزبير فبايعا ، وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما ببيعته .

ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر ، فتكلم بكلام لا أحفظ إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد ، فكلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم . فقالت عائشة : لَوَددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا !! أُنظر ماذا تقول ؟ فقال الرجل : هو ما قلت لك يا أُم المؤمنين . فقالت عائشة : إنا لله ، أكره والله الرجل ، وغصب علي بن أبي طالب أمرهم ، وقُتل خليفة الله مظلوماً ! ردوا بغالي ردوا بغالي !! فقال الرجل : ما شأنك يا أُم المؤمنين ؟ والله ما أعرف بين لابيتها أحداً أولى بها من علي ، ولا أحق ، ولا أرى له نظيراً فلماذا تكرهين ؟. عائشة لا ترد جواباً ، وعزمت على الرجوع إلى مكة ، وفي طريقها رآها قيس بن حازم

فقالت عائشة تخاطب نفسها : قتلوا إبن عفان مظلوماً . فقال قيس : يا أُم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه ، وأقبحهم فيه قولاً . فقالت عائشة : لقد كان ذلك ، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه . فقال عبيد بن أُم كلاب :

فمنك البداءة ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا: إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله ... وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا ارتداءٍ ... يزيل الشبا ويقيم الصعر
وتلبس للحرب أوزارها ... وما مَن وفى مثل مَنْ قد غدر

وصلت عائشة إلى مكة ، وجاءها رجل يقال له : يعلى بن منبه ، وكان من بني أُمية وشيعة عثمان وقال لها : قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله .

فقالت عائشة : برأت إلى الله ممن قتله .

فقال الرجل : ألآن أظهري البراءة ثانياً من قاتله ، فخرجت إلى المسجد ، فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان ، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة ، فكتبا إليها كتباً مع ابن أُختها عبد الله بن الزبير وكان مضمون الكتاب «خَذّ لي الناس عن بيعة علي ، وأظهري الطلب بدم عثمان» .

قرأت عائشة ذلك الكتاب وكشفت عما في ضميرها وجعلت تطلب بدم عثمان وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت :

أيها الناس : إن الغوغاء (السفلة) من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة إجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ونقموا

عليه استعمال الأحداث ، وقد استعمل أمثالهم مَن قبله ، ومواضع الحمى حماها لهم ، فتابعهم ونزل عنها ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام !

والله ، لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم !

والله ، لو أن الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، والثوب من درنه ، إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء .

فتقدم عبد الله بن عامر الحضرمي ـ وكان عامل عثمان على مكة ـ وقال : أنا أول طالب بدمه . فكان أول مجيب .

فتبعه بنو أُمية ، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم ، فكان أول ما تكلموا في الحجاز .

ولما وصل طلحة والزبير إلى مكة أرسلا عبد الله بن الزبير إلى عائشة يطلبان منها الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان !!

امتنعت عائشة من الإجابة لكنها ذهبت إلى أُم سلمة تستشيرها في الخروج ، ولما دخلت على أُم سلمة ونعت إليها عثمان وأنه قُتل مظلوماً ، صرخت أُم سلمة صرخة وهي متعجبة من كلام عائشة وقالت : يا عائشة بالأمس كنت تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً ؟؟

ثم إن عائشة ذكرت لأُم سلمة عزمها على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان وطلبت من أُم سلمة أن ترافقها وتشاركها في تلك النهضة !!

فجعلت أُم سلمة تعاتب عائشة على تحريضها الناس بقتل عثمان ثم الطلب بدمه مع العلم أن عثمان من بني عبد مناف وعائشة إمرأة من تيم بن مرة ، وليس بينهما قرابة ، ثم ذكرت أُم سلمة شيئاً من فضائل علي وأنه لا ينبغي لأحد أن يحارب علياً ، ووعظتها وذكرتها بما سمعت من رسول الله (ص) في فضل علي (ع) وذكرتها بحديث النبي (ص) يوم قال : أيتكن

صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب فتذكرت عائشة كـل ذلك وقنعت بكلام أم سلمة ولكن التأثير كان مؤقتاً ، ثم عزمت على السفر إلى البصرة .

وأما يعلى بن منبه فقد اشترى أربعمـائة بعيـر ونادى : أيهـا الناس من خرج لطلب دم عثمان فعليَّ جهازه .

ووصـل الخبـر إلى أم سلمـة فقـالت لعـائشـة : لقـد وعـظتـك فلم تتعظي . . . ثم حذرتها عن تلك الفكرة وذكرت لها بأنها تهتك حرمة رسول الله ﷺ لأنها زوجته وعرضه إلى آخر كلامها .

وخرجت عائشة بالجيش نحو البصرة وفي أثناء الطريق وصلوا إلى ماء الحوأب فنبحت الكلاب وقال قائل : ما أكثر كلاب الحوأب وما أشد نباحها فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت : إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهيه !! سمعت رسول الله ـ وعنده نساؤه ـ يقول : ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب ، تخـرج فتنبحها كـلاب الحوأب ، يقتـل عن يمينها ويسـارها قتلى كثيرة ، تنجو بعد ما كادت تقتل ؟؟ . . ردوني ، ردوني .

فـأقبل جمـاعة وشهـدوا وحلفوا أن هـذا ليس بمـاء الحـوأب فسـارت عائشة لوجهها نحو البصرة .

فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فـأمر المنـادي فنادى : الصـلاة جـامعة ، فـاجتمع النـاس في مسجد رسـول الله في المدينـة وصعد الإمـام المنبر وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخلافة وأطـوارها وأدوارهـا . . . إلى أن قال : وبايعني هذان الرجلان ـ طلحة والزبير ـ في أول من بايع ، وتعلمـون ذلك ، وقد نكثا غدراً ، ونهضا إلى البصرة بعـائشة ليفـرقا جمـاعتكم ويلقيا بأسكم بينكم .

أللهم : فَخُذ بما عملا أخذةً واحدة رابية ، ولا تنعش لهمـا صرعـة ، ولا تقلهمـا عثرة ، ولا تمهلهمـا فواقـا ، فإنهمـا يطلبـان حقاً تـركاه ، ودمـاً سفكاه ، أللهم إني أقتضيك وعدك فإنـك قلت ـ وقولـك الحق ـ : «ثم بغى

عليه لينصرنـه الله . . .» اللهم أنجز لي موعدي ولا تكلني إلى نفسي إنـك على كل شيءٍ قدير .

ثم استشار الإمام أصحابه ، فقال عمار بن ياسر : الـرأي عندي : أن تسير إلى الكوفـة ، فإن أهلهـا شيعة ، وقـد انطلق هؤلاء القـوم إلى البصرة وأشـار عليه ابن عبـاس أن يأمـر أم سلمة لتخـرج معه تقـوية لجـانبـه فقـال الإمـام : أما أم سلمـة فإني لا أرى إخـراجها من بيتهـا كمـا رأى الـرجـلان إخراج عائشة !!

وأشـار عليه جمـاعة أن يعتـزل الفتنة ويـذهب إلى مالـه بـ(ينبع) فلم يقبـل منه وأخيـراً نادى الإمـام : تجهزوا للمسيـر ، فإن طلحـة والزبيـر نكثا البيعة ونقضا العهد ، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصـرة لإثارة الفتنـة ، وسفك دماء أهل القبلة ورفع يديه للدعاء قائلاً :

أللهم : إن هـذين الرجلين قـد بغيـا علي ، ونكثـا عهـدي ، ونقضـا عقدي ، وشقياني بغير حق سومهما ذلك ، اللهم خذهما بظلمهما وأظفـرني بهما ، وانصرني عليهما .

وجعل الإمام عليه السلام تمام بن العباس والياً على المدينة وخرج بمن معـه إلى الربذة ، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها .

فـأرسل الإمـام محمـد بن أبي بكـر ومحمـد بن الحنفيـة إلى الكـوفـة ليستنفرا أهل الكوفة، وكان والي الكوفة ـ يومذاك ـ أبا موسى الأشعري وكان أبو موسى عثماني الهوى ، منحرفاً عن علي عليه السلام .

وكانت عائشة قد كتبت كتـاباً إلى أبي مـوسي تأمـره أن يخذل النـاس عن نصرة الإمام ، وقام أبو مـوسى بتلبية طلبهـا ، فخطب فيهم وأمـرهم أن يجتنبوا الفتنة ويبتعدوا عن سفك دماء المسلمين .

لم يستـطع محمد بن الحنفيـة ومحمد بن أبي بكـر مقاومـة الأشعـري فرجعا إلى الإمام ، وكان الإمـام قد كتب ـ قبـل ذلك ـ كتـاباً إلى الأشعـري

يأمره أن يخرج بالناس لمؤازرة الإمام ، ولكن الأشعري استمر على رأيه وامتنع عن البيعة ، وأظهر العداء الكامن في صدره ، فأخبروا الإمام بذلك .

فكتب الإمام كتاباً إلى الأشعري فيه خبر عزله عن الحكم والتهديد إن لم يعتزل ، وكتاباً آخر إلى أهل الكوفة يذكر لهم فيه عما جرى على عثمان ، ثم ذكر بيعة الناس له ومن جملتهم طلحة والزبير ، ثم نكثهما البيعة وخروجهما ضد الإمام عليه السلام .

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد جاؤوا إلى الكوفة وخطبوا في الناس الخطب المفصلة المطولة ، يحثون الناس على نصرة الإمام .

فكان الأشعري يقوم ويخطب وينقض كلامهم ويخذّل الناس ويأمرهم باعتزال الفتنة وعدم الخوض في المعركة . وانقضت أيام وأيام والأمر هكذا في الكوفة وأمير المؤمنين ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها : (ذو قار) واليوم يقال لها : (المقيرة) وهي قريب الناصرية في طريق البصرة .

وأخيراً خرج البطل الضرغام مالك الأشتر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة واستولى عليها ، وأخرج غلمان أبي موسى منها .

كانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد ، وهم ينادون يا أبا موسى هذا الأشتر . ودخل أصحاب الأشتر وصاحوا : أُخرج من المسجد ، يا ويلك أخرج الله روحك ، إنك والله من المنافقين .

خرج أبو موسى معزولاً خائباً مخذولاً ، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فمنعهم الأشتر .

وأقبل الأشتر فصعد المنبر وقال : وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً ، وأعظمهم في الإسلام سهماً ، إبن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأفقه

الناس في الدين ، وأقرأهم كتاب الله ، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم ، فما تنتظرون ؟ أسعيداً ؟ أم الوليد ؟ الـذي شرب الخمـر وصلى بكم على سكر ؟ واستباح ما حرّمه الله فيكم .

أي هذين الرجلين تريدون ؟؟ قبح الله من له هـذا الرأي !! فـانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم، ولا يختلف رجل له قوة ، فوالله ما يـدري رجل منكم ما يضره وما ينفعه ، وإني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون ، أو تبصرون .

أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدين ، وهذا وجهي إلى مـا هناك بالوفاء .

ثم قام إبن عباس وعـزل الأشعري عن الـولاية وخلعـه عنها ، وجعـل مكانه قرضة بن كعب ، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سيّروا سبعة آلاف رجل والتحقوا بأمير المؤمنين في ذي قار .

والتحق بـه قبل ذلـك الفان من قبيلة طي ، وخـرج الإمـام عليه السلام نحـو البصرة .

وكانت عائشـة وطلحة والـزبير ومن معهم قـد وصلوا إلى البصرة قبـل ذلك ، وتعجب الناس من قـدومهـم إلى البصرة للطلب بـدم عثمان المقتـول في المدينة .

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصـول القوم ، فـأرسل إليهـم أبا الأسود الـدؤلي وعمران بن حصين للتحقيق ، فـدخلا على عـائشة وقـالا لها : يا أُم المؤمنين ما حملك على المسير ؟ ما الذي أقـدمك هـذا البلد ؟ وأنت حبيبة رسول الله وقد أمرك الله أن تقري في بيتك ؟؟

فجرى كلام وجدال طويل بين عائشـة والرجلين ، وكلمـا خوفـاها من إراقة دماء المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكل صلابة وحدّة .

ودخـلا على طلحة فلم يسمعـا منـه إلا الكـلام القبيـح والـطرد ، ثم السب لأمير المؤمنين عليه‌السلام.

استعدت عائشـة للحرب ، وخـرجت بمن معها إلى محلة في البصـرة يقال لها (المربد) وخطبت في أهل البصرة خطبة فنعت عثمان وتأسّفت على قتله ثم ذكـرت علياً وبيعتـه وأفرطت في كـلامها ثم طلبت من أهـل البصرة نقض خلافة الإمام فصدّقها ناس وكذبها ناس ، واضطرب الناس بأقوالهـم ، واشتغلوا بالسب والشتم واللعن ، وتوجهت عائشة إلى دار الإمارة وطلبوا من عثمـان بن حنيف أن يسلم إليهم دار الإمـارة فـأبى عليهم ، واشتعلت نـار الحـرب حتى الظهـر وقتل في تلك الـواقعة خمسمـائـة شيـخ من بني عبـد القيس من شيعة علي وأنصار عثمـان بن حنيف سوى الجـرحى ، واستمرت الحـرب في البصرة وكثـر القتلى والجـرحى ، ودخـل بعض النـاس وقـرروا الهـدنة ، فتم القـرار على : أن تكون دار الإمـارة والمسجد وبيـوت الأموال تحت اختيـار عثمان بن حنيـف ، وتكـون البصرة تحت حيـازة طلحة والـزبير وعائشة ، وكتبوا على هذه المصالحة كتـاباً وشهـد الناس على ذلـك ، ولما أمن الناس واطمأنوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا دار الإمارة على حين غفلة وكان خمسون رجلاً يحرسون بيـوت الأموال وهـم من شيعة علي أحاط الزبير بهؤلاء وقتل منهـم أربعين رجلاً صبـراً ثم هجموا على عثمان بن حنيـف فأوثقوه رباطاً ، وعمدوا إلى لحيتـه فنتفوا لحيتـه حتى لم يبق منها شعرة واحدة ونتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد .

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجـد الأعظم لأداء صـلاة الصبح جماعة فأراد طلحـة أن يتقدم ويصلي بـالناس فـدفعه الـزبير ، وأراد الزبير أن يصلي فمنعه طلحة ، استمر النزاع والتدافع بين الإمامين !!! حتى كادت الشمس أن تطلع فصاح الناس : الله الله يا أصحاب رسـول الله ! في الصلاة نخاف فوتها !!

فأمرت عائشة أن يصلي مروان بالناس وأخيراً تقـدم ابن الزبيـر وصلى

بالمسلمين .

انتشر خبر قتل الحرس وإلقاء القبض على عثمان ، فأقبل حكيم بن جبلة إلى عشيرته فحثهم على النهوض وجاء طلحة والزبير وشبت النار مرة ثانية وقتل حكيم بن جبلة وأخوه وعدد من الناس ، واستولى طلحة والزبير على بيوت الأموال ونصبا الأقفال على أبواب بيوت الأموال ، فأمرت عائشة بختم بيت المال ، وختم كلٌ من طلحة والزبير وعائشة بختم على بيوت الأموال .

انقضت أيام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من علي عليه السلام وقد كان ينتهي كلامهم إلى ذم الإمام وسبّه وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلى البلاد والأمصار كتبت فيها ما أرادت ..

ووصل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بجيشه الجرار إلى البصرة ، وبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء ، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجة على عائشة والرجلين والتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلا التهديد والخشونة في الكلام وأرسل الإمام عليه السلام عبد الله بن عباس وأمره أن يلتقي بطلحة والزبير ، فلم تنجح مذاكرات ابن عباس معهما . .

كان وصول الجيش العلوي إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام وفيهم المشايخ من أهل بدر المهاجرين والأنصار ، وقواد الجيش ومعهم الألوية والرايات ، والمواكب يترى بعضها بعضاً .

وفي الأخير : وصل موكب الإمام وهو موكب عظيم وفيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد ، ومعهم الإمام وعليه الوقار والسكينة ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، والجنود خلفه كأن على رؤوسهم الطير ، والإمام الحسن عن يمينه والإمام الحسين عن شماله ، وإبنه محمد بن الحنفية بين يديه ومعه الراية .

أمر الإمام عليه السلام ابن عباس أن يرجع ثانياً إلى عائشة ويذكر لها خروجها من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخوفها من الخلاف على الله ، والتبرج الذي نهاها الله عنه . . . الخ .

دخل ابن عباس على عائشة وأدى رسالته وذكر لها فضل علي وسابقته ولكنها لم ترتدع ولم تقتنع ورجع ابن عباس إلى الزبير ووجده وحده وجعل يلين لـه في الكلام ويخوفه من عواقب أعماله ، ويلومه على إسراعه في الخلاف فجاء عبد الله بن الزبير ، وكان شاباً شرساً قليل الحياء متهوراً ، وقابل ابن عباس بكل صلافة وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة ، واستعد الفريقان للحرب .

كان كعب بن سور سيد الأزد قد امتنع عن الخوض في المعركة فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن تتوجه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها ، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور فلم يجبها كعب ، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إلى كعب وسألته عن سبب امتناعه فقال : يا أُماه لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة . فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها ، فرقَّ لها كعب وأجابها وعلَّق المصحف في عنقه وخرج معها .

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طي إلى أهل البصرة في نصرة الإمام .

وكان خطباء الفريقين يخطبون في قومهم ويحرضونهم على الحرب .

ساحة القتال

كانت ساحة القتال في الخريبة ، وهي - اليوم - بين الزبير والبصرة ويقال لها : (الخر) وهناك قبر طلحة .

اصطف الفريقان للقتال ، وكتَّب كل منهما الكتائب وخرج علي عليه السلام وعليه عمامة سوداء وقميص ورداءٌ وهو راكب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الشهباء .

وجاءت عائشة وهي في هودج على بعير وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وعبد الله بن الزبير وخلفها الجماهير الذين رافقوها من مكة وانضموا إليها في البصرة .

كان النشاط في أصحاب علي أكثر ، وكانوا يريدون الهجوم على العدو ، لكن الإمام كان يمنعهم ويقول لهم : لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم ، فقام إليهم وقال :

يا أهل البصرة هل تجدون عليَّ جوراً في حكم ؟ قالوا : لا . قال : فحيفاً في قسم ؟ قالوا : لا . قال : فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم ، فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي ؟ قالوا : لا . قال : فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم ؟ قالوا : لا . قال : فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث ؟ إني ضربت الأمر أنفه وعينه ولم أجد إلا الكفر أو السيف ، ثم التفت إلى أصحابه وقال : إن الله تعالى يقول في كتابه : **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون﴾**[1]. ثم قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمداً بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت هذه الآية، ثم التفت إلى ابن عباس وقال له : إمض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه .

جاء ابن عباس فبدأ بالزبير وقال له : إن أمير المؤمنين يقول ألم تبايعني طائعاً ؟ فبم تستحل دمي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا إليه ؟ فقال الزبير : إرجع إلى صاحبك ، فإنا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته .

انصرف ابن عباس إلى طلحة ، فوجد فيه الاستعداد للشر والحرب ،

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال له ابن عباس : والله ما أنصفتم رسول الله إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبيسة رسول الله ؟!! ونادى طلحة : ناجزوا القوم ، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب .

رجع ابن عباس وأخبره بالنتيجة السلبية وقال للإمام : ما تنتظر ؟ والله لا يعطيك القوم إلا السيف ، فأحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك . . .

فقال أمير المؤمنين : نستظهر بالله عليهم ، وهناك خرج أمير المؤمنين بين الصفين ونادى بأعلى صوته : أين الزبير ؟ فليخرج ثم نادى ثانياً ، وكان طلحة والزبير واقفين أمام صفيهما ، فخرج الزبير ، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام إليه ، فصاح به أصحابه يا أمير المؤمنين : أتخرج إلى الزبير - الناكث بيعته وأنت حاسر ؟ وهو على فرس شاكي السلاح ، مدجّج في الحديد وأنت بلا سلاح ؟؟

فقال أمير المؤمنين : ليس عليَّ منه بأس ، إنّ عليَّ منه جُنة واقية ، لن يستطيع أحد فراراً من أجله ، وإني لا أموت ، ولا أُقتل إلا بيد أشقاها ، كما عقر ناقة الله أشقى ثمود . فخرج إليه الزبير فقال عليه السلام : أين طلحة ؟ ليخرج . فخرج طلحة . وقربا منه عليه السلام ، حتى اختلفت أعناق دابتهما ، فقال أمير المؤمنين للزبير : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال الزبير : الطلب بدم عثمان .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنت وأصحابك قتلتموه ، فيجب عليك أن تقيد من نفسك . ولكن أُنشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا زبير : أتحب علياً ؟ فقلت : وما يمنعني عن حبه وهو ابن خالي ؟ فقال لك رسول الله : أما أنت فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم ؟

فقال له الزبير : أللهم بلى قد كان ذلك . فقال أمير المؤمنين : فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أما تذكر يوماً جاء

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عند ابن عوف ، وأنت معه ، وهو آخذ بيدك ، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي ، فضحكت أنا إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً .

فقال لك النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مهلاً يا زبير ، فليس به زهو ، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له ؟! فقال الزبير : أللهم بلى ، ولكن نسيت ، فأنا إذا ذكرتني ذلك فلأنصرفن عنك ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك . ثم التفت إليهما معاً وقال : نشدتكما الله أتعلمان وأولوا العلم من أصحاب محمد وعائشة بنت أبي بكر : أن أصحاب الجمل ، وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد خاب من افترى ؟

فقال الزبير : كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة ؟ فقال أمير المؤمنين : لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم . فقال الزبير : أما سمعت رسول الله يقول يوم أحد : أوجب طلحة الجنة ؟ ومن أراد أن ينظر إلى الشهيد يمشي على الأرض حياً فلينظر إلى طلحة ؟ أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : عشرة من قريش في الجنة ؟ فقال أمير المؤمنين : فسمّهم .

فجعل الزبير يعد تسعة منهم ، وفيهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . فقال أمير المؤمنين : عددت تسعة منهم فمن العاشر ؟ فقال الزبير : أنت .

فقال أمير المؤمنين : أما أنت فقد أقررت أني من أهل الجنة ، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فإني به لمن الجاحدين ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي الأمي إلي : أن بعض من سميت في تابوت في جُب في أسفل درك من جهنم ، وفي نسخة : إن في جهنم جباً ، فيه ستة من الأولين وستة من الآخرين ، على رأس ذلك الجب صخرة ، إذا أراد الله تعالى أن يسعر جهنم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت ، وإن في ذلك الجب من سميت ، وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي بيدك ، وإلا

فأظفرني الله بك وبأصحابك .

فقال أمير المؤمنين : دع هذا ، أفلست بايعتني طائعاً ؟ فقال الزبير : بلى .

فقال أمير المؤمنين : أفوجدت مني حدثاً يوجب مفارقتي ؟ فسكت الزبير ثم قال : لا جرم والله لأقاتلنك !

ثم التفت عليه السلام إلى طلحة وقال : يا طلحة : معكما نساؤكما ؟ فقال طلحة : لا .

فقال أمير المؤمنين : عمدتما إلى إمرأة موضعها في كتاب الله القعود في بيتها ، فأبرزتماها ! وصنتما حلائلكما في الخيام والحجال ؟ ما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر الله أن لا يكلّمن إلا من وراء حجاب .

أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما ، أما يرضى أحدكما بصاحبه ؟ أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ؟ ما يحملكما على ذلك ؟

فقال طلحة : يا هذا ، كنا في الشورى ستة ، مات منا واحد ، وقتل آخر ، فنحن اليوم أربعة ، كلنا لك كاره .

فقال أمير المؤمنين : ليس ذلك علي ، قد كنا في الشورى والأمر في يد غيرنا ، وهو اليوم في يدي أرأيت لو أردت بعد ما بايعت عثمان أن أرد هذا الأمر شورى أكان ذلك لي ؟ فقال طلحة : لا . فقال أمير المؤمنين : ولِمَ ؟

فقال طلحة : لأنك بايعت عثمان طائعاً . فقال أمير المؤمنين : وكيف ذلك ؟ والأنصار معهم السيوف مخترطة ، يقولون : لئن زغتم وبايعتم واحداً منكم ، وإلا ضربنا أعناقكم أجمعين ؟؟ فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً من هذا وقت ما بايعتماني ؟ وحجتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجتك وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين ، وكنتما أول من فعل ذلك ولم يقل أحد : لتبايعان أو لنقتلكما ؟

ثم انصرف الرجلان إلى صفهما ، فأراد الزبير الخروج من الحرب ، والانصراف إلى البصرة ، فقال له طلحة : ما لك يا زبير ؟ ما لك تنصرف عنا ؟ سحرك ابن أبي طالب ؟

فقال الزبير : لا ، ولكن ذكّرني ما كان أنسانيه الدهر ، واحتج عليّ ببيعتي له .

فقال طلحة : لا ، ولكن جبنت وانتفخ سحرك !!

فقال الزبير : لم أجبن ، ولكن أُذكرت فذكرت .

فقالت عائشة : ما وراءك يا أبا عبد الله ؟ فقال الزبير : والله ورائي ؟ إني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمري ، وما أكاد أُبصر موضع قدمي .

فقالت عائشة : لا والله ، بل خفت سيوف ابن أبي طالب ، أما إنها طوال حداد ، تحملها سواعد أمجاد ، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك .

فقال عبد الله بن الزبير : جبناً جبناً !!

فقال الزبير : يا بني قد علم الناس أني لست بجبان ، ولكن ذكّرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ، فحلفت أن لا أُقاتله .

فقال عبد الله بن الزبير : يا أبة أجئت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفا للحرب ، قلت : أتركهما وأنصرف فما تقول قريش غداً بالمدينة ؟ الله الله يا أبة : لا تشمت بنا الأعداء ، ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال .

فقال الزبير : ما أصنع يا بني وقد حلفت أن لا أُقاتله ؟

فقال عبد الله بن الزبير : كفِّر عن يمينك ، ولا تفسد أمرنا !!

فقال الزبير : عبدي مكحول حرّ لوجه الله ، كفارة ليميني !! ثم عاد

معهم للقتال .

فعند ذلك أخذ أمير المؤمنين عليه السلام المصحف بيده ، وطلب من يقرأ عليهم هذه الآية :

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله﴾ (١) .

فقام غلام حدث السن وأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف وقال هذا كتاب الله ، وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه ، فأمرت عائشة بإعدامه فقطعوا يديه ثم أحاطوا به وطعنوه بالرماح من جانب وكانت أُمه واقفة تنظر فصاحت وطرحت نفسها على ولدها .

كان الإمام عليه السلام ينتظر وقت الظهر لنزول الملائكة وكان يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، وكفُّكم عنهم حجة أُخرى فإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ولا تهيجوا إمرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاءُ القوى والأنفس والعقول . . . الخ .

كانت السهام تترى على الإمام وأصحابه كالمطر !! فصاح الناس : حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلون رجلاً رجلاً والله قد أُعذرت أن كنت تريد الإعذار !!!

هناك دعا الإمام إبنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية سوداءُ كبيرة وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام له : يا بني هذه راية ما ردّت قط ولا ترد قط !!

ثم لبس الإمام درع رسول الله ، وحزّم بطنه بعصابة أسفل من سرته ،

---

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٩ .

ثم قال الإمام لولده محمد بن الحنفية : يا أبا القاسم قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي !! وذلك أني لم أبارز أحداً إلا حدثتني نفسي بقتله ، فحدث نفسك بعون الله تعالى - بظهورك عليهم ! وأعطاه تعاليم حربية .

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام فصاح الإمام بإبنه محمد : إمض . فمضى . وتبعه أصحابه واشتعل القتال .

وأقبل الإمام يهرول وبيده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطخ السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم !! وزحف الجيش خلفه .

وحمل عمار بن ياسر على الميسرة ، ومالك الأشتر على الميمنة وحملوا حملة رجل واحد ، ونادى الإمام : عليكم بالسيوف . فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس ثم نادى المنادي : عليكم بالأقدام .

كان للفريقين أراجيز كثيرة جداً مذكورة في محلها وقد ذكرنا شيئاً منها في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة .

وقُتل طلحة في ذلك اليوم ولم يعرف قاتله ، قيل : إن مروان بن الحكم رماه بسهم فقتله يطلب بذلك ثأر عثمان وكان أهل البصرة كل من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل وارتجز وقاتل حتى قتل .

فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول :

يا معشر الأزد عليكم أمّكم ... فإنها صلاتكم وصومكم
والنعمة العظمى التي تعمكم ... فاحضروها جدّكم وحزمكم
لا يغلبن سمُّ العدو سمكم ... إن العدو إن علاكم رمكم
وخصّكم بجوره وعمكم ... لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقاتل حتى قُتل :

فخرج رجل آخر فأخذ بخطام الجمل وقال :

يـا أُم يـا أُم خـلا مـني الـوطـن	لا أبـتغي القبـر ولا أبغي الكـفـن
من هيهنـا محشـر عـوف بن قـطن	إن فـاتـنـا اليـوم علي فـالـغبـن
أو فـاتـنـا آبنـاه حسـين وحسـن	إذن أمـت بـطول هـم وحـزن

وغير ذلك من الأراجيز المذكورة في كتب التاريخ ، واشتعلت النار ، واستعر القتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فصاح علي عليه السلام ما أراه بقاتلكم غير هذا الهودج ، إعقروا الجمل أو عرقبوه ، فإنه شيطان ، أو : اعقروه وإلاّ فنيت العرب لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوى هذا البعير إلى الأرض . فضُرب عجز الجمل فوقع لجنبه ، وضرب بجرانه الأرض وعجَّ عجيجاً لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب ، وسقط الهودج ، فصاح الإمام إقطعوا البطان .

فقطع محمد بن الحنفية البطان وأُخرج الهودج فقالت عائشة مَنْ أنت ؟ فقال محمد : أبغض أهلك إليك . فقالت عائشة : إبن الخثعمية ؟ فقال محمد : نعم ، ولم تكن دون أُمهاتك ! فقالت عائشة : لعمري بل هي شريفة ، دع عنك هذا ، الحمد لله الذي سلمك . فقال محمد : قد كان ذلك ما تكرهين . فقالت عائشة : يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت فقال محمد : كنت تحبين الظفر وأني قُتلت ؟ فقالت عائشة : قد كنت أُحب ذلك ولكنه لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرابتي منك فاكفف ، ولا تعقب الأمور ، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة ، فإن أباك لم يكن لومة ولا عذلة . وجاء علي فقرع الهودج برمحه وقال : يا شقيراء بهذا أوصاك رسول الله ؟ فقالت عائشة : يا ابن أبي طالب ملكت فاصفح وظفرت فاسجح . فقال أمير المؤمنين والله ما أدري متى أشتفي غيظي ؟ أحين أقدر على الإنتقام فيقال لي : لو عفوت أم حين أعجز من الإنتقام فيقال لي : لو صبرت !! بلى أصبر فإن لكل شيءٍ زكاة ، وزكاة القدرة

والمكنه : العفو والصفح .

ثم التفت عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر وقال : شأنك بأُختك فلا يدنو منها أحد سواك .

فأمر عليه السلام فاحتُملت عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة ، وأمر بالجمل أن يُحرق ثم يذرى في الريح وقال عليه السلام إشارة إلى الجمل : لعنه الله من دابة ، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم تلى : **﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾** [1] .

ركبت عائشة وهي تقول : فخرتم وغلبتم ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ونادى أمير المؤمنين : يا محمد بن أبي بكر سلها هل وصل إليها شيءٌ من الرماح والسهام ؟ فسألها فقالت : نعم وصل إليَّ سهم ، خَدشَ رأسي وسلمت من غيره ، الله بيني وبينكم .

فقال محمد : والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه ؟ وتؤلبين الناس على قتاله ؟ وتنبذين كتاب الله وراء ظهرك ؟ فقالت عائشة : دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني .

فأمر الإمام أن يحملها أخوها إلى دار ابن خلف في البصرة ، فحملها وهي لا تفترّ عن سبِّ الإمام وسب أخيها محمد بن أبي بكر والترحم على أصحاب الجمل .

ومرّ الإمام على القتلى وجعل يخاطبهم ويعاتبهم ، وخاطب كعباً وطلحة بعد قتلهما فقيل له : أتكلم هؤلاء بعد القتل ؟ فقال : والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله يوم بدر .

ثم نادى منادي الإمام : مَن أحب أن يواري قتيله فليوارِه .

---

(١) سورة طه ؛ الآية :٩٧ .

وأمر أصحابه وقال لهم : قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها فإنهم يحشرون على الشهادة وإني لشاهد لهم بالوفاء .

فجاء ابن عباس يطلب الأمان لمروان بن الحكم فأمره الإمام بإحضار مروان فلما حضر قال له الإمام أتبايع ؟ فقال مروان : نعم وفي النفس ما فيها !! فقال الإمام : الله أعلم بما في القلوب . فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفه من كف مروان وجذبها ، وقال : لا حاجة لي فيها ، إنها كف يهودية ، لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بإسته ، ثم قال : هيه يا بن الحكم : خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة ؟ كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبرة .

أما الزبير فإنه خرج من المعركة ووصل إلى منطقة في ضواحي البصرة يقال لها (وادي السباع) فقتله عمر بن جرموز وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه وجاء بها إلى معسكر الإمام واستأذن ودخل وإذا به يرى القائد الأعلى للمسلمين جالساً وبين يديه ترس عليه أقراص من الطعام الشعير ، فسلَّم عليه ، وهنأه بالفتح عن الأحنف ، لأن الحرب كانت قد وضعت أوزارها حينئذ ، وقال : أنا رسول الأحنف ، وقد قتلت الزبير ، وهذا رأسه وسيفه ، فألقاهما بين يديه ، فقال عليه‌السلام كيف قتلته ؟ وما كان من أمره ؟ فحدّثنا كيف كان صنعك به ؟ فقص عليه ما جرى فقال : ناولني سيفه . فناوله سيفه ، فاستلَّه وهزّه . وقال : سيف أعرفه ، سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. ثم التفت علي عليه‌السلام إلى ابن جرموز قائلاً : والله ما كان إبن صفية جباناً ولا لئيماً ، ولكن الحين ومصارع السوء . ثم تفرس في وجه الزبير وقال : لقد كان لك برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم صحبة ومنه قرابة ، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد . فقال ابن جرموز : الجائزة يا أمير المؤمنين . فقال عليه‌السلام : أما إني سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول : بشّر قاتل ابن صفية بالنار .

وقبض أمير المؤمنين عليه‌السلام ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة

ومملوك ومتاع فقسّمه بين أصحابه ، فقال بعض أصحابه : أقسم بيننا أهل البصرة ، فاجعلهم رقيقاً . فقال : لا ، فقالوا : كيف تحل لنا دماؤهم وتحرم علينا سبيهم ؟ فقال : كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام ؟ وأما ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم ، وأما ما وارت الدور وأُغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ، ولا نصيب لكم في شيءٍ منه .

فلما أكثروا عليه قال : فأقرعوا على عائشة لأدفعها إلى من تصيبه القرعة !! فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا .

فلما دخل عليه السلام بيت المال في نفر من المهاجرين والأنصار ، ونظر إلى كثرة ما فيه قال : غرّي غيري : مراراً ، ثم نظر إلى المال ، وصعّد وصوّب بصره ، وقال : أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة ، فقسم بينهم ، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً ، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره ، وكان مقدار المال ستة ملايين ، وعدد أصحابه إثني عشر ألف رجل .

وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم ، فجاءه رجل لم يحضر الواقعة فقال : يا أمير المؤمنين : كنت شاهداً بقلبي ، وإن غاب عنك جسمي فأعطني من الفيء شيئاً . فدفع إليه الذي أخذه لنفسه ، ولم يصب من الفيء شيئاً .

وفي رواية أُخرى : جاء رجل فقال : إن إسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام : ردوها عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي لم يصل إليّ من هذا المال شيءٌ . ولما فرغ من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : أيها الناس إني أحمد الله على نعمة ، قتل طلحة والزبير وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً ، وهانت باطلاً ، لكان لها في بيتها مأوى ، وما فرض الله عليها الجهاد ، وأن أول خطأها في نفسها ، وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة ، وما ازداد

عدوكم إلا حقداً وما زادهم الشيطان إلا طغياناً ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله ، وإننا لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل ويجمعنا الله وإياهم يوم الفصل واستغفر الله لي ولكم .

أرسل أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل ، وقلة العرجة ـ الإقامة ـ فجاءها ابن عباس وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة ، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له ، فجاء ابن عباس ودخل عليها بغير إذنها فإذا بيت قفار لم يُعَد له فيه مجلس ، فإذا هي من وراء سترين ، نظر ابن عباس إلى ما في الحجرة ، فوقع بصره على طنفسة على رحل ، فمد الطنفسة وجلس عليها ، فقالت عائشة من وراء الستر يا بن عباس أخطأت السنة : دخلت بيتنا بغير إذننا ، وجلست على متاعنا بغير إذننا !!

فقال ابن عباس : نحن أولى بالسنة منك ! ونحن علَّمناك السنة وإنما بيتك الذي خلَّفك فيه رسول الله فخرجت منه ظالمة لنفسك ، غاشة لدينك ، عاتية على ربك ، عاصية لرسول الله ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك ! ولم نجلس على متاعك إلا بأمرك ! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة .

فقالت عائشة : رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب !!

فقال ابن عباس : هذا والله أمير المؤمنين ، وإن تربدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس ، أما والله لهو أمير المؤمنين ، وأمسّ برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً وأكثر علماً ، وأعلى مناراً ، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر .

فقالت عائشة : أبيت ذلك !

فقال ابن عباس : أما والله إن كان إباؤك ـ عدم قبولك ـ فيه لقصير

المدة ، عظيم التبعة ، ظاهر الشؤم ، بيِّن النكر ، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاة حتى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين ، وما كان مثلك إلاَّ كمثل ابن الحضرمي ابن يحمان أخي بني أسد حيث يقول :

ما ذاك إهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركتهم كأن قلوبهم ... في كل مجمعة طنين ذباب

سمعت عائشة فأراقت دمعتها ، وبدا عويلها ثم قالت :

أخرج والله عنكم ، فما في الأرض بلد أبغض إلي من بلد تكونون فيه .

فقال ابن عباس : فَلِمَ ؟ والله ماذا بلاؤنا عندك ، ولا يضعنا إليك ، إنا جعلناك للمؤمنين أُماً ، وأنت بنت أُم رومان ، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة : حامل قصاع الودك لابن جذعان إلى أضيافه .

فقالت عائشة : يا ابن عباس تمنُّون عليّ برسول الله ؟!!!

فقال ابن عباس : ولِمَ لا نمن عليك بِمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به ؟ ونحن لحمه ودمه ومنه ، وما أنت إلا حشية من حشايا تسع ، خلفهن بعده ، لست بأبيضِهِنَّ لوناً ولا بأحسنهن وجهاً ولا بأرشحهن عرقاً ، ولا بأنضرهن ورقاً ، ولا بأطهرهن أصلاً ، صرت تأمرين فتُطاعين وتدعين فتجابين وما مثلك إلا كما قال أخو بني فهر :

مننت على قومي فابدوا عداوة ... فقلت لهم : كفوا العداوة والشكرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقكم ... وأحجى بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

ثم نهض ابن عباس وأتى أمير المؤمنين فأخبره بمقالتها ، وما ردَّ عليها فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما لو كنت أعلم بك حيث بعثتك .

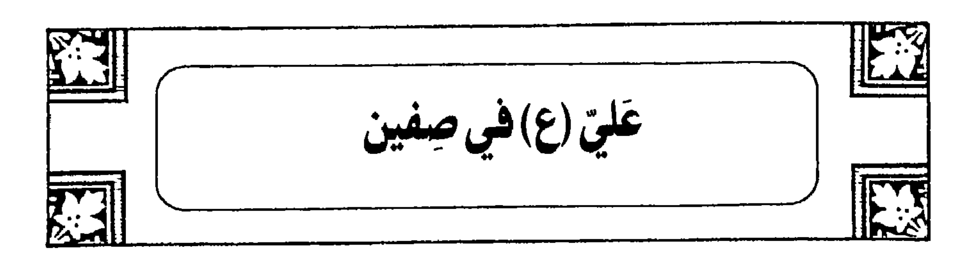
استمرت الحرب من الزوال إلى الغروب ، وقيل استمرت ثلاثة أيام . وعلى كل فقد بلغ عدد القتلى خمسة وعشرين ألف قتيل . ستة آلاف من

أصحاب الإمام والباقون من أصحاب الجمل ، وأما الأيدي والأرجل التي قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً .

هكذا تروَّت الأرض بالدماء ، وهكذا زُهقت الأرواح ولا تسأل عن الجرحى ولا تسأل عن أرامل القتلى ويتاماهم .

هذا والكلام طويل وفي هذا المقدار كفاية .

الليلة الخامسة عشرة



بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة حول الحرب الثانية التي وقعت في أيام أمير المؤمنين عليه السلام وهي واقعة صفين ، تلك المجزرة الرهيبة ، التي تقشعر الجلود من استماع الحوادث ، والفجائع التي وقعت في تلك المعركة ، وضياع الحق وغلبة الباطل عن طريق الخدعة والغدر والمكر والتزوير ، وتتجلى صحيفة أمير المؤمنين نقية بيضاء متلألأة ، وتتمثل فيها العدالة والتقوى والورع ، نذكرها في صورة موجزة :

لما انتهت غزوة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها ، ورجع الإمام عليه السلام إلى الكوفة مظفراً منصوراً ، بعث كتاباً إلى معاوية يأمره بأخذ البيعة له عليه السلام ، وبعث الكتاب بيد رجل إلى الشام ، وجمع معاوية بعض مشاهير الشام وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته فيما بين الناس : «أن علياً قتل عثمان ، ومعاوية وليّ دم عثمان ، فيجب الطلب بثأر عثمان ودمه» وأعانه على هذه الفكرة عمرو بن العاص واشترط على معاوية أنه إذا بايعه وأعانه على حرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمير المؤمنين عليه السلام يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً على مصر ، فبايعه على ذلك وبايع أهل الشام معاوية أيضاً .

فنهض معاوية بجيشه الجرار وأقبل إلى (صفين) ، وهو إسم أرض كبيرة واسعة ، مستعداً للقتال ونهض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعسكره إلى ذلك المكان وبعد أيام من وصوله استعرت نار الحرب فيما بين الفريقين وجرت أنهار من الدماء ، وتكونت أتلال وجبال من الأجساد المضرجة من القتلى من الفريقين . فقد وصل أبو الأعور السلمي وهو على مقدمة جيش معاوية إلى منطقة صفين ، الكائنة بالقرب من مدينة الرقة في سوريا ، ونزلا منزلاً اختاروه مستوياً واسعاً واستولوا على شريعة الفرات .

فوصل مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف رجل وهم مقدمة الجيش العلوي ، فاصطدموا بأبي الأعور وأزالوهم عن الفرات ، فوصل معاوية مع الجيش الجرار ، فانسحب الأشتر عن الفرات ، فاستولى معاوية وأصحابه على شاطىء الفرات وصار الماء لديهم فوصل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعه مائة ألف إنسان ويزيدون ، فأمر الإمام الجيش أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم وأحمالهم ، وتسرع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً قليلاً .

وتقدّم طائفة من الناس إلى الفرات ليستقوا فمنعهم أهل الشام فأرسل الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى معاوية رسولاً يعاتبه على تسرعه بالاستيلاء على الماء وجرى هنا كلام طويل .

كان عمرو بن العاص ينصح معاوية ويأمره أن يفسح المجال لأصحاب علي ليشربوا ، ولكن غرور معاوية منعه عن قبول النصيحة ، وخاصة بعد أن استولى أصحابه استيلاءً تاماً على الفرات ، حتى قال معاوية : يا أهل الشام هذا أول الظفر ، لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه حتى يُقتلوا بأجمعهم . وتباشر أهل الشام من هذه البشرى السارة وهي التغلب على العدو عن طريق حبس الماء ، فقام رجل من أهل الشام همداني متعبد وقال : يا معاوية سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء ؟ أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه ، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات ؟ أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير

والضعيف ومن لا ذنب له ؟؟ هذا والله أول الجور .

فأغلظ له معاوية في الكلام وقال لعمرو : إكفني صديقك ، فأتاه عمرو وقابله بالكلام الخشن ، فسار الهمذاني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام .

ومكث أصحاب علي عليه السلام يوماً وليلة بغير ماءٍ ، واغتم الإمام عليه السلام من عطش أصحابه ، لأنهم باتوا في البر عطاشا ، قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية :

إن علياً لا يموت عطشاً ، هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ، ولكن دعهم يشربون وتشرب . فقال معاوية : لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان !!

وخرج الإمام في تلك الليلة يدور في عسكره فسمع قائلاً يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟	وفينا علي وفينا الهدى
وفينا الصلاة وفينا الصيام	وفينا المناجون تحت الدجى

ثم مرَّ بآخر فسمعه يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟	وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا علي له صولة . .	إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير	وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا أمس أُسد العرين	وما بالنا اليوم شاء عجف

وأُلقي على الأشعث رقعة فيها شعر ، فلما قرأها هاجت فيه الحمية ، ودخل على الإمام .

فقال : يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا ؟ خل عنا وعن القوم ، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت !! فقال الإمام : ذلك إليكم . فرجع الأشعث فنادى في الناس : من يريد

الماء أو الموت فميعاده موضع كذا ، فإني ناهض .

فخرج إثنا عشر ألف رجل من قبيلة كندة وغيرهم ، واضعي سيوفهم على عواتقهم ، وأقبل الأشتر بخيله فحملوا على الفرات حملة رجل واحد وأخذت السيوف أهل الشام ، فولوا مدبرين حتى غمست خيل أمير المؤمنين سنابكها في الفرات واستولوا على الماء ، وأزالوا أبا الأعور عن الشريعة وغرَّقوا منهم بشراً وخيلاً ، وارتحل معاوية عن ذلك الموضع ، ولما صار الماء بأيديهم قالوا : لا والله لا نسقيهم ، فأرسل إليهم أمير المؤمنين : أن خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم ، وخلوا بينهم وبين الماء فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم !! وقالوا له : إمنعهم الماء كما منعوك ، فقال : لا ، خلوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون !!

واستأذنه معاوية في وروده المشرعة فأباح الإمام له ذلك .

كان الإمام عليه السلام يحاول المحافظة على السلم والسلام والأمان كما فعل يوم الجمل فلم يزل يرسل الأفراد إلى معاوية للتفاهم وحسم النزاع وكان معاوية مصراً على الحرب والقتال .

وأخيراً اشتعلت نار الحرب واصطدم العسكران ، فزحف بعضهم على بعض ، وتراموا بالنبال والحجارة حتى فنيت ، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض ، وانكسفت الشمس وأمطرت السماء دماً ، وحملت الأفواج على الأفواج .

وحيث أن الحرب كانت قد طالت على الفريقين أراد كل جانبٍ إنهاء الأمر وسئِموا البقاء هناك ، ولهذا تبادروا إلى القتال واستمرت الحرب ستة وثلاثين ساعة ، واقترب الجيش العلوي من مقر قيادة الجيش الأُموي وطلب معاوية فرساً لينهزم ، وكان أهل الشام ينادون : يا معشر العرب : الله الله في الحرمات من النساء والبنات !! الله الله في البقية !! لقد فنيت العرب . . . الخ .

اقتـرب الجيش العلوي من الفتح ، ولاح لهم الـظفر والنصـر وتـوجـه الخطر إلى معاوية ولم يستطع المقاومة إلا عن طريق الخدعة والمكر ، فأمر معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرمـاح ، وأصبح الصباح وإذا بأهل العراق يشاهـدون خمسمائـة مصحف على رؤوس الرماح وأهل الشام ينادون بما تقدم من كلامهم ، ويستعـطفون أهـل العراق ويـطلبون منهم تـرك الحرب ، وكـان آخـر كـلامهم : هـذا كتـاب الله بيننـا وبينكم . فقال الإمام : اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون .

ومن هنـا اختلف أصحاب علي ، فـطائفة قـالت : القتـال ، وطـائفـة قالت : المحاكمة إلى الكتاب ، ولا يحـل لنا الحـرب وقد دُعينـا إلى حكم الكتاب .

فعند ذلك بـطلت الحـرب ووضعت أوزارهـا ، وكان عـدي بن حاتم يرى أن الفتح والنصر قد اقتـرب ، ويطلب من الإمـام إدامة الحـرب ، وقام عمـرو بن الحمق وطلب من الإمام أن يعمـل بمـا يـرى ، فقـام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الخشن وطلب كف القتال .

فقـال الإمـام : إني أحق من أجـاب إلى كتـاب الله ، ولكن معـاويـة وعمـرو بن العـاص وإبن أبي معيط وابن أبي سـرح وابن مسلمـة ليسـوا بأصحاب دين ولا قرآن !! وإني أعرف بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شر صغار وشر رجال !!

ويحكم !! إنهـا كلمة حق يـراد بها البـاطل ، إنهم مـا رفعـوهـا أنهم يعـرفونهـا ويعملون بهـا ، ولكنهـا الخـديعـة والـوهن والمكيـدة ، أعيـروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعـه ، ولـم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا .

استمرت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرير مائة وعشـرة أيام وبلغ عدد القتلى من أهـل الشام تسعين ألفـاً ومن أهل العـراق عشرين ألفاً والمجموع مائة وعشرة آلاف كما ذكره المسعودي .

فجاء الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنَّعين في الحديد حاملي سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسودت جباههم من كثرة السجود ، وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج ، فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين وقالوا : يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا إبن عفان ، فوالله لنفعلها إن لم تجبهم !!

فقال الإمام عليه السلام : ويحكم !! أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب . . . ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون .

كان مالك الأشتر في تلك الساعة يقاتل ويتقدم لحظة بعد لحظة ، وجيش معاوية كان ينسحب وينقرض ساعة بعد ساعة ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهت الحرب .

فصاح هؤلاء : يا أمير المؤمنين إبعث إلى الأشتر ليأتيك . فبعث الإمام رجلاً إلى الأشتر : أن إئتني . فقال الأشتر : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي ، إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني .

رجع الرسول فأخبر الإمام ، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح ، ولكن القوم قالوا : يا أمير المؤمنين ما نراك إلا أمرته بالقتال .

فقال الإمام : أرأيتموني شاورت رسولي إليه ؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : إبعث إليه ، وإلا فوالله إعتزلناك !!

فذهب الرسول إلى الأشتر وأخبره عن اختلاف القوم ، وما كان الأشتر يحب مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة فقال له الرسول : أتحب أنك ظفرت ههنا ، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويُسلم إلى عدوه ؟؟ ، فقال الأشتر : سبحان الله !! لا والله ، لا أُحب ذلك فقال

الرسول : فإنهم قد حلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتيك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك !!

أقبل الأشتر مغضباً وصاح بالقوم : يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها . . . فلا تجيبوهم ، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح . قالوا : لا نمهلك .

جرى كلام طويل وعتاب بين الأشتر والقوم وآل الأمر إلى السب والشتم والصياح ، فصاح بهم الإمام ، فكفوا ، فصاح القوم : أن أمير المؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن .

كان الإمام ساكتاً لا يتكلم ، والقوم يتكلمون ، ولما سكتوا قال الإمام : أيها الناس إن أمري لم يزل معكم على ما أُحب إلى أن أخذت منكم الحرب . . . إلا : إني أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت منهياً ، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون .

اضطرب أقوال الرجال وقام الرؤساء وتكلموا بما تكلموا من الموافقة على رأي الإمام ورفض المحاكمة ، ولكن المهرجين نشروا هذه الكلمة : إن أمير المؤمنين رضي التحكيم .

ودخل الأشعث بن قيس ـ رأس الفساد ـ واستأذن من الإمام ليكون رسولاً إلى معاوية فأذن له الإمام ، فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال : لأي شيءٍ رفعتم هذه المصاحف ؟ فقال معاوية : لنرجع إلى ما أمر الله به فيها ، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ، ونبعث رجلاً منا ، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ، ولا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه .

فرجع الأشعث . فأقبل جماعة من أصحاب الإمام وجماعة من أصحاب معاوية واجتمعوا بين الصفين وتذاكروا حول انتخاب (الحكم) فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص ، وانتخب الأشعث ونظراؤه أبا موسى

الأشعري فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض بـه ، وقال الأشعث وجمـاعة : لا نرضى إلا به ، فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عباس ليكون (حكمـاً) فلم يرض الأشعث بابن عبـاس لأنه من أقـارب الإمام فـاختار الإمـام الأشتر فلم يرضوا به .

جادل الأشعث بكل وقاحة وصلافة ، وردّ على الإمام جميع مقترحاتـه وبقي مصـراً على انتخاب الأشعـري ، فقال الإمـام : فـاصنعـوا مـا شئتم ! وكان يصفق بيديه ويقول : يا عجباً ! أُعصى ويُطاع معاوية ؟؟!!

أرسلوا إلى أبي مـوسى الأشعري وكـان في الشام فجـاء إلى معسكـر الإمـام ، فجاء الأشتـر ورشح نفسـه ليكون هـو الحكم ، وجـاء الأحنف بن قيس وحذر الإمام من الأشعـري وعجزه وضعف نفسـه ورشح نفسـه للحكم فـوافق الإمام على ذلـك ، ولكن الناس رفضـوا وقـالـوا : لا يكـون إلا أبـا موسى .

وكتبوا كتاب الموادعة وهذه صورته :

هـذا ما تقـاضى عليه علي أميـر المؤمنين معاويـة بن أبي سفيان . . . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : بئس الـرجل أنـا إن أقررت أنـه أمير المؤمنين ثم قاتلته !!

أُعيـد الكتـاب إلى الإمـام وأخبـروه فـأمـر الإمـام بمحـو كلمـة (أميـر المؤمنين) فنهاه الأحنف عن ذلك ، فقال الأشعث : أُمح هذا الإسم . . . !!

فقـال الإمام : إن هـذا اليوم كيـوم الحـديبيـة حين كتب الكتـاب عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هـذا مـا صـالـح عليـه محمـد رسـول الله وسهيـل بن عمرو . . . فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أُقاتلك ولم أُخالفـك ، إني إذن لظالم لك . . . ولكن أُكتب : محمد بن عبد الله .

فقـال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يـا علي إني لـرسـول الله وأنـا محمـد بن عبد الله ، ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم .

إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً .

فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! أتشبّهنا بالكفار ونحن مسلمون ؟ فقال الإمام : يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً ؟

ولما أرادوا تنظيم الكتاب سألوا الإمام : أتقر أنهم مسلمون مؤمنون ؟

فقال الإمام : ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه .

فكتبوا الكتاب ، وكان في أعلى الكتاب خاتم أمير المؤمنين وفي أسفله خاتم معاوية وشهد الشهود عليها وخرج الأشعث بالكتاب وقرأه على أهل العراق فهاج الناس وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة وتكونت الخوارج وصاحوا : لا حكم إلا لله . فأين قتلانا يا أشعث ؟ وحمل بعضهم على الأشعث ليقتله .

وأقبل الناس إلى الإمام مستنكرين للحكومة وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلى الحرب فقال الإمام : ويحكم ! أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع ؟ أليس الله تعالى قد قال : أوفوا بالعقود ؟ وقال : ﴿**أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً**﴾[1] .

فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم ، وأقبل الجيش يستأذنون الإمام بالهجوم على معاوية فقال الإمام عليه السلام : لو كان هذا قبل المعاهدة وسطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم .

توجه الأشعري للاجتماع بابن العاص للمحاكمة ، فحذّره الناس عن

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٩١ .

ابن العاص وغدره ومكيدته وسوء سوابقه حتى يتخذ التدابير اللازمة ويكون على بصيرة من أمره ، ولكن كان كل هذا بلا جدوى بلى كانت النتيجة معكوسة .

اجتمع الحكمان في المكان المعد لهما فقال عمرو : تكلم يا أبا موسى فقال الأشعري : بل أنت تكلم . فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأُقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة . . . فتكلم أبو موسى فقال عمرو : إن للكلام أولاً وآخراً ومتى تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله . فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا ؟ فقال أبو موسى : اكتب ، دعى عمرو بصحيفة وكاتب .

وبعد سؤال وجواب وخداع وتزوير قال الأشعري : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وأن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ، فهلم نخلعهما ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطاب . فقال عمرو : أيفعل ذلك ابن عمر ؟ قال : نعم ، إذا حمله الناس على فعل ذلك فعل . فقال عمرو : فهل لك في سعد بن أبي وقاص ؟ قال : لا ، فذكر ابن العاص جماعة والأشعري لا يرضى بهم .

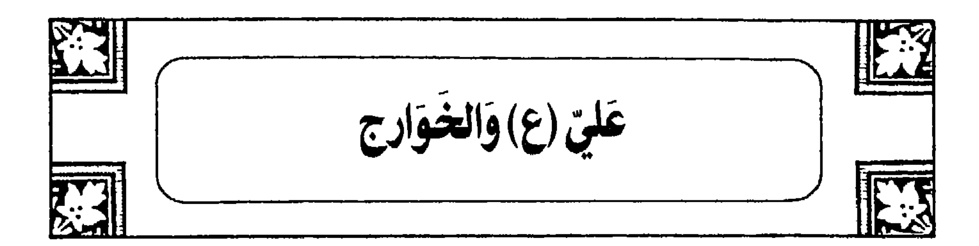
فقال عمرو : قم واخطب . فقال الأشعري : قم أنت واخطب فامتنع ابن العاص وقام الأشعري وخرج من الخيمة وقد اجتمع أربعمائة رجل من أصحاب الإمام ومثلهم من أصحاب معاوية .

فقام الأشعري وخطب خطبة وقال : أيها الناس إنا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولمّ الشعث وحقن الدماء وجمع الأُلفة خلعنا علياً ومعاوية ، وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه ، وخلع عمامته . . .

وقام عمرو وقال : أيها الناس إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وأني خلعت علياً وأُثبّت معاوية علي وعليكم . . .

فقال الأشعري كـذب عمرو لم نستخلف معـاوية ولكنـا خلعنا معـاوية وعليـاً ! فقـال عمـرو بـل كـذب عبـد الله بن قيس قـد خلع عليـاً ولم أخلع معـاوية . فقـال الأشعري : مـا لك ؟ لا وفقـك الله غدرت وفجـرت ، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقـال عمرو : بـل إياك يلعن الله ، كـذبت وغدرت إنمـا مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . فضرب عمرو أبا موسى فسقط وضرب شـريح عمـراً بـالسوط ، فـركب الأشعري راحلتـه وتوجـه إلى مكة وحلف أن لا ينـظر في وجه علي .



عليّ (ع) والخوارج

بسم الله الرحمن الرحيم

لما تقرر التحكيم غادر الإمام عليه السلام صفين وقصد نحو الكوفة ، وبقي في الكوفة ، فوقع تحكيم الحكمين ، وأنتج ذلك التحكيم خلع الإمام عليه السلام عن الإمامة وتثبيت معاوية ، ومن هنا تكوَّنَ مذهب الخوارج وكان الإمام عليه السلام ينتظر انقضاء السنة . . وهي مدة الهدنة التي بينه وبين معاوية ليرجع إلى المقاتلة والحرب ، وإذا بأربعة آلاف فارس من أصحابه العبّاد والنساك قد تكتلوا كتلة واحدة ضد الإمام فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله !!

وانضمت إليهم جماعة أُخرى وهم ثمانية آلاف ممن يرى رأيهم فصاروا إثني عشر ألفاً ، من أهل الكوفة والبصرة وغيرها وساروا إلى أن نزلوا الحروراء ، ونادى مناديهم : إن أمير القتال شبث بن ربعي ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فدخل زرعة الطائي وحرقوص بن زهير ـ ذو الثدية ـ فقالا : لا حكم إلا لله . فقال علي عليه السلام : كلمة حق يراد بها الباطل . قال ذو الثدية : فتب من خطيئتك ، وارجع عن قصتك ، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى

نلقى ربنا . فقال عليه السلام : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً ، وأعطينا عليها عهوداً ومواثيق ، وقد قال الله تعالى : ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾[1] .

قال ذو الثدية : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه . فقال عليه السلام : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف في العقل ، وقد تقدمت فنهيتكم عنه . فقال ابن الكوا : الآن صحَّ عندنا أنك لست بإمام ، ولو كنت إماماً لما رجعت . فقال عليه السلام ويلكم قد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية عن قتال أهل مكة .

وقال زرعة : أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه ! فقال عليه السلام : بؤساً لك ! ما أشقاك ! كأني بك قتيلاً ، تسفي عليه الرياح ، قال زرعة : وددت أنه كان ذلك .

بعث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام صعصعة بن صوحان مع زياد بن نضر وعبد الله بن العباس إلى القوم فلم يرتدعوا ، فدعى الإمام صعصعة وقال له : بأي القوم رأيتم أشد طاعة ؟ فقال صعصعة : بيزيد بن قيس الأرحبي ، فركب عليه السلام إلى حروراء حتى وصل إلى خيمة يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج ، فاتكأ على قوسه ، وأقبل على الناس فقال : هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامة ، ثم كلمهم وناشدهم فقال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : إن هذه مكيدة ووهن ، ولو أنهم قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم ؟ أفتعلمون أن أحداً أكره إلى التحكيم مني ؟ قالوا : صدقت . قال : فهل تعلمون أنكم استكرهتموني على ذلكم حتى أجبتكم ، فأشرطت أن حكمهما : نافذ ما حكما بحكم الله ، فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء ، وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني ؟

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٩١ .

فقال ابن الكواء : حكّمت في دين الله برأينا ، ونحن مُقرّون بأنا كفرنا ولكن الآن تائبون فأقرر بمثل ما أقررنا به ، وتب ننهض معك إلى الشام . فقال عليه السلام : أما تعلمون أن الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وإمرأته ؟ فقال سبحانه : ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾[1] . وفي صيد «كأرنب» يساوي نصف درهم فقال : «يحكم به ذوا عدل منكم» .

فقالوا له : فإن عمرو بن العاص لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين محوت إسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب ، فقد خلعت نفسك .

فقال عليه السلام : لي أُسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب : هذا ما كتبه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهيل بن عمرو وقال : لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك ، ولكني أُقدمك لفضلك ، فاكتب محمد بن عبد الله فقال لي : يا علي ، امح رسول الله .

فقلت : يا رسول الله لا تشجعني نفسي على محو إسمك من النبوة .

فقضى عليه فمحاه بيده ثم قال : اكتب محمد بن عبد الله . ثم تبسم إليّ وقال : إنك لتسأم مثلها فتعطي .

فقالوا : إنا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم ، وقد تبنا ، فتب إلى الله كما تبنا نعُد لك . فقال علي عليه السلام : أستغفر الله من كل ذنب . فرجعوا معه منهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا : أن علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما ينتظر أن يسمن الكراع ويجيء المال ثم ينهض بنا إلى الشام . فأتى الأشعث علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا : أنك رأيت الحكومة ـ تحكيم الحكمين ـ ضلالاً والإقامة عليها كفراً . فقام علي عليه السلام فخطب فقال : من زعم أني رجعت عن

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٣٥ .

الحكمين فقد كذب ، ومن رآها ضلالة فقد ضلّ . فخرجت الخوارج من المسجد ، ثم توجهت إلى النهروان .

ووقعت لهم في طريقهم إلى النهروان طرائف عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة ، فمنها : أنهم وجدوا مسلماً ونصرانياً في طريقهم ، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم ، واستوصوا بالنصراني وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم .

ووثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فمه فصاحوا به ، فلفظها تورعاً .

ورأى أحدهم خنزيراً فضربه وقتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض وأنكروا قتل الخنزير .

وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقالوا : ما كنا لنأخذها إلا بالثمن ، فقال النصراني : واعجباه أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة إلا بالثمن ؟؟!!!

وأما عبد الله بن خباب الأزدي ، فإنه كان راكباً على حمار ومعه زوجته وهي حامل فقالوا له :

حدثنا . قال سمعت أبي يقول : قال رسول الله : ستكون بعدي فتنة ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً فكن عند الله المقتول ولا تكن القاتل .

قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم ؟ وفي عثمان في السنين الست الأخيرة ؟ فأثنى خيراً . قالوا : فما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة ؟

قال : إن علياً أعلم بالله وأشد توقياً على دينه ، وأنفذ بصيرة .

قالوا : إنك تتبع الهوى ، إنما تتبع الرجال على أسمائهم ، ثم قربوه

إلى شاطىء النهر فأضجعوه وذبحوه ، ثم عمدوا إلى امرأته فشقوا بطنها وهي حامل !!!!

وصل القوم إلى النهروان وتوجه الإمام عليه السلام بجيشه إليهم ، فقال عليه السلام : يا ابن عباس إمض إلى هؤلاء القوم ، فانظر ما هم عليه ، ولماذا اجتمعوا ؟ فلما وصل إليهم ، دار بينهم ما يلي :

الخوارج . ويحك يا ابن عباس : كفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب ! وخرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبي فسأله ابن عباس :

ابن عباس : من بنى الإسلام ؟

عتاب : الله ورسوله .

ابن عباس : النبي أحكم أموره وبيّن حدوده أم لا ؟

عتاب : بلى .

ابن عباس : فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل ؟

عتاب : بل ارتحل .

ابن عباس : فأمور الشرع ارتحلت معه أم بقيت ؟

عتاب : بل بقيت بعده .

ابن عباس : فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه ؟

عتاب : نعم ، الذرية والصحابة .

ابن عباس : فعمروها أو خربوها .

عتاب : بل عمروها .

ابن عباس : فالآن هي معمورة أم خراب .

عتاب : بل خراب .

ابن عباس : خربها ذريته أم أُمته ؟

عتاب : بل أُمته .

ابن عباس : أنت من الذرية أو من الأُمة ؟

عتاب : من الأُمة .

ابن عباس : أنت من الأُمة وخربت دار الإسلام فكيف ترجو الجنة ؟

فقالوا : ليخرج إلينا علي بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه فرجع ابن عباس فأخبره ، فركب عليه السلام في جماعة ، ومضى إليهم فركب ابن الكوا في جماعة منهم ، فلما التقوا قال الإمام عليه السلام : يا بن الكوا إن الكلام كثير ، فأبرز إليّ من أصحابك لأُكلمك . فقال : وأنا آمن من سيفك ؟ قال عليه السلام : نعم . فخرج إليه في عشرة من أصحابه فقال له علي عليه السلام . . . ألم أقل لكم إن أهل الشام إنما يخدعونكم بها ـ الحكومة ورفع المصاحف وغير ذلك ـ فإن الحرب قد عضتهم فذروني أُناجزهم فأبيتم ؟ ألم أرد نصب ابن عمي ـ ابن عباس ـ وقلت : إنه لا ينخدع فأبيتم إلا أبا موسى ؟ وقلتم : رضينا به حكماً . فأجبتكم كارهاً ؟ ولو وجدت في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم ، وشرطت على الحكمين بحضوركم . أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته . والسنة الجامعة ، وإنهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما علي ؟ كان ذلك أو لم يكن ؟

قال ابن الكواء : صدقت ، كان هذا كله ، فلِمَ لا نرجع الآن إلى حرب القوم ؟ قال الإمام عليه السلام : حتى تنقضي المدة التي بيننا وبينهم . قال ابن الكوا : وأنت مجمع على ذلك ؟ قال عليه السلام : نعم ، لا يسعني غيره ، فعاد ابن الكواء والعشرة الذين معه إلى أصحاب علي عليه السلام راجعين عن دين الخوارج وتفرق الباقون وهم يقولون : لا حكم إلا لله . وأمَّروا عليهم

عبد الله بن وهب الراسبي وذا الثدية ، وعسكروا بالنهروان ، وخرج الإمام عليه السلام حتى بقي على فرسخين منهم ، وكاتبهم وراسلهم ، فلم يرتدعوا ، فأمر الإمام ابن عباس أن يركب إليهم ، وقال : سلهم ما الذي نقموه ؟ وأنا ردفك فلا تخف منهم . فلما جاءهم ابن عباس قال : ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين ؟ قالوا : نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفَّرناه بها !! ـ والإمام يسمع كلامهم ـ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحق بالجواب . فتقدّم عليه السلام وقال : أيها الناس أنا علي بن أبي طالب ، فتكلموا بما نقمتم عليَّ . قالوا : نقمنا عليك أولاً :

إنا قاتلنا بين يديك بالبصرة ، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية ، فكيف حلَّ لنا ما في العسكر ولم يحل لنا النساء ؟

فقال عليه السلام : يا هؤلاء ، إن أهل البصرة قاتلونا بالقتال ، فلما ظفرتم بهم قسّمتم سلَب من قاتلكم ، ومنعتكم من النساء والذرية ، فإن النساء لم يقاتلن ، ولدوا على الفطرة ، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منَّ على المشركين ، فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم .

قالوا : نقمنا عليك يوم صفين كونك محوت إسمك من إمرة المؤمنين فإذن لم تكن أميرنا ، ولست أميراً لنا !!

قال عليه السلام : يا هؤلاء إنما اقتديت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين صالح سهيل بن عمرو وقد تقدمت عنهم في ذلك الوقت .

قالوا : نقمنا عليك . أنك قلت للحكمين : انظروا كتاب الله ، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة . فإذا كنت شاكاً في نفسك فنحن فيك أشدّ وأعظم شكاً !

قال عليه السلام : إنما أردت بذلك النصفة ـ الإنصاف ـ فإني لو قلت :

أحكماً لي دون معاوية لم يرض ولم يقبل ، ولو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنصارى نجران لمّا قدموا عليه : تعالوا نبتهل فأجعل لعنة الله عليكم . فلم يرضوا ، ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله فقال : ﴿**فنجعل لعنة الله على الكافرين**﴾[1] فأنصفهم من نفسه ، فكذلك فعلت أنا ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خدعة أبي موسى .

قالوا : فإنا نقمنا عليك أنك حكّمت حكماً في حقٍ هو لك .

فقال عليه السلام : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل ، وأنا اقتديت به ، فهل بقي عندكم شيءٌ ؟ فسكتوا وصاح جماعة منهم من كل جانب : التوبة التوبة يا أمير المؤمنين فأعطى أمير المؤمنين راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب من جاء إلى هذه الراية أو خرج من الجماعة فهو آمن . فرجع منهم ثمانية آلاف ، فأمر عليه السلام المستأمنين بالاعتزال وبقي أربعة آلاف منهم مستعدين للقتال ، فخطبهم الإمام ووعظهم فلم يرتدعوا ، وصاح مناديهم فيهم : دعوا مخاطبة علي وأصحابه ، وبادروا إلى الجنة . وصاحوا : الرواح إلى الجنة !!

وتقدم حرقوص ذو الثدية وعبد الله بن وهب وقالا : ما نريد بقتالنا إياك إلا وجه الله والدار الآخرة ، فقال عليه السلام : ﴿**هل أُنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾[2]؟ فكان أول من خرج أخنس بن العزيز الطائي ، فقتله الإمام عليه السلام وخرج عبد الله بن وهب ومالك بن الوضاح ، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام وقتل الوضاح وضرب ضربة على رأس الحرقوص وقتله ، وأمر أصحابه بالهجوم على العدو .

عند ذلك استعرت الحرب والتهبت نيرانها ، وأما عبد الله بن وهب

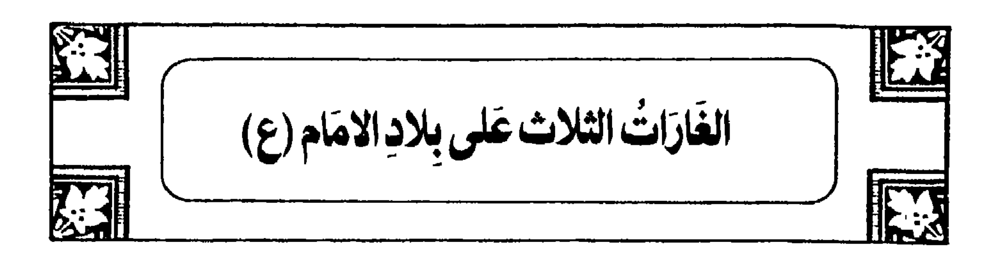
---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٢) سورة الكهف ؛ الآيتان : ١٠٣ و ١٠٤ .

الراسبي فصاح : يـا ابن أبي طالب : والله لا نبـرح من هذه المعـركة حتى تأتي على أنفسنا ونـأتي على نفسك ، فـأبرز إليَّ وأبـرز إليك ، وذر النـاس جـانباً ، فلمـا سمع الإمـام كلامـه تبسم وقال : قـاتله الله من رجل مـا أقلَّ حيـاءه ، أما أنـه ليعلم إني لحليف السيف وخدين الـرمح ، ولكنـه قد يئس من الحياة ، وإنه ليـطمع طمعـاً كاذبـاً ، ثم حمل عليـه الإمام فضـربه وقتله وألحقه بأصحابه في النار ، واختلط الجيشان فلم تكن إلا سـاعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف ، ولم ينج منهم إلا تسعة أنفس : رجلان هربـا إلى خراسان إلى أرض سجستـان وبها نسلهمـا ، ورجلان صـارا إلى اليمن وفيها نسلهما (وهم الإباضية) ، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضـع يعرف بالسن والبواريخ نواحي تكريت في شمال العراق والبـاقون تفـرقوا في البلاد .

وقُتل من أصحاب علي عليه السلام تسعة بعدد من سلمَ من الخوارج .



الغارات الثلاث على بلاد الامام (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

لما وقع التحكيم في صفين وحصل الانشقاق والافتراق في أصحاب الإمام وتكوّنت الخوارج انتهز معاوية الفرصة فكان يرسل الجيوش إلى بلاد الإمام عليه السلام ويفتك بالناس ويهاجمهم غدراً ويقتلهم صبراً .

وقد تكررت منه هذه الجريمة والجناية ، ونقتطف ثلاث غارات شنّها معاوية على المسلمين وأقام المجازر والمذابح وبلغ أقصى مراتب القساوة والوحشية والهمجية ، نذكر لكم كل غارة بشيءٍ من التفصيل :

الغارة الأولى

روى ابن أبي الحديد عن ابن الكنوز قال : حدثني سفيان بن عوف الغامدي قال : دعاني معاوية فقال : إني باعثك في جيش ذي أداة وجلادة ، فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بـ (هيت) فتقطعها ، فإن وجدت بها جنداً فأغِر عليهم ، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار ، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى توغل المدائن ثم أقبل إلي : واتق أن تقرب الكوفة ـ واعلم : أنك إن أغرت على الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة ـ إن هذه الغارات يا سفيان : على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرّح كل من له فينا هوى منهم ، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر ، فاقتل من

لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك ، واخرب كل ما مررت بـه من القرى ، وصرب الأموال شبيه بالقتل ، وهو أوجع للقلب .

هذه وصايا معاوية ، هكذا يأمر عميله بالقتل والحـرق والهدم والسلب والنهب بقوم مسلمين مؤمنين ، ومع ذلك هو أمير المؤمنين !!

قال سفيان : فخرجت من عنده فعسكـرت ، وقام معـاوية في النـاس فخطبهم فقال : أيها الناس ، إنتدبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه أجر ، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله . ثم نزل .

فوالله الذي لا إله غيره مـا مرت ثـالثة حتى خـرجت في ستة آلاف ، ثم لزمت شاطىء الفرات ، فأغذذت (أسرعت) السير حتى أمر بهيت فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها غريب ، كأنهـا لم تحلل قط ، فوطأتها حتى أمرّ بصدوراء ففروا ، فلم ألق بها أحداً ، فـأمضي حتى أفتتح الأنبار ، وقد أُنذروا بي ، فخـرج صاحب المسلحـة إليّ ، فوقف فلم أقـدم عليه حتى أخـذت غلمانـاً من أهل القـرية فقلت لهم : أخبـروني كم بالأنبار من أصحاب علي ؟ قالوا : عدة رجال المسلحة خمسمـائة ، ولكنهم تبددوا ورجعوا إلى الكوفة ، ولا ندري الذي يكـون فيها ، قـد يكون مـائتي رجل .

فنـزلت فكتّبت أصحابي كتـائب ، ثم أخذت أبعثهم إليـه كتيبـة بعـد كتيبة ، فيقاتلهم والله ويصبـر لهم ويطاردهم ، ويـطاردونه في الأزقـة ، فلما رأيت ذلـك أنزلت إليهم نحـواً من مـأتين ، وأتبعتهم الخيـل ، فلمـا حملت الخيل وأمامها الرجال تمشي لم يكن شيءٌ حتى تفرقوا ، وقتل صاحبهم في نحو ثلاثين رجلاً ، وحملنا مـا كان من الأنبـار من الأموال ، ثم انصـرفت ، فـوالله ما غـزوت غزاة كـانت أسلم ولا أقر للعيـون ، ولا أسرّ للنفوس منها وبلغني أنهـا رعبت الناس ، فلمـا عدت إلى معـاوية حـدثته الحـديث على وجهه فقال : كنت عنـد ظني بك . ولا تنـزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيـه مثل مـا يقضي فيه أميـره ، وإن أحببت توليـة ولَّيتك ، وليس لأحـد من

خلق الله عليك أمر دوني . . . الخ .

وصلت هـذه الأخبـار إلى الإمـام عليه السلام فصعـد المنبـر فخـطب النـاس وقال : إن أخاكم البكري ـ عامل الأنبار ـ قد أُصيب ، وهو اختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفاً أنكتموهم عن العراق أبداً ما بقوا .

ثم سكت عنهم رجـاء أن يجيبـوه أو يتكلم منهم متكلم ، فلم ينبس أحـد منهم بكلمة ، فلمـا رأى صمتهم نزل وخـرج يمشي راجـلاً حتى أتى النخيلة والناس خلفه حتى أحاط به القـوم من أشرافهم ، فقـالوا : إرجـع يا أميـر المؤمنين : نحن نكفيك فقـال : ما تكفـونني ، ولا تكفون أنفسكم !! فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله ، فرجـع وهو واجم ـ سـاكت ـ كئيب ، ودعي سعيـد بن قيس الهمداني . فبعثـه من النخيلة في ثمانيـة آلاف وذلك أنه أُخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف فخرج سعيـد بن قيس على شاطىء الفرات في طلب سفيان بن عوف حتى إذا بلغ عانات سرح أمـامه هـاني بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى أدنى قنسرين ، فقد فاتوه فانصرف .

ولبث الإمام عليه السلام ترى فيه الكآبـة والحزن حتى قَـدمَ سعيد بن قيس ، وكان عليه السلام تلك الأيام عليلاً ، فلم يقوَ على القيام في الناس بمـا يريـده من القـول ، فجلس بباب السـدة التي تصل إلى المسجـد ، ومعه إبنـاه الحسن والحسين عليهما السلام وعبـد الله بن جعفر ، ودعـا سعداً مـولاه فدفـع إليـه الكتـاب وأمره أن يقرأه على الناس ، فقام سعد بحيث يستمع أمير المؤمنين صوتـه ، ثم قرأ الخطبة :

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنـة فتحه الله لخـاصة أوليـائه وهو لباس التقـوى ، ودرع الله الحصينة ، وجُنتـه الوثيقـة ، فمن تركـه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشملة البلاء ، وديث بالصغار والقمار ، وضـرب على قلبه بالأسداد وأديل الحق منه بتضييع الجهـاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف .

ألا : وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : أُغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزِي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان ، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها .

ولقد بلغني : أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة ، فينتزع منها حجلها وقُلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين ، ما نال رجلاً منهم كلم ولا أُريق لهم دم ، فلو أن امرءً مسلماً مات بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً .

فيا عجباً ، عجباً والله يميت القلب ، ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً ! حين صرتم غرضاً يرمى ! يغار عليكم ولا تغيرون وتُغزَون وَلا تَغزُون ، ويُعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم : هذه حمّارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر . وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم : هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد . كل هذا فراراً من الحر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر .

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال! وعقول ربات الحجال ! لَوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة ـ والله ـ جرت ندماً وأعقبت سدماً ! قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعتموني نغب التهمام عليّ أنفاساً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب !! لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني ؟ ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع !! .

الغارة الثانية

وهذه جناية أُخرى قام بها أحد عملاء معاوية وهو بسر بن أرطأة أو ابن أبي أرطأة . روى ابن أبي الحديد : أن قوماً بصنعاء ـ اليمن ـ كانوا من أتباع عثمان يعظمون قتله ، لم يكن لهم نظام ولا رأس ، فبايعوا لعلي عليه السلام على ما في أنفسهم ، وعامل أمير المؤمنين على صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس وعامله على الجند سعيد بن نمران ، فلما اختلف الناس على عي عليه السلام بالعراق وقتل محمد بن أبي بكر بمصر ، وكثرت غارات أهل الشام ، تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان ، فبلغ ذلك عبيد الله بن العباس فأرسل إلى الناس من وجوههم ، ما هذا الذي بلغني عنكم ؟ قالوا : إنا لم نزل نفكر في قتل عثمان ، ونرى مجاهدة من سعى عليه .

فحبسهم ، فكتبوا إلى من في الجند من أصحابهم فساروا بسعيد بن نمران وأخرجوه من الجند ، وأظهروا أمرهم ، وخرج إليهم من كان بصنعاء وانضم إليهم كل من كان على رأيهم ، ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم ، إرادة أن يمنعوا الصدقة ، فالتقى عبيد الله بن العباس بسعيد بن نمران ومعهما شيعة علي عليه السلام ، فقال ابن عباس لابن نمران : والله لقد اجتمع هؤلاء ، وإنهم لنا لمقاربون وإن قاتلناهم لا نعلم على من تكون الدائرة ؟ فهلم لنكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بخبرهم .

فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام : أما بعد . فإنا نخبر أمير المؤمنين أن أتباع عثمان وثبوا بنا ، وأظهروا أن معاوية قد شيد أمره ، واتسق له أكثر الناس وإنا سرنا إليهم بشيعة أمير المؤمنين ، ومن كان على طاعته ، الخ .

فلما وصل كتابهما ساء علياً عليه السلام وأغضبه ، وكتب إليهما :

من علي أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران .

سلام الله عليكما ، فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد . فإنه لما أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة وتعظمان من

شأنها صغيراً ، وتكثران من عددها قليلاً ، وقد علمت أن نخب - جبن - أفئدتكما وصغر أنفسكما ، وشتات رأيكما وسوء تدبيركما هو الذي أفسد عليكما من كان عن لقائكما جباناً ، فإذا قدم رسولي عليكما فامضيا إلى القوم حتى تقرئا عليهم كتابي إليهم ، وتدعواهم إلى حظهم ، وتقوى ربهم ، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم ، وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواءٍ إن الله لا يحب كيد الخائنين .

فكتب عليه السلام : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء .

أما بعد . فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا يعقب له حكم ولا يُرد له قضاءٌ ، ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين ، وقد بلغني تجرؤكم وشقاؤكم وإعراضكم عن دينكم بعد الطاعة ، وإعطاء البيعة ، فسألت أهل الدين الخالص والورع الصادق واللب الراجح عن بدء مخرجكم وما نويتم به وما أحمشكم له فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيءٍ منه عذراً مبيناً ، ولا مقالاً جميلاً ولا حجة ظاهرة ، فإذا أتاكم رسولي فتفرقوا ، وانصرفوا إلى رحابكم ، أعف عنكم ، وأصفح عن جاهلكم وأحفظ قاصيكم ، وأعمل فيكم بحكم الكتاب ، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدوم جيشٍ جم الفرسان ، عظيم الأركان يقصد لمن طغى وعصى ، فتُطحنوا كطحن الرحى ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

وأرسل الكتاب مع رجل من همدان ، فقدم عليهم بالكتاب ، فلم يجيبوه إلى خير ، فقال لهم : إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيشٍ كثيف ، فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم . فقالوا : نحن سامعون إن عزل عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيداً .

فرجع الهمداني إلى علي عليه السلام فأخبره خبر القوم ، وكتبت تلك

العصابة حينئذ إلى معاوية يخبرونه ، فلما قدم كتابهم دعا معاوية بسر بن أرطأة ، وكان قاسي القلب ، فظاً سفاكاً للدماء ، لا رأفة عنده ولا رحمة فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن ، وقال له : لا تنزل على بلد على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم ، وأنك محيط بهم ثم اكفف عنهم ، وادعهم إلى البيعة لي ! فمن أبى فاقتله ، واقتل شيعة علي حيث كانوا !!

سار بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف ، وكان إذا وردوا ماءً أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها ، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر فيردون تلك الإبل ، ويركبون إبل هؤلاء لئلا يصل الخبر إلى البلاد التي يقصدونها فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب المدينة فاستقبلتهم قضاعة ينحرون لهم الجزر حتى دخلوا المدينة ، وعامل علي عليه السلام على المدينة يومئذٍ : أبو أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج عنها هارباً ، ودخل بسر المدينة فخطب الناس وشتمهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم ، وقال : شاهت الوجوه ، إن الله تعالى ضرب مثلاً : **﴿قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾**[1]. وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله ، كان بلدكم مهاجر النبي ومنزله ، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده ، فلم تشكروا نعمة ربكم ولم ترعوا حق نبيكم ، وقتل خليفة الله بين أظهركم ، فكنتم بين قاتل وخاذل ، ومتربص وشامت ، إن كان للمؤمنين قلتم : ألم نكن معكم ؟! وإن كان للكافرين نصيب قلتم : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟!.

ثم شتم الأنصار فقال : يا معشر اليهود ! وأبناء بني زريق ! وبني النجار ، وبني سالم ، وبني عبد الأشهل ! والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين ، وآل عثمان ، أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة !!.

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١١٢ .

فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ، ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزى ، ويقال إنه زوج أمه . فصعد إليه المنبر وناشده ، وقال : عترتك وأنصار رسول الله ، وليست بقتلة عثمان . فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ونزل ، فأحرق دوراً كثيرة . منها دار زرارة بن حرون ، ودار أبي أيوب الأنصاري ، وفقد جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : ما لي لا أرى جابراً ؟ يا بني سلمة . لا أمان لكم عندي أو أن تأتوني بجابر . فعاذ جابر بأم سلمة زوجة النبي ، فأرسلت إلى بسر بن أرطأة فقال : لا آمنه حتى يبايع . فقالت له أم سلمة إذهب فبايع . وقالت لإبنها عمر : إذهب فبايع ، فذهبا فبايعاه .

ثم خرج إلى مكة ، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس ، وكان عامل علي عليه السلام ودخلها بسر ، فشتم أهل مكة وأنّبهم ، ثم خرج عنهم واستعمل عليهم شيبة بن عثمان ، وفي طريقه من المدينة قتل رجالاً وأخذ أموالاً ، ثم دخل الطائف وشتم وقتل ، ثم دخل نجران وشتم وقتل ، حتى دخل صنعاء ، وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران ، وقد استخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكة ، فمنع بسراً عن دخولها ، وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوماً ، وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد .

ثم خرج بسر من صنعاء ، فأتى أهل جلسان وهم شيعة علي عليه السلام فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم ، وقتلهم قتلاً ذريعاً ، ثم رجع إلى صنعاء فقتل بها ماءة شيخ من أبناء فارس ، لأن إبني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت إمرأة من أبنائهم وذبح بسر إبني عبيد الله بمدية كانت معه ، «وكانا طفلين صغيرين وهما : عبد الرحمن وقثم» فلما أراد ذبحهما قيل : وكانا عند رجل من بني كنانة ، فقال له الكناني : ولِمَ تقتل هذين ولا ذنب لهما ؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما . قال : أفعل . فقتله ، ثم ذبحهما (!!) ، فخرجت نسوة من بني كنانة ، فقالت إمرأة : يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين ؟ والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام !!

والله يا ابن أرطأة إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير ، والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة ، وعقوق الأرحام لسلطانُ سوءٍ !!

فلما سمعت أُم الطفلين خبر ذبح ولديها أصابها ولهٌ على إبنيها ، فكانت لا تعقل ولا تصغي إلا إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا ، ولا تزال تطوف في الموسم تنشد الناس إبنيها بهذه الأبيات :

ها من أحسَّ بإبنيَّ اللذين هما	كالدرتين تشظي عنهما الصدفُ
يا من أحس بإبني اللذين هما	سمعي وقلبي فقلبي اليوم مردهف
يا من أحس بإبني اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مختطف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا	من قولهم، ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي إبني مرهفة	مشحوذة، وكذاك الإفك يقترف
حتى لقيت رجالاً من أرومته	شم الأُنوف لهم في قومهم شرف
فالآن ألعن بسراً حق لعنته	هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دلّ والهة حرّى مولهة	على حبيبين ضلا إذ غدى السلف

ولما بلغت هذه الأخبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جزع جزعاً شديداً ، ودعا على بُسر لعنه الله وقال : اللهم أسلبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله . فأصابه ذلك وفقد عقله ، وكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم أو يغشى عليه إلى أن مات عليه لعنة الله .

وبلغ عدد القتلى الذين قتلهم بسر في الحجاز واليمن ثلاثين ألفاً ، سوى الذين أحرقهم بالنار ، وعدا الدور التي هدمها .

والخطب الأفظع الأشنع الذي ارتكبه عميل معاوية بسر بن أرطأة هو أنه لما أغار على قبيلة همدان ، وهم شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام : قتل رجالهم وسبى نساءهم ، فكن أول مسلمات سُبين في الإسلام ، ولقد أشار سيدنا أبو ذر الغفاري إلى هذه الجناية التي تقشعر منها الجلود جلود أهل الغيرة والحمية والإيمان ـ بقوله : وأما يوم العورة : فإن

نساء من المسلمات يسبين ، فيكشف عن سوقهن ـ جمع ساق ـ فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتريت على عظم ساقها ، فدعوت الله أن لا يدركني هذا الزمان .

فصدرت هذه الجناية من بسر بن أرطأة . أنه بعد أن سبي نساء الشيعة من همدان وذهب بهم إلى الشام أقامهن في السوق ، وعرضهن للبيع كما ذكرنا .

ووصلت هذه الأخبار الفجيعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في الكوفة وكان عليه السلام يجلس كل يوم في موضع من المسجد الأعظم يسبح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس ، فلما طلعت نهض إلى المنبر فضرب بإصبعيه على راحته وهو يقول : ما هي إلا الكوفة ، ما هي إلا الكوفة ، أقبضها وأبسطها ، إن لم تكوني إلا أنت ، تهب أعاصيركِ ، فقبّحكِ الله ، ثم تمثل بقول الشاعر :

لعمر أبيك الخير يا عمرو: إنني على وضرٍ من ذا الإناءِ قليل

ثم قال :

أُنبئت بُسراً قد أطلع على اليمن ، وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق ، وطاعتهم إمامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم صاحبكم ، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته :

اللهم : إني قد مللتهم وملّوني ، وسئمتهم وسئموني ، فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم مُث قلوبهم كما يماث الملح في الماء .

أما والله لوددت أنَّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غُنمٍ :

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر .

الغارة الثالثة

ذكر إبن أبي الحديد أنه أرسل معاوية النعمانَ بن بشير وأبا هـريرة إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يسألانه أن يدفع قتلة عثمـان إلى معاويـة ليقتص منهم ، لعل الحرب أن تطفأ ويصطلح الناس ، وإنما أراد معاوية أن يـرجع مثـل النعمان وأبي هـريرة من عنـد علي عليه السـلام وهم لمعـاويـة عاذرون ولعلي لائمون ، لأن معاوية كان يعلم أن علياً لا يـدفع قتلة عثمـان إليه ، فأراد أن يكـون هذان يشهـدان له عنـد أهل الشـام بذلـك ، وأن يظهـر عذره .

فقال لهما معاوية : إئتيا علياً فانشداه الله وسلاه (إسألاه) بالله لما دفع إلينا قتلة عثمان ، فإنه قـد آواهم أو منعهم ، ثم لا حرب بيننـا وبينه ، فـإن أبى فكونوا شهداء لي عليه وأقبلا على الناس وأعلماهم ذلك .

فأتيا علياً عليه السلام فدخلا عليه فقال له أبو هريرة : يا أبـا حسن ، إن الله قد جعل لـك في الإسلام فضـلاً وشرفـاً : أنت ابن عم محمد رسول الله وقد بعثنا إليك ابن عمك معاوية يسـألك أمـراً تسكن به هـذه الحرب ، ويصلح الله تعالى به ذات البين . أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمه فيقتلهم بـه ، ويجمع الله تعـالى أمرك وأمـره ، ويصلح بينكم وتسلم هذه الأُمـة من الفتنة والفرقة .

ثم تكلم النعمان بنحو من هذا ، فقال عليه السلام : دعـا الكلام في هذا ، حدثني يا نعمان : أنت أهدى قومك سبيلاً ؟ (يعني الأنصـار) فقال : لا . قال : فكل قومك تبعني إلا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشذاذ ؟

فقال النعمان : أصلحك الله إنما جئت لأكـون معك وألـزمك ، وقـد كـان معاويـة سألني أن أُودي هـذا الكـلام ، ورجـوت أن يكـون لي مـوقف

أجتمع فيه معك ، وطمعت أن يجري الله بينكما صلحاً ، فإذا كان غير هذا رأيك فأنا ملازم وكائن معك .

فأما أبو هريرة فلحق بالشام ، وأقام النعمان عند علي عليه السلام ، فأخبر أبو هريرة معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل ، وأقام النعمان بعده ، ثم خرج فاراً من علي عليه السلام حتى إذا مرَّ بعين التمر ، أخذه مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي عليها ، فأراد حبسه وقال له : ما مرَّ بك هيهنا ؟ قال : إنما أنا رسول ، بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت . فحبسه مالك وقال : كما أنت حتى أكتب إلى علي فيك . فناشده ، وعظم عليه أن يكتب إلى علي فيه ، فأرسل النعمان إلى قرطة بن كعب الأنصاري وهو كاتب عين التمر يجبي خراجها لعلي عليه السلام ، فجاءه مسرعاً فقال لمالك : خل سبيل ابن عمي يرحمك الله . فقال يا قرطة إتق الله ولا تتكلم في هذا فإنه إن كان من عبّاد الأنصار ونساكهم كيف يهرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين ؟. فلم يزل يقسم عليه حتى خلى سبيله وقال له : يا هذا الأمان اليوم والليلة وغداً ، والله لئن أدركتك بعدها لأضربن عنقك .

فخرج مسرعاً لا يلوي على شيءٍ ، وذهبت به راحلته فلم يدر أين تتكع من الأرض ثلاثة أيام لا يعلم أين هو ، ثم قدم إلى معاوية فخبره بما لقي ، ولم يزل معه مصاحباً له ، يجاهد علياً ويتبع قتلة عثمان حتى غزى الضحاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف إلى معاوية ، فقال معاوية : أما من رجل أبعث معه بجريدة خيل حتى يغير على شاطىء الفرات فإن الله يرعب بها أهل العراق ؟

فقال له النعمان : فابعثني فإن لي في قتالهم نية وهوى ـ وكان النعمان عثمانياً ـ قال : فانتدب على إسم الله . فانتدب وندب معه ألفي رجل وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات ، وأن لا يغير إلاَّ على مسلحة ، وأن يعجل الرجوع .

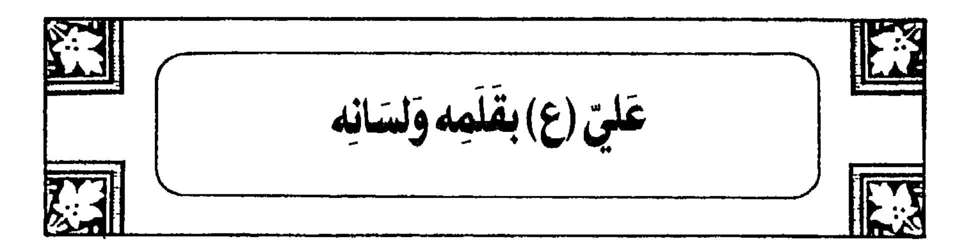
فأقبل النعمان حتى دنى من عين التمر ، وبها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له ما ذكرناه ومع مالك ألف رجل ، وقد أذن لهم ، فقد رجعوا إلى الكوفة ، فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها ، فكتب مالك إلى علي عليه السلام :

أما بعد : فإن النعمان بن بشير قد نزل بي في جمع كثيف ، فمر رأيك سددك الله تعالى وثبتك والسلام .

فوصل الكتاب إلى علي عليه السلام ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أُخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم ، فإن النعمان بن بشير قد نزل في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً .

ثم نزل ، فلم يخرجوا ، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمر أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئاً ، واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أو دونها فقام عليه السلام فقال : «مُنيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ! ما تنتظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يجمعكم ؟ ولا حمية تحمشكم ؟ أقوم فيكم مستصرخاً ، وأُناديكم متغوثاً فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة ، فما يُدرك بكم ثأر ، ولا يبلغ بكم مرام ، دعوتكم إلى نصر إخوانكم ، فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر ، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر ، ثم خرج إليّ منكم جُنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» .

الليلة الثامنة عشرة



عليّ (ع) بقلمه ولسانه

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحمد لله كما يحب أن يحمد ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير البرية ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾[1] .

أيها الإخوان : لقد ذكرنا في الليالي الماضية شيئاً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول نفسه ومواهبه ومزاياه ومواقفه ، والليلة : نستمع إلى شيءٍ من خطبه عليه السلام المشتملة على فضائله وفواضله ، وخصائصه ، ومكارم أخلاقه ، وبعبارة أُخرى نستمع إلى تاريخ حياته من لسانه ، ونقرأ كتاباً خاصاً كَتبه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف والي البصرة وهو من جلائل كتبه ورسائله ومشاهيرها ، وقد رأيت ترجمته بلغات عديدة ، ويمتاز هذا الكتاب عن غيره لأنه بقلم رئيس حكومة كان يحكم على نصف الكرة الأرضية ، وحياة الناس ومماتهم بين شفتيه ، وكنوز الذهب والفضة تحت يده ، ومع ذلك كله ومع تلك الإمكانيات اختار لنفسه أبسط معيشة وأزهد حياة لا يستطيع أي فرد من أفراد البشر أن يسلك طريقته ويكون مثله ، ضع يدك على من شئت وقارن بين حياته وحياة أمير المؤمنين فيظهر لك صدق هذا الكلام ، وتعرف أن الإمام هو الرجل الوحيد في مواهبه ومزاياه .

---

(١) سورة القيامة ؛ الآية : ١٤ .

نستمع إلى كلامه ونقرأ كتابه بقلمه ، فإنه أعرف بنفسه من غيره ، ومهما ظهرت نفسيات الإنسان وصفاته واطلع عليها الناس ومع ذلك فإن في حياة الإنسان الداخلية والخارجية أسراراً وسرائراً وخفايا ونوايا لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى والإنسان نفسه ، فالإنسان أبصر بنفسه من غيره وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ .

لم يقصد الإمام عليه السلام من بيان هذه الأمور تزكية نفسه بل بيان حقائق عن شخصيته لا يستطيع أحد أن يناقشه فيها أو يكابر .

وهنا نقتطف من خطبه الشيء اليسير ومن رسائله رسالة واحدة وفيها الكفاية .

الخطبة الشقشقية

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتإي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم منها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده (ثم تمثل بقول الأعشى) :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيَّرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها[2] ويخشن مسّها . ويكثر العثار فيها . والإعتذار منها ، فصاحبها كراكِب الصعبة إن أشنق لها خرم . وإن أسلس لها تقحم ، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله ،

(١) سورة القيامة ؛ الآية : ١٤ .

(٢) وفي نسخة أخرى : كلمها .

جعلها في جماعة زعم أني أحدهم (!) فيا لله وللشورى (!) متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا . فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة[1] الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله . وأجهز عليه عمله وكبتْ به بطنته ، فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليَّ ينثالون عليَّ من كل جانب . حتى لقد وطىء الحسنان . وشقّ عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى ، وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾[2] بلى والله لقد سمعوها ووعوها . ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها . أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر . وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها . ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز . . . (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه قال له ابن عباس رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت . فقال : هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرَّت !! قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

قوله : (كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم) ، يريد أنه إذا شدّد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها وإن أرخى عليها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشنق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أيضاً ، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق .

---

(١) وفي نسخة أُخرى : خضم .

(٢) سورة القصص ؛ الآية : ٨٣ .

ومن كلام له عليه السلام

ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أني لم أردَّ على الله ولا على رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال ، وتتأخر فيها الأقدام ، نجدة أكرمني الله بها .

ولقد قبض رسول الله ﷺ وإنَّ رأسه على صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي . ولقد ولِّيت غسله ﷺ والملائكة أعواني ، فضجت الدار ، والأفنية ملأٌ يهبط وملأٌ يعرج ، وما فارقت سمعي هينمة منهم (الهينمة : الصوت الخفي) يصلُّون عليه حتى واريناه في ضريحه . فما أحق به مني حياً وميتاً ؟ فأنفذوا على بصائركم ، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم .

فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم .

ومن كلام له عليه السلام

والله لأن أبيت على حَسك السعدان مسهَّداً ، وأُجرَّ في الأغلال مصفداً ، أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها . والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بُرّكم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم ، وعاودني مؤكداً وكرر عليَّ القول مردّداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيعه ديني ، وأتبع قياده مفارقاً طريقي فأحميت له حديدةً ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل !! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه ؟ وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ؟ أتئن من الأذى ؟ ولا أئن من لظى ؟ وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ، ومعجونة شنئتها ، كأنما عُجنت بِريق حية

أو قيئها ، فقلت : أصلة أم زكاة أم صدقة ؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت . فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية . فقلت : هبلتك الهبول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟ أمختبط أنت ؟ أم ذو جنة أم تهجر ؟ والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ! ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى ؟ نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين .

ومن خطبة له عليه السلام

أما بعد أيها الناس. فأنا فقأت عين الفتنة ، ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري ، بعد أن ماج غيهبها ، واشتد كلَبها ، فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يُقتل من أهلها قتلاً ، ويموت منهم موتاً . ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين .

ومن خطبة له عليه السلام

أيها الناس إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياءُ بها أُممهم . وأدَّيت إليكم ما أدت الأوصياءُ إلى مَن بعدهم . وأدَّبتكم بسوطي فلم تستقيموا . وحدوتكم بالزواجر فلم تستوثقوا . لله أنتم ! أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ، ويرشدكم السبيل ؟

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً ، وأقبل منها ما كان مدبراً وأزمع الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى ، بكثير من الآخرة لا يفنى . ما ضرَّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء ؟ يسيغون الغصص ويشربون الرنق . قد والله لقوا الله فوفَّاهم

أجـورهم ، وأحلَّهم دارَ الأمنِ ، بعـد خـوفهم ؟ أين إخـواني الـذين ركبـوا الـطريق ومضـوا على الحق ؟ أين عمـار ؟ وأين ابن التيهـان ؟ وأيـن ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من إخـوانهم الذين تعـاقدوا على المنيـة ، وأُبرد بـرؤوسهم إلى الفجرة ؟ (قـال ثم ضرب بيـده على لحيته الشـريفة الكـريمة فأطال البكاء)، ثم قال عليه السلام :

أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه ، وتدبروا الفرض فأقامـوه أحيوا السنة وأماتوا البدعة ، دُعوا للجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقائد فاتَّبعوه (ثم نادى بأعلى صـوته :) الجهـاد . . . الجهاد عبـاد الله . ألا وإني معسكر في يومي هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج .

ومن كلام له عليه السلام

لم تكن بيعتكم إياي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحداً . إني أُريدكم لله وأنتم تـريدونني لأنفسكم . أيهـا النـاس ، أعينـوني على أنفسكم ، وأيم الله لأنصفن المـظلوم من ظالمـه ، ولأقـودن الـظالم بخـزامتـه ، حتى أُورده منهل الحق وإن كان كارهاً .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصـرة وقد بلغـه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها : أما بعد يا بن حنيـف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبـة فأسـرعت إليها تستـطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان ، ومـا ظننت أنك تجيب إلى طعـام قوم عـائلهم مجفوّ وغنيهـم مدعـوّ . فانـظر إلى ما تقضمـه من هذا المقضم ، فمـا اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنِل منه .

ألا وإن لكل مأمـوم إمامـاً يقتدي بـه ويستضيءُ بنور علمـه ، ألا وإنَّ إمـامكم قد اكتفى من دنيـاه بطمـريه ، ومن طعمـه بقرصيـه ألا : وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد .

فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبيّ طمرا . بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماءُ ، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين . ونعمَ الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها ، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر ، وسدَّ فُدَجها التراب المتراكم ؟، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق .

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة . ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى ؟ أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

ءَأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ؟ ولا أُشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أُسوة لهم في جشوبة العيش . فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همُّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقممها ، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها . أو أُترك سدى أو أُهمل عابثاً ، أو أجرّ حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة .

وكأني بقائلكم يقول : إذا كان (هذا) قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان .

ألا : وإن الشجرة البرية أصلب عوداً ، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأُ خموداً ، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد . والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت

عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها ، وسأجهد في أن أُطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد .

إليكِ عني يا دنيا فحبلك على غاربك ، قد انسللت من مخالبك ، وأفلتّ من حبائلك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك .

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك ؟ أين الأُمم الذين فتنتهم بزخارفك ؟ ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود .

والله لو كنتِ شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليكِ حدود الله في عباد غررتهم بالأماني وأُممٍ ألقيتهم في المهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاءِ إذ لا ورد ولا صدر . هيهات من وطىء دحضكِ زلق ، ومن ركب لججكِ غرق ، ومن إزورّ حبائلك وُفِّق . والسالم منكِ لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه عني .

فوالله لا أذل لك فتستذليني ، ولا أسلس لك فتقوديني .

وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ، ولأدعن مقلتي كعين ماءٍ نضب معينها مستفرغة دموعها .

أتمتلىءُ السائمة من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل عليٌ من زاده فيهجع ؟

قرّت إذاً عينه ! إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية .

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها ! وعركت بجنبها بؤسها . وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم . وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم

﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[1] .

فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك .

في كتاب الأنوار النعمانية عن كتاب المناقب مسنداً إلى صعصعة بن صوحان : أنه دخل على أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ضرب فقال : يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر ؟ قال علي عليه السلام : تزكية المرء نفسه قبيح . لكن قال الله تعالى لآدم : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[2]، وأنا أكثر الأشياء أباحها لي وتركتها وما قاربتها .

ثم قال : أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح ؟ قال علي : إن نوحاً دعا على قومه ، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي ، وابن نوح كان كافراً ، وإبناي سيد شباب أهل الجنة .

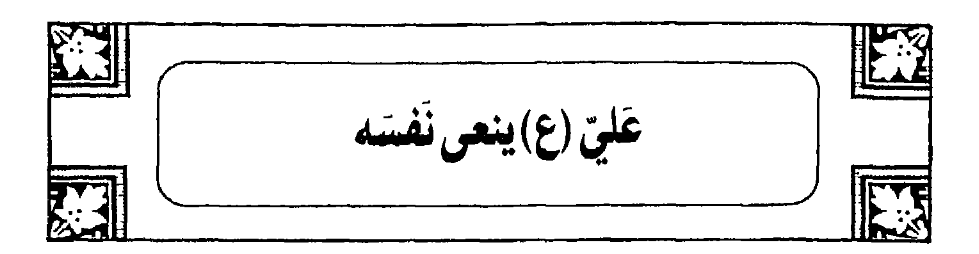
وقال : أنت أفضل أم موسى ؟ قال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال : ﴿إني أخاف أن يقتلون﴾ حتى قال الله تعالى : ﴿لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون﴾[3] قال : ﴿رب إني قتلت منهم نفساً وأخاف أن يقتلون﴾[4]وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله بتبليغ سورة البراءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم ، فذهبت بها وقرأتها عليهم وما خفتهم .

ثم قال : أنت أفضل أم عيسى بن مريم ؟ قال علي : عيسى كانت أمّه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول : أُخرجي ، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة ، وأنا أُمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول : أُدخلي . فدخلت في وسط البيت ، وأنا ولدت فيه ، وليس لأحد هذه الفضيلة ، لا قبلي ولا بعدي .

---

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٥ .
(٣) سورة القصص ؛ الآية : ٣٣ .
(٤) سورة النمل ؛ الآية : ١٠ .

الليلة التاسعة عشرة



عَليّ (ع) ينعى نَفسَه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين على المصيبة وصلى الله على محمد وآله المظلومين .

قال الله تعالى : **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾** [1] .

نبدأ حديثنا من هذه الليلة حول شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلقد سبق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر علياً بأنه يفوز بالشهادة في سبيل الله ، ففي يوم أُحد تأسف الإمام أمير المؤمنين على حرمانه الشهادة في ذلك اليوم فقال له النبي : إنها من ورائك . ويوم الخندق لما ضربه عمرو بن عبدود على رأسه كانت الدماء تسيل على وجهه الشريف فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشدّ جرحه ويقول له : أين أنا يوم يضربك أشقى الآخرين على رأسك ويخضب لحيتك من دم رأسك ؟؟

وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر جمعة من شهر شعبان وذكر ما يتعلق بشهر رمضان ، فقام علي عليه السلام وقال : ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣ .

وجل ، ثم بكى النبي فقال علي عليه السلام : ما يبكيك ؟ فقال : يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ! كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ، فضربك ضربةً على قرنك فخضب منها لحيتك ، قال الإمام : وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال : في سلامة من دينك . . . الخ .

وكان الإمام عليه السلام كثيراً ما يخبر الناس بشهادته واختضاب لحيته الكريمة بدم رأسه ، وحينما أتاه عبد الرحمن بن ملجم ليبايعه نظر علي في وجهه طويلاً ، ثم قال : أرأيتك إن سألتك عن شيءٍ وعندك منه علم هل أنت مخبر عنه ؟ قال : نعم ، وحلَّفه عليه فقال : أكنت تواضع الغلمان وتقوم عليهم وكنت إذا جئت فرأوك من بعيد قالوا : قد جاءنا ابن راعية الكلاب ؟؟ فقال : اللهم نعم .

فقال له : مررت برجل وقد أيفعت (صرت يافعاً) فنظر إليك نظراً حاداً فقال : أشقى من عاقر ناقة ثمود ؟ قال : نعم قال : قد أخبرتك أُمك أنها حملت بك في بعض حيضها ؟ فتعتع هنيئة ثم قال : نعم . فقال الإمام : قم . فقام ، قال عليه السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي» .

وقد تكرر منه عليه السلام أن رأى ابن ملجم فقال : أُريد حياته ويريد قتلي ، وفي تلك السنة الأخيرة من حياته والشهر الأخير من حياته كان يخبر الناس بشهادته فيقول : ألا وإنكم حاجو العام صفاً واحداً ، وآية (علامة) ذلك أني لست فيكم . فعلم الناس أنه ينعى نفسه ، ولم يكتفِ عليه السلام بذلك بل كان يدعو على نفسه ويسأل من الله تعالى تعجيل الوفاة ، وتارة كان يكشف عن رأسه وينشر المصحف على رأسه ويرفع يديه للدعاء قائلاً : اللهم إني قد سئمتهم وسئموني ومللتهم وملوني ، أما آن أن تخضب هذه من هذه ـ ويشير إلى هامته ولحيته .

وقبل الواقعة أخبر عليه السلام إبنته أُم كلثوم بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو

يمسح الغبار عن وجهه ويقول : يا علي لا عليك ، قضيت ما عليك . وكان الإمام قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة ، وفي شهر رمضان من تلك السنة كان الإمام يفطر ليلة عند ولده الحسن وليلة عند ولده الحسين وليلة عند إبنته زينب الكبرى زوجة عبد الله بن جعفر وليلة عند إبنته زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم .

وفي الليلة التاسعة عشر كان الإمام عليه السلام في دارة إبنته أم كلثوم فقدمت له فطوره في طبق فيه : قرصان من خبز الشعير ، وقصعة فيها لبن حامض ، فأمر الإمام إبنته أن ترفع اللبن ، وأفطر بالخبز والملح ، ولم يشرب من اللبن شيئاً لأن في الملح كفاية ، وأكل قرصاً واحداً ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقام إلى الصلاة ، ولم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله تعالى ، وكان يكثر الدخول والخروج وينظر إلى السماء ويقول : هي ، هي والله الليلة التي وعدنيها حبيبي رسول الله . ثم رقد هنيئة وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه ، ونهض قائماً على قدميه وهو يقول : اللهم بارك لنا في لقائك . ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ثم صلى حتى ذهب بعض الليل ، ثم جلس للتعقيب ، ثم نامت عيناه وهو جالس ، ثم انتبه من نومته مرعوباً ، وقالت أم كلثوم : قال لأولاده : إني رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتني وأريد أن أقصها عليكم قالوا : وما هي ؟ قال : إني رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وهو يقول لي : يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب ، يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك ، وأنا والله مشتاق إليك ، وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان ، فهلمّ إلينا فما عندنا خير لك وأبقى . قال : فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل ، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا ، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر قالت أم كلثوم : لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلِّب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول : والله ما كَذبت ولا كُذبت ، وإنها الليلة التي وُعدت بها ، ثم يعود

إلى مصلاه ويقول : اللهم بارك لي في الموت . ويكثر من قول : «إنا لله وإنا إليه راجعون» ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويستغفر الله كثيراً قالت أم كلثوم فلما رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت : يا أبتاه ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد ؟ قال : يا بنية إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً ، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ثم قال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» . فقلت يا أبا ما لَك تنعى نفسك منذ الليلة ؟ قال : بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل قالت أم كلثوم : فبكيت فقال لي يا بنية لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنه نعس وطوى ساعة ثم استيقظ من نومه ، وقال : يا بنية إذا قرب الأذان فأعلميني . ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى قالت أم كلثوم : فجعلت أرقب الأذان فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناءٌ فيه ماءٌ ، ثم أيقظته فأسبغ الوضوء ، وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ثم نزل إلى الدار وكان في الدار أوز قد أُهدي إلى أخي الحسين عليه السلام فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن ، وصحن في وجهه . وكان قبل تلك الليلة لم يصحن فقال عليه السلام : لا إله إلا الله ، صوائح تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر القضاء . فقلت : يا أبتاه هكذا تتطير ؟ فقال : بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطّير به . ولكن قول جرى على لساني ثم قال : يا بنية بحقي عليك إلا ما أطلقتيه ، وقد حبست ما ليس له لسان ، ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض . فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره فانحل مئزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول :

أُشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حل بناديكا
كما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يبكيكا

ثم قال : أللهم بارك لنا في الموت اللهم بارك لي في لقائك قالت أم كلثوم : وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت : واغوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ الليلة قال : يا بنية ما هو بنعاءٍ ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً ، فامسكي عن الجواب . ثم فتح الباب وخرج قالت أم كلثوم : فجئت إلى أخي الحسن عليه السلام فقلت : يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فالحقه فقام الحسن بن علي عليه السلام وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع .

وأما عدو الله : عبد الرحمن بن ملجم فكان على رأي الخوارج ، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام ، وقطام قد قُتل أبوها وأخوها وزوجها في النهروان ، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداءً لأمير المؤمنين وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشترطت عليه أن يقتل أمير المؤمنين عليه السلام فاستعظم هذا الأمر وطلبت منه ثلاثة آلاف دينار وعبداً وقينة (جارية) وينسب إليه هذه الأبيات :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المصمم

وقيل : إنه تعاهد هو ورجلين على قتل معاوية وعمرو بن العاص واختار الثالث قتل معاوية ، فقصد البرك بن عبد الله التميمي مصر ليقتل ابن العاص ، ولم يخرج ابن العاص تلك الصبيحة فأرسل رجلاً يقال له : خارجة بن تميم ، فلما وقف في المحراب ضربه البرك ظناً منه أنه ابن العاص فمات خارجة من تلك الضربة .

وأما الآخر ويقال له : العنبري فإنه قصد الشام يقصد قتل معاوية وتعرف بمعاوية وجعل يدخل عليه ويلاطف له في الكلام وينشده الأشعار حتى صارت صبيحة يوم التاسع عشر من شهر رمضان وجاء معاوية للصلاة وثار إليه العنبري ورفع السيف ليضرب عنقه فأخطأ الضربة فوقع السيف على إلية معاوية ، ولم يقتل من ضربته بل جرح جرحاً برء بالمعالجة .

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقد جاء تلك الليلة وبات في المسجد ينتظر طلوع الفجر ومجيء الإمام للصلاة وهو يفكّر حول الجريمة العظمى التي قصد ارتكابها ومعه رجلان : شبيب بن بحرة ووردان بن مجالد يساعدانه على قتل الإمام .

وسار الإمام إلى المسجد فصلى في المسجد ، ثم صعد المأذنة ووضع سبابتيه في أذنيه وتنحنح ، ثم أذّن ، فلم يبق في الكوفة بيت إلا اخترقه صوته ، ثم نزل عن المأذنة وهو يسبّح الله ويقدسه ويكبره ، ويكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يتفقد النائمين في المسجد ويقول للنائم : الصلاة ، يرحمك الله ، قم إلى الصلاة المكتوبة ثم يتلو : «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» . لم يزل الإمام يفعل ذلك حتى وصل إلى ابن ملجم وهو نائم على وجهه وقد أخفى سيفه تحت إزاره فقال له الإمام : يا هذا قم من نومك هذا فإنها نومة يمقتها الله ، وهي نومة الشيطان ، ونومة أهل النار بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء ، أو على يسارك فإنها نومة الحكماء ، أو نم على ظهرك فإنها نومة الأنبياء .

نعم ، الشمس تشرق على البرّ والفاجر والكلب والخنزير وكل رجس وقذر ، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يفيض من علومه على الأخيار والأشرار وينصح السعداء والأشقياء ولا يبخل عن الخير حتى لأشقى الأشقياء ، ويرشد كل أحد حتى قاتله !!

ثم قال له الإمام : لقد هممت بشيءٍ تكاد السماوات أن يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً ، ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ثم تركه ، واتجه إلى المحراب ، وقام قائماً يصلي ، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في صلاته ، فقام المجرم الشقي لإنجاز أكبر جريمة في تاريخ الكون !! وأقبل مسرعاً يمشي حتى وقف بإزاء الإسطوانة التي كان الإمام يصلي عليها ، فأمهله حتى صلى الركعة الأولى وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين وأخذ السيف وهزّه ثم ضربه على رأسه الشريف

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

فوقعت الضربة على مكان الضربة التي ضربه عمرو بن عبدود العامري .

فوقع الإمام على وجهه قائلاً : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم صاح الإمام : قتلني ابن ملجم ، قتلني ابن اليهودية ، أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم .

أخبر الإمام عن قاتله كيلا يشتبه الناس بغيره فيقتلون البريء ، كما قتل في حادثة قتل عمر بن الخطاب جماعة من الأبرياء المساكين الذين هجم عليهم عبيد الله بن عمر وقتلهم .

حتى في تلك اللحظة يحافظ الإمام على النظام وعلى حياة الناس ، نبع الدم العبيط من هامة الإمام وسال على وجهه المنير ، وخضب لحيته الكريمة وصدق كلام الرسول ووقع ما أخبر به ، لم يفقد الإمام وعيه وما انهارت أعصابه بالرغم من وصول الضربة إلى جبهته وبين حاجبيه ، فجعل يشد الضربة بمئزره ويضع عليها التراب ، ولم يمهله الدم فقد سال على صدره وأزياقه ، وعوضاً من التأوه والتألم والتوجع كان يقول صلوات الله عليه : فزت ورب الكعبة ! هذا ما وعد الله ورسوله ! وصدق الله ورسوله ! استولت الدهشة والذهول على الناس ، وخاصة على المصلين في المسجد ، وفي تلك اللحظة هتف جبرئيل بذلك الهتاف السماوي .

لم نسمع في تاريخ الأنبياء أن جبرئيل هتف يوم وفاة نبي من الأنبياء أو وصي من الأوصياء ، ولكنه هتف ذلك الهتاف لما وصل السيف إلى هامة الإمام وهو بعد حي ، هتف بشهادته كما هتف يوم أُحد بفتوته وشهامته يوم قال : لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار .

فاصطفقت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبَّت ريح عاصف سوداء مظلمة ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى قتل ابن عم محمد

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قتل الوصي المجتبى قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء .

فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت على وجهها ، وخدّها وشقت جيبها وصاحت : واأبتاه واعلياه وامحمداه واسيداه .

وخرج الحسن والحسين فإذا الناس ينوحون وينادون : واإماماه واأمير المؤمنيناه ، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط وكان أشبه الناس برسول الله .

فلما سمع الحسن والحسين عليهما السلام صرخات الناس ناديا : واأبتاه واعلياه ليت الموت أعدمنا الحياة ، فلما وصلا إلى الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس .

فلم يطق على النهوض ، وتأخر عن الصف وتقدم الحسن عليه السلام فصلى بالناس ، وأمير المؤمنين عليه السلام صلّى إيماءً من جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته يميل تارة ويسكن أخرى والحسن عليه السلام ينادي : واإنقطاع ظهراه ! يعزّ ـ والله ـ عليَّ أن أراك هكذا ـ ففتح الإمام عليه السلام عينه .

وقال : يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم ! هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء والحور العين محدقون فينتظرون قدوم أبيك ، فَطِب نفساً وقرّ عيناً وكف عن البكاء ، فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدم عنه ، وشدّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه ، ولسانه يسبح الله ويوحده ، وهو يقول أسألك يا

رب الرفيع الأعلى . فأخذ الحسن عليه السلام رأسه في حجره فوجده مغشياً عليه فعندها بكى بكاءً شديداً وجعل يقبّل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين عليه السلام ففتح عينيه فرآه باكياً .

فقال له الإمام عليه السلام : يا بني يا حسن ما هذا البكاء ؟ يا بني لا روع على أبيك بعد اليوم ! يا بني أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً ؟ ويقتل أخوك بالسيف هكذا ؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما ؟

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبتاه ما تُعرّفنا مَن قتلك ؟ ومن فعل بك هذا ؟ قال عليه السلام : قتلني ابن اليهودية : عبد الرحمن بن ملجم المرادي فقال : يا أباه من أي طريق مضى ؟ قال لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب . وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة .

ولم يزل السم يسري في رأسه وبدنه ثم أُغمي عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كندة ، فاشتغل الناس بالنظر إلى الباب ويرتقبون قدوم الملعون وقد غص المسجد بالعالم ما بين باكٍ ومحزون فما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت ، من الناس وقد جاؤوا بعدو الله ابن ملجم مكتوفاً هذا يلعنه وهذا يضربه .

فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوفاً وهم ينهشون لحمه بأسنانهم ، ويقولون له : يا عدو الله ما فعلت ؟ أهلكت أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقتلت خير الناس . وإنه لصامتٌ وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور وهو يرد الناس عن قتله وهو يقول هذا قاتل الإمام علي عليه السلام حتى أدخلوه المسجد .

وكانت عيناه قد طارتا في أُم رأسه كأنهما قطعتا علق وقد وقعت في وجهه ضربة قد هشمت وجهه وأنفه والدم يسيل على لحيته وعلى صدره ، وهو ينظر يميناً وشمالاً وعيناه قد طارتا في أُم رأسه وهو أسمر اللون وكان على رأسه شعر أسود منشوراً على وجهه كأنه الشيطان الرجيم .

فلما جاؤوا بـه أوقفـوه بين يـدي أميـر المؤمنين عليه السلام فلمـا نـظر إليـه الحسن عليه السلام :

قـال له : يـا ويلك يا لعين ! يـا عدو الله ! أنت قـاتل أميـر المؤمنين ومثكلنا بإمام المسلمين ؟ هذا جزاؤه منك حيث آواك وقـربك وأدنـاك وآثرك على غيرك ؟ وهل كان بئس الإمام لك حتى جازيته هذا الجـزاء يا شقي ؟؟ فلم يتكلم بل دمعت عيناه .

فقال له الملعون : يا أبا محمد أفـأنت تنقذ من في النـار ؟ فعند ذاك ضـجَّ النـاس بـالبكـاء والنحيب . فـأمـر الحسن عليه السلام بـالسكـوت ثم التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به حذيفة فقال له : كيف ظفرت بعدو الله وأين لقيتـه ؟ فقال : يـا مولاي كنت نـائماً في داري إذ سمعت زوجتي الـزعقة ، ونـاعياً ينعى أميـر المؤمنين عليه السلام وهـو يقـول : تهـدمت والله أركـان الهـدى وانـطمست والله أعـلام التقى قتـل ابن عم محمـد المصـطفى قتـل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء . فأيقظتني وقـالت لي : أنت نائم ؟ وقـد قتل إمامك علي بن أبي طالب . فانتبهت من كلامها فزعاً مرعوباً وقلت لها : يـا ويلك مـا هذا الكـلام ؟ رض الله فاك ! لعـل الشيطان قـد ألقى في سمعك هذا إن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعـة ولا ظلامـة ، فمن ذا الذي يقدر على قتـل أمير المؤمنين ؟ وهـو الأسد الضـرغام والبـطل الهمـام والفارس القمقـام فأكثـرت علي وقالت : إني سمعت مـا لم تسمـع وعلمت ما لم تعلم ، فقلت لها : وما سمعت فأخبرتني بالصوت .

ثم قالت : ما أظن بيتاً في الكوفة إلا وقد دخله هذا الصوت .

قال : وبينما أنا وهي في مراجعـة الكلام وإذا بصيحـة عظيمـة وجلبة وقائل يقول : قتل أميـر المؤمنين عليه السلام فحسّ قلبي بالشـر فمددت يـدي إلى سيفي وسللتـه من غمـده ، وأخـذتـه ونـزلت مسـرعـاً ، وفتحت بـاب داري وخرجت ، فلما صـرت في وسط الجادة نـظرت يميناً وشمـالاً وإذا بعدو الله يجول فيها ، يطلب مهرباً فلم يجد ، وإذا قد انسدت الطرقات في وجهـه ،

فلما نظرت إليه وهو كذلك رابني أمره فناديته : من أنت وما تريد ؟ لا أم لك ! في وسط هذا الدرب ؟ فتسمى بغير إسمه ، وانتمى إلى غير كنيته فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من منزلي قلت : وإلى أين تريد أن تمضي في هذا الوقت؟ قال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تقعد حتى تصلي مع أمير المؤمنين عليه السلام صلاة الغداة وتمضي في حاجتك ؟ فقال : أخشى أن أقعد للصلاة فتفوتني حاجتي . فقلت : يا ويلك إني سمعت صيحة وقائلاً يقول : قتل أمير المؤمنين عليه السلام فهل عندك من ذلك خبر ؟

قال : لا علم لي بذلك . فقلت له : ولم لا تمضي معي حتى تحقق الخبر وتمضي في حاجتك ؟ فقال : أنا ماض في حاجتي وهي أهم من ذلك . فلما قال لي مثل ذلك القول . قلت : يا لكع الرجال حاجتك أحب إليك من التجسس لأمير المؤمنين وإمام المسلمين ؟ وإذا والله يا لكع ما لك عند الله من خلاق . وحملت عليه بسيفي وهممت أن أعلو به ، فراغ عني فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبني إذ هبت ريح فكشفت إزاره وإذا بسيفه يلمع تحت الإزار وكأنه مرآة مصقولة . فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت : يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك ؟ لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين فأراد أن يقول : لا . فأنطق الله لسانه بالحق فقال : نعم ، فرفعت سيفي وضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلوني به فانحرفت عنه فضربته على ساقيه فأوقعته ووقع لجبينه ووقعت عليه وصرخت صرخة شديدة وأردت أخذ سيفه فمانعني عنه ، فخرج أهل الحيرة فأعانوني عليه حتى أوثقته وجئتك به ، فهو بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت .

فقال الحسن عليه السلام : ألحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه ثم انكب الحسن عليه السلام على أبيه يقبله وقال : يا أباه هذا عدو الله وعدوك قد أمكن الله منه . ففتح عينيه عليه السلام وهو يقول : إرفقوا بي يا ملائكة ربي .

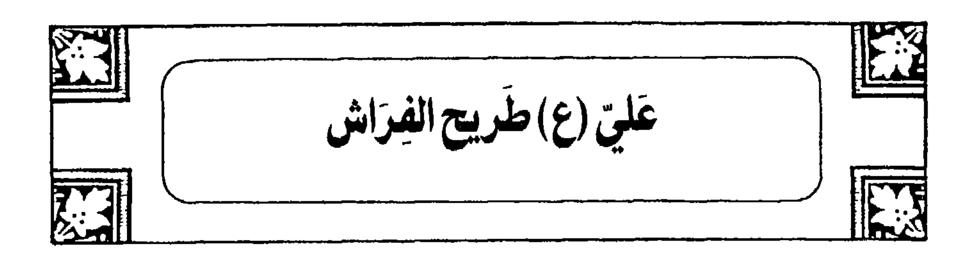
فقال له الحسن عليه السلام : هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك .

ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق في عنقه . فقال له بضعف وانكسار صوت ورأفة ورحمة : يا هذا لقد جئت عظيماً ، وارتكبت أمراً عظيماً ، وخطباً جسيماً ، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شفيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في عطائك ؟ ألم أكن يقال لي فيك كذا وكذا ، فخليت لك السبيل ومنحتك عطائي ؟ وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء ؟ فدمعت عينا ابن ملجم وقال يا أمير المؤمنين : أفأنت تنقذ من في النار . قال له : صدقت ثم التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له : إرفق يا ولدي بأسيرك . وارحمه وأحسن إليه واشفق عليه ، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أُم رأسه وقلبه يرجف خوفاً وفزعاً ؟؟ فقال له الحسن عليه السلام يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ فقال : نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرماً وعفواً ! والرحمة والشفقة من شيمتنا ! بحقي عليك فاطعمه يا بني مما تأكله ! واسقه مما تشرب ! ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً ! فإن أنا مُتُّ فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، وإن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به .

ولقد أحسن وأجاد المرحوم السيد جعفر الحلي (ره) :

لبس الإسلام أبراد السواد	يوم أردى المرتضى سيف المرادي
ليلة ما أصبحت إلا وقد	غلب الغي على أمر الرشاد
والصلاح انخفضت أعلامه	وغدت ترفع أعلام الفساد
ما رعى الغادر شهر الله في	حجة الله على كل العباد
وببيت الله قد جدّ له	ساجداً ينشج من خوف المعاد
يا ليال أنزل الله بها	سور الذكر على أكرم هادي
مُحيت فيك على رغم العلى	آية في فضلها الذكر ينادي

قــتــلوه وهــو فــي مــحــرابــه طــاوي الأحــشــاء عــن مــاءٍ وزاد
ســل بعينيــه الــدجى هــل جفتــا عن بكــا أو ذاقتــا طعـم الــرقــاد؟
وســل الأنــجــم هــل أبــصــرنــه ليلة مـضــطجعــاً فــوق الــوســاد؟
وســل الــصــبــح أهــل صــادفــه مــلّ من نَــوح مــذيب لــلجـمــاد؟
عــاقــر الــنــاقــة مــع شــقــوتــه ليس بــالأشقى من الــرجس المــرادي
فــلقــد عــمــم بــالســيــف فــتــى عــمَّ خــلق الــله طــراً بــالأيــادي
فــبــكــتــه الأنس والــجــن مــعــاً وطيــور الجــو مــع وحش البــوادي
وبــكــاه الــمــلأ الأعــلى دمــاً وغــدى جبــريــل بــالــويــل ينــادي
هــدمــت والــله أركــان الــهــدى حــيث لا مــن منــذر فــيــنــا وهــادي



عليّ (ع) طَريح الفِرَاش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوان : في مثل صبيحة هذا اليوم وقعت الحادثة الكبرى التي ذكرنا عنها اليسير ليلة أمس ، لا يملك القلم واللسان بياناً لشرح الواقعة والدهشة التي استولت على الناس إثر استماع الصيحة السماوية وانتشار الخبر في الكوفة بأسرع ما يكون ، وأقبلت الجماهير تتراكض إلى المسجد (محل الحادثة) حتى المخدرات خرجن من خدورهن ، وغص المسجد الجامع بالناس ، فلا ترى إلا صفق الأيدي على الرؤوس ولا تسمع إلا أصوات النياحة وصرخات الناس ، وقد ازدحم الناس حول الإمام ينظرون إلى ذلك البطل الذي كان يخوض غمار الموت ، وكانت الأسود تخاف من بأسه واسمه ، ينظرون إليه وقد ابيض وجهه من نزف الدم ، وصلى الإمام صلاة الصبح من جلوس ، ثم قال : إحملوني إلى منزلي . فحملوه والناس حوله يبكون وينتحبون ، وكان الحسن والحسين أشد الناس بكاءً وحزناً ، فكان الحسين عليه السلام يبكي ويقول : يا أبتاه من لنا بعدك ؟ لا يوم كيومك إلا يوم رسول الله ، من أجلك تعلمت البكاء ، يعز ـ والله ـ عليَّ أن أراك هكذا .

فعزاه الإمام وسلاّه ، ومسح دموع ولده ووضع يده على قلب ولده وقال : يا بني ربط الله على قلبك وأجزل لك ولإخوتك عظيم الأجر .

أقبلت بنات رسول الله وسائر بنات الإمام وجلسن حول فراشه ينظرن إلى أسد الله وهو بتلك الحالة ، فصاحت زينب الكبرى وأختها : أبتاه من للصغير حتى يكبر ؟ ومن للكبير بين الملا ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل ، وعبرتنا لا ترقا !

فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب ، وشاركهم الإمام وفاضت عيناه بالدموع .

اجتمع الأطباءُ والجراحون فوصفوا للإمام اللبن ، لأن سيف ابن ملجم كان مسموماً ، فكان اللبن طعامه وشرابه ، ودعى الإمام بولديه وجعل يقبلهما ويحضنهما لأنه علم أنه سيفارقهما وكان يغمى عليه ساعة بعد ساعة ، فناوله الحسن قدحاً من اللبن فشرب منه قليلاً ، ثم نحاه عن فمه وقال : إحملوه إلى أسيركم ! ثم قال للحسن : يا بني بحقي عليك إلا ما طيبتم مطعمه ومشربه وارفقوا به إلى حين موتي ! وتطعمه مما تأكل ، وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه !!

وكان اللعين ابن ملجم محبوساً في بيت ، فحملوا إليه اللبن وأخبروه بعطف الإمام وحنانه على قاتله ، فشرب اللعين اللبن .

قال محمد بن الحنفية : بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه ، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه ، ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر ، فلما أصبح استأذن الناس عليه ، فأذن لهم بالدخول ، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليه‌السلام ثم يقول : أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني ، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم !!

فبكى الناس بكاءً شديداً ، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال :

فيا أسفي على المولى التقي   أبي الأطهار حيدرة الزكي

قـتـلـه كـافـر حـنـث زنـيـم لـعـيـن فـاسـق نـغـل شـقـي

إلى آخر أبياته ، فلما بصر به الإمام وسمع شعره قال له : كيف بك إذا دُعيت إلى البراءة مني ؟ فما عساك أن تقول ؟

فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً ، وأُضرم لي النار وأُلقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك !!

فقال عليه السلام : وُفِّقت لكل خير يا حجر ، جزاك الله عن أهل بيت نبيك .

ثم قال : هل من شربة لبن ؟ فأتوه بلبن فشربه كلّه ، فذكر عليه السلام ابن ملجم وأنه لم يترك له من اللبن شيئاً فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، إعلموا أني شربت الجميع ، ولم أُبق لأسيركم شيئاً من هذا ! ألا : وإنه آخر رزقي من الدنيا ! فبالله عليك ـ يا بني ـ إلا ما سقيته مثل ما شربت ، فحمل إليه اللبن فشرب .

كان الناس متجمهرين على باب بيت الإمام ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام في حق ابن ملجم ، فخرج إليهم الإمام الحسن وأمرهم عن قول أبيه بالانصراف ، فانصرف الناس ، وكان الأصبغ بن نباتة جالساً فلم ينصرف ، فخرج الإمام الحسن مرة ثانية وقال : يا أصبغ أما سمعت قولي عن أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولكني رأيت حاله ، فأحببت أن أنظر إليه فاسمع منه حديثاً ، فاستأذن لي رحمك الله .

فدخل الحسن ولم يلبث أن خرج فقال له : أُدخل . قال الأصبغ فدخلت فإذا أمير المؤمنين معصب بعصابة ، وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة ، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أُخرى من شدة الضربة وكثرة السم .

فقال لي : يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولي ؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك ، وأن أسمع

منك حديثاً . فقال لي : أُقعد ، فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا !!

إعلم يا أصبغ : أني أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائداً كما جئت الساعة فقال : يا أبا الحسن أُخرج فناد في الناس : الصلاة جامعة ، واصعد المنبر وقم دون مقامي بمرقاة ، وقل للناس : ألا : من عق والديه فلعنة الله عليه ، ألا : من أبق من مواليه فلعنة الله عليه ، ألا : من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه !

يا أصبغ : ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول الله ، فقام من أقصى المسجد رجل فقال : يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات أوجزتهن (اختصرتهن) فلم أرد جواباً حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت ما كان من الرجل .

قال الأصبغ : ثم أخذ بيدي وقال : يا أصبغ أبسط يدك ، فبسطت يدي ، فتناول إصبعاً من أصابع يدي وقال : يا أصبغ كذا تناول رسول الله إصبعاً من أصابع يدي كما تناولت إصبعاً من أصابع يدك ثم قال : يا أبا الحسن ألا : وإني وأنت أبوا هذه الأُمة ، فمن عقنا فلعنة الله عليه ، ألا وإني وأنت مَولَيا هذه الأُمة فعلى من أبق عنا لعنة الله ، ألا : وإني وأنت أجيرا هذه الأُمة ، فمن ظلمنا أجرنا فلعنة الله عليه ، ثم قال : آمين . فقلت : آمين .

قال الأصبغ : ثم أُغمي عليه ثم أفاق فقال لي : أقاعد أنت يا أصبغ ؟ قلت : نعم يا مولاي قال : أزيدك حديثاً آخر ؟ قلت : نعم زادك الله من مزيدات الخير ، قال : يا أصبغ : لقيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم ، قد تبين الغم في وجهي ، فقال لي : يا أبا الحسن أراك مغموماً ؟ ألا أُحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً ؟؟ قلت : نعم . قال : إذا كان يوم القيامة نصب الله منبراً يعلو منابر النبيين والشهداء ثم يأمرني الله أن أصعد فوقه ثم يأمرك الله أن تصعد دوني بمرقاة ثم يأمر

الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة ، فإذا استقللنا على المنبر لا يبقى أحد من الأولين والآخرين إلاَّ حضر ، فينادي الملك الذي دونك بمرقاة : معاشر الناس ألا : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أُعرفه بنفسي : أنا أدفع مفاتيح الجنة إلى محمد ، وإن محمداً أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب ، فاشهدوا لي عليه .

ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً يسمع أهل الموقف : معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أُعرفه بنفسي : أنا مالك (خازن) النيران ، ألا : إن الله ـ بمنه وكرمه وفضله وجلاله ـ قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمد وإن محمداً قد أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب فاشهدوا لي عليه .

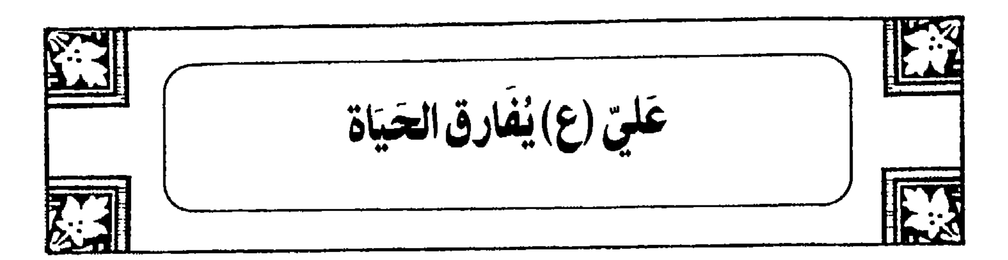
فآخذ مفاتيح الجنان والنيران ، يا علي فتأخذ بحجزتي[1]، وأهل بيتك يأخذون بحجزتك ، وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك .

قال الإمام : فصفقت بكلتا يدي وقلت : وإلى الجنة يا رسول الله ؟ قال : إي ورب الكعبة . .

---

(١) الحجزة بضم الحاء : الإزار أو معقد الإزار .

الليلة الحادية والعشرون



عليّ (ع) يُفارق الحيَاة

بسم الله الرحمن الرحيم

عظَّم الله أُجوركم بمصيبة سيدنا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ففي مثل هذه الليلة قضى نحبه وفارق الحياة ، وقد انطوت صفحات تلك الحياة المشرقة ، واستراح الإمام من أيدي الناس وأفواههم وانتهت أيام مسؤوليته .

فقد جمعوا له أطباء الكوفة ومن جملتهم : أثير بن عمرو بن هاني السكوني فلما نظر إلى جرح رأس الإمام طلب رئة شاة حارة فاستخرج منها عرقاً ثم نفخه ثم استخرجه ، وإذا عليه بياض الدماغ كأنه قطن مندوف فقال : يا أمير المؤمنين إعهد عهدك وأوص وصيتك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أُمّ رأسك .

قال محمد بن الحنفية : لما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأوصاهم بلزوم الإيمان . . . وتزايد ولوج السم في جسده حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً ، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه . ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب ، فنظرنا إلى شفتيه يختلجان بذكر الله ، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم واحداً بعد واحد وجعل

يودّعهم وهم يبكون فقال الحسن : ما دعاك إلى هذا ؟ فقال : يا بني إني رأيت جدّك رسول الله ﷺ في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأُمة فقال لي : أُدع عليهم فقلت : اللهم أبدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم . فقال لي رسول الله : قد استجاب الله دعاك ، سينقلك إلينا بعد ثلاث .

وقد مضت الثلاث ، يا أبا محمد أُوصيك ويا أبا عبد الله خيراً ، فأنتما مني وأنا منكما ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة عليها السلام وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين ، ثم قال : أحسن الله لكم العزاء ، ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد ﷺ كما وعدني ، فإذا أنا مت - يا أبا محمد - فغسّلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل إليه ، ثم ضعني على سريري ، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير ، واحملوا مؤخره ، واتبعوا مقدمه ، فأيّ موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث قام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم - يا أبا محمد - وصلِّ عليَّ - يا بني يا حسن - وكبّر عليَّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان إسمه : القائم المهدي من ولد أخيك الحسين يقيّم إعوجاج الحق .

فإذا أنت صليت عليّ - يا حسن - فَنحّ السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه ، فترى قبراً محفوراً ، ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة ، فأضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فتفقدني فإنك لا تجدني وإني لاحق بجدك رسول الله ﷺ واعلم يا بني : ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه .

ثم إشرج اللحد باللبن (جمع لبنة) وأهِل التراب عليَّ . ثم غَيِّب

قبري .

ولـلإمام أميـر المؤمنين عليه السلام وصية أُخـرى وهي من جـلائـل وصـايـاه أوصى بهـا أولاده في مثـل هـذه الليلة ، روى الصـدوق في الفقيـه عن سليم بن قيس الهـلالي قال : شهـدت وصية علي بن أبي طـالب عليه السلام حين أوصى إلى إبنـه الحسن عليه السلام وأشهـد على وصيتـه الحسين عليه السلام ومحمـد وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته ثم دفع إليه الكتب والسلاح ثم قال : يـا بني أمـرني رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أُوصي إليـك وأن أدفـع إليـك كتبي وسلاحي ، كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفع إليّ كتبـه وسلاحـه وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين عليه السلام ثم أقبل على إبنـه الحسين فقال : وأمـرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تـدفعـه إلى إبنـك علي بن الحسين ثم أقبـل إلى إبنه علي بن الحسين عليه السلام فقـال لـه : وأمـرك رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تـدفـع وصيتـك إلى إبنـك محمـد بن علي فـأقـرأه من رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومني السلام . ثم أقبل على إبنه الحسن فقال : يـا بني أنت ولي الأمر بعدي ووليّ الدم فإن عفوت فَلَكَ ، وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم ، ثم قال أُكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى بـه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسولـه ، أرسله بالهـدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولـو كره المشركون ، ثم إن صـلاتي ونسكي ومحياي ومـماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين .

أُوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيـا وإن بغتكما ، ولا تـأسفا على شيءٍ منها زوي عنكما ، وقولا بالحق واعمـلا للأجـر (للآخـرة خ ل) وكونـا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً .

أُوصيكمـا وجميع ولـدي وأهل بيتي (وأهلي خ ل) ومن بلغهم كتـابي هـذا من المؤمنين بتقـوى الله ربكم ، ولا تمـوتن إلا وأنـتم مـسلمـون ،

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم (بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم خ ل) فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ، وإن البغضة حالقة الدين وفساد ذات البين (وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين خ ل) ولا قوة إلا بالله ، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب ، والله الله في الأيتام لا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار ، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في جيرانكم فإن الله ورسوله أوصيا بهم (فإنه وصية نبيكم) ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في بيت ربكم فلا يخلونَّ منكم ما بقيتم فإنه إن تُرك لم تناظروا ، الله الله في الصلاة ! فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم ، الله الله في الزكاة فإنها تطفىءُ غضب ربكم ، الله الله في صيام شهر رمضان فإنَّ صيامه جُنة من النار ، الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان : إمام هدى ومطيع له مقتد بهداه والله الله في ذرية نبيكم فلا يُظلَمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يُحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم ، والمؤوي للمحدث ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم ، والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن قال : أُوصيكم بالضعيفين : نسائكم وما ملكت أيمانكم ، ثم قال : الصلاة ، الصلاة ، الصلاة ، ولا تخافن في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولى عليكم أشراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتباذل والتبارّ وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعـدوان واتقـوا الله إن الله شـديـد العقـاب ، حفـظكم الله من أهـل بيت وحفظ فيكم نبيكم ، وأستـودعكم الله خير مستـودع ، وأقـرأ عليكم السـلام ورحمة الله وبركاته .

يا بني عبد المطلب : لا ألفينكم تخوضـون دماء المسلمين خـوضاً ، تقـولون : قُتـل أمير المؤمنين . ألا : لا تقتلن بي إلا قـاتلي انـظروا إذا أنـا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضـربة ولا يُمثَّـل بالـرجل فـإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

هكـذا ينهى الإمام عليه السلام أولاده عن إقـامة المجـازر والمـذابـح لأجـل الطلب بدمه كما كان الأمر في قضايا عثمان ، يقول : لا تقتلوا إلا قـاتلي . ينهـاهم عن التحقيق عن أصـل الفتنـة ورجـال المؤامـرة وأسبـاب الفسـاد ويأمرهم بالاكتفاء بالقصاص عن القاتل ، ثم ينهى عن قطع أعضائه .

ثم عرق جبين الإمام فجعل يمسح العرق بيده فقالت إبنته زينب : يـا أبة أراك تمسح جبينك ؟ قال : يا بنية سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب ، وسكن أنينه . فقامت زينب وألقت بنفسهـا على صدر أبيهـا وقالت : يا أبة حدثتني أُم أيمن بحديث كـربلاء وقـد أحببت أن أسمعه منـك ، فقال : يـا بنيـة ، الحديث كمـا حدّثتـك ، أُم أيمن ، وكأني بـك وبنساء أهلك لسبـايا بهذا البلد ، خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس ، فصبراً صبراً . . .

ثم التفت الإمام إلى ولديه الحسن والحسين وقال : يـا أبا محمـد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكمـا من بعدي الفتن من ههنـا وههنا فاصبرا حتى يحكم الله وهـو خير الحـاكمين يا أبـا عبد الله أنت شهيـد هذه الأُمة ، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه .

ثم أُغمي عليـه وأفاق وقـال : هـذا رسـول الله ، وعمي حـمـزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله ، وكلهم يقولون : عجّل قدومك علينا فإنـا إليك مشتاقون . ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال : أستـودعكم الله جميعاً ،

سدّدكم الله جميعاً ، خليفتي عليكم الله ، وكفى بالله خليفة ، ثم قال : وعليكم السلام يا رسل ربي ، ثم قال : لمثل هذا فليعمل العاملون ، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] . ومازال يذكر الله ، ويتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة ، وغمّض عينيه ومدّد رجليه ويديه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم قضى نحبه !!

فعند ذلك صرخت زينب بنت علي وأُم كلثوم وجميع نسائه وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود ، وارتفعت الصيحة في القصر ، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد فارق الحياة ، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً ، وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها ، وكثر البكاء والنحيب والضجيج بالكوفة وقبائلها وجميع أقصارها ، فكان ذلك اليوم كاليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتغيّر أُفق السماء ، وسمع الناس أصواتاً وتسبيحاً في الهواء ، واشتغلوا بالنياحة على الإمام .

ثم قام أولاده لتجهيزه ليلاً ، ولما جرّدوه عن ثيابه ، وجدوا على جسده الشريف آثار ألف جراحة من قرنه إلى قدميه وهي الجراحات التي أصابته في سبيل الله في الحروب ، وكان الحسن يغسّله والحسين يصب عليه الماء ، وكان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقلّبه ، بل كان يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً ، لأن الملائكة كانت تقلّبه ، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك .

ثم نادى الحسن بأخته زينب وأُم كلثوم وقال : يا أُختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله ، فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به ، فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة ، ولما حنّطوه لفُّوه بخمسة أثواب ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره وإذا مقدّمه قد ارتفع ، ولا يُرى حامله ، وكان حاملاه جبرئيل وميكائيل ، فما مرَّ بشيءٍ على وجه الأرض إلا انحنى له .

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٨ .

وضجّت الكوفة بالبكاء والنحيب ، وخرجت النساء خلف الجنازة لاطمات فمنعهن الحسن وردّهن إلى أماكنهم ، والحسين يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبتاه وإنقطاع ظهراه ، من أجلك تعلمت البكاء ، إلى الله المشتكى .

أمر الإمام الحسن الناس بالانصراف ، ولم يبق إلاّ أولاد أمير المؤمنين وعدد قليل من أخص أصحابه المعتمد عليهم ، فابتعدوا عن الكوفة في جوف الليل قاصدين النجف ، وإذا بمقدم السرير قد وُضع ، فوضع الحسن والحسين مؤخر السرير ، وقام الحسن وصلّى مع جماعة على أبيه فكبر سبعاً كما أمره أبوه ، ثم زحزح السرير ، وكشف التراب وإذا بقبر مقبور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها : هذا ما ادّخره نوح النبي للعبد الصالح الطاهر بن المطهر .

ولما أرادوا إنزاله إلى القبر سمعوا هاتفاً يقول : أنزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب ، فدهش الناس من سماع الهتاف ، وانتهى الدفن قبل الفجر ، وأخفوا قبره كما أوصى به ، لأنه عليه السلام كان يعلم من عداوة الخوارج والأعداء له ، فقد روي في منتخب التواريخ أن الحجاج بن يوسف نبش في النجف آلاف القبور يفتش عن جثمان علي عليه السلام ولكنه لم يعثر عليه ، ولم يزل القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وأخصاءُ الشيعة إلى أيام هارون الرشيد .

قال عبد الله بن حازم : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغري ، فرأينا ظبيات ، فأرسلنا إليها الصقور والكلاب ، فحاولتها ساعة ، ثم لجأت الظباء إلى الأكمة فسقطت عليها ، فسقطت الصقورة والكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ثم إن الظباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقورة والكلاب فرجعت الظباءُ إلى الأكمة ، فتراجعت عنها الكلاب والصقورة ففعلت ذلك ثلاثة ، فقال هارون : أُركضوا فمن لقيتموه إيتوني به ؟ فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال هارون ما هذه

الأكمة ؟ قال : إن جعلت لي الأمان أخبرتك ! قال : لـك عهد الله وميثـاقه أن لا أُهيجـك ولا أُوذيك . قـال الشيـخ حـدثني أبي عن أبيـه أنهم كـانـوا يقولون : هذه الأكمة قبـر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حـرماً لا يـأوي إليه أحد إلا أمن .

فنـزل هارون ودعى بمـاءٍ فتوضـأ وصلّى عند الأكمـة ، وتمرغ عليهـا وجعل يبكي ، وأمر ببناء القبـة على القبر ، ومن ذلك اليوم لم يزل البناءُ في تطور وهو الآن صـرح بديـع متلألىء ، وبنـاءٌ مشيّد من قبّـة ذهبية ومنـارتين ذهبيتين ، ومشهد عظيم وضريح فخم في داخله صنـدوق لا يثمّن ، والبقعة مـزينة بهـدايا الملوك والسـلاطين على مرّ القـرون ، وقد بني المشهـد على أحسن هنـدسـة وأبـدع فن معمـاري وأجمـل نقـوش يتـوصـل إليهـا الفكـر البشري .

والمعلقـات الموجـودة والذخـائر المكنـونة والهـدايا الثمينـة لا يمكن تقديرها وتثمينها ، ويقصد القبر الشريف ملايين من الناس من شرق الأرض وغربها ، وكذلك الوفود والسّواح من المسلمين .

تأبين علي

ولما فرغوا من دفن الإمام عليه السلام قام صعصعة بن صـوحان يؤبن الإمـام بهذه الكلمات ، فوقف على القبر ووضـع إحدى يـديه على فؤاده والأُخـرى قـد أخذ بهـا التراب وضـرب بـه رأسـه ثم قـال : بـأبي أنت وأُمي يـا أميـر المؤمنين هنيئـاً لك يـا أبا الحسن ، فلقـد طاب مـولـدك ، وقـوي صبـرك ، وعـظم جهادك وظفـرت برأيـك ، وربحت تجارتـك ، وقدمت على خـالقك فتلقاك ببشارته ، وحفتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى فأكـرمك الله بجـواره ، ولحقت بدرجـة أخيك المصـطفى وشـربت بكـأسـه الأوفى ، فـأسأل الله أن يمن علينـا باقتفـائنـا أثـرك ، والعمـل بسيـرتـك ، والمـوالاة لأوليائك ، والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يـدركه أحـد ، وجاهـدت في سبيل ربـك بين

يدي أخيك المصطفى حق جهاده ، وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن ، وأبرت الفتن ، واستقام الإسلام وانتظم الإيمان ، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام ، بك اعتدل ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل ، وأُقيمت السنن ، وما جُمع لأحد مناقبك وخصالك ، سبقت إلى إجابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقدماً مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ، ووقيته بنفسك ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر ، قصم الله بك كل جبار عنيد ، وذلّ بك كل ذي بأس شديد ، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك أهل الضلال من العدى ، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين كنت أقرب الناس من رسول الله قربى وأولهم سلماً وأكثرهم علماً وفهماً .

فهنيئاً لك يا أبا الحسن ، لقد شرف الله مقامك ، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسباً ، وأولهم إسلاماً ، وأوفاهم يقيناً ، وأشدهم قلباً ، وأبذلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم في الخير نصيباً ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا ذلنا بعدك ، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح للخير ومغالق للشر ، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير ، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة .

ذكر ابن أبي الحديد أن صعصعة بن صوحان العبدي رثا أمير المؤمنين علياً بهذه الأبيات :

ألا ، مَن لي بأُنسك يا أخيا ... ومن لي أن أبثك ما لديّا؟

طوتك خطوب دهر قد تولى ... لذاك خطوب نشراً وطيا

فلو نشرت قواك لي المنايا ... شكوت إليك ما صنعت إليا

بكيتك يا علي بدَرّ عيني ... فلم يغن البكاءُ عليك شيا

كفى حزناً بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظاة ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي ... ألا لو أن ذلك ردّ شيا

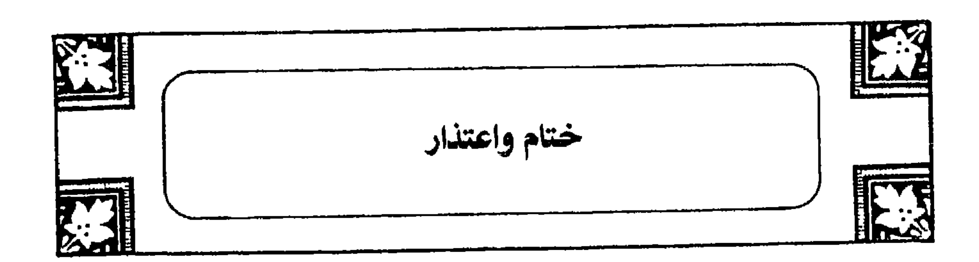
ثم بكى بكاءً شديداً وأبكى كل من كان معه ، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبد الله ، فعزوهم في أبيهم وانصرف الناس ورجع أولاد أمير المؤمنين إلى الكوفة ولم يشعر بهم أحد :

قم ناشد الإسلام عن مصابه	أُصيب بالنبي أم كتابه
بلى قضى نفس النبي المصطفى	وأُدرج الليلة في أثوابه
فاصفر وجه الدين لاصفراره	وخضب الإيمان لاختضابه
قتلتم الصلاة في محرابها	يا قاتليه وهو في محرابه

ثم عمدوا إلى عبد الرحمن بن ملجم فقتلوه ، وهجم الناس على قطام وقطعوها بالسيوف ونهبوا دارها وأحرقوا جثتها وجثة ابن ملجم .

في ناسخ التواريخ : لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام وقُتل ابن ملجم ، خرج ابن عباس إلى الناس فقال : إن أمير المؤمنين توفي ، وقد ترك لكم خلفاً ، فإن أحببتم خرج إليكم ، وإن كرهتم فلا أحد على أحد . فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا . فخرج الإمام الحسن وعليه ثوب أسود ، واعتلى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولم يدركه الآخرون بعمل ، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله يوجّهه برايته ، فيكفيه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه . ولقد توفّي في الليلة التي نزل فيها القرآن ، وعُرج فيها بعيسى بن مريم ، والتي قبض فيها يوشع بن نون وصي موسى ، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطيته أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس . . .

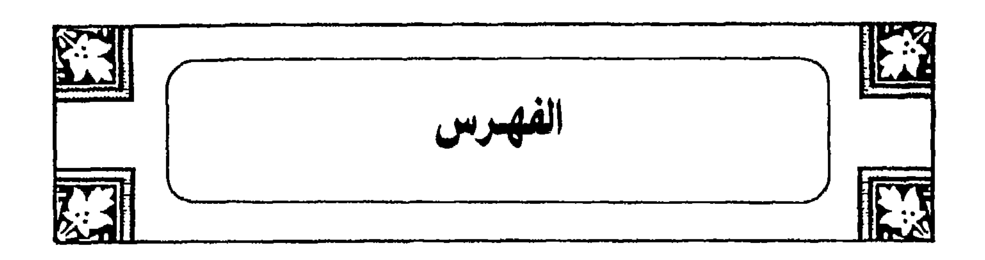


ختام واعتذار

أيها الإخوان لقد قضينا معكم هذه الليالي الثمينة بالتحدث عن شخصية الإمام أمير المؤمنين ، وقد كان حديثنا يدور حول ترجمة حياته المتلألئة وذكرنا ما تيسر ، وأود أن أُحيطكم علماً وأحلف لكم يميناً لا حنث فيها بأني لم أذكر عشراً من معشار فضائل الإمام ومناقبه ، فلقد فاتنا التكلم عن قضاء أمير المؤمنين ومعجزاته وكثير من خططه الحربية وسياسته الحكيمة وترجمة زوجاته وأولاده وبناته وكلماته القصار وآثاره الطيِّبة الخالدة ، ومن الله نسأل أن يحقق الآمال ونتدارك ما قد فات .

وسلام الله على أمير المؤمنين يوم ولد في الكعبة ويوم مات شهيداً في سبيل الله ويوم يبعث حياً للشفاعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم .



الفهرس







